من فكر السجون وأدبه
الإصدار الرابع والعشرون

الجهاد وفلسطين

جغرافيا الصراع والوعد

مناضل موفق طقز
سجن النقب

الجهاد وفلسطين

جغرافيا الصراع والوعد

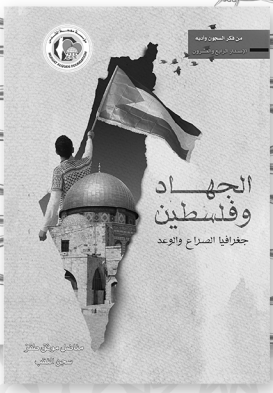

الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (24)

الجهاد وفلسطين
جغرافيا الصراع والوعد

المؤلـف: الأسير المجاهد/ مناضل موفق طقز

الناشـــر: مؤسســـة مهجة القـــدس
غـزة – فلسطيـن

الطبعـة: الأولـى

سنة النشر: رمضان 1444هـ
مارس - آذار 2023م

رقم الإيداع: 1985 / 2023

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

صدق الله العظيم [الإسراء: 7]

إهداء

- إلى قدوتي وأسوتي، أبا القاسم، محمد ﷺ.
- إلى روح والدتي التي زرعت في قلبي جذور الإسلام.
- إلى من جعلوا الإسلام والجهاد يجري في عروقي، الدكتور فتحي الشقاقي والدكتور رمضان شلّح.
- إلى من كانوا على درب الجهاد.
- إلى أبي وإخوتي وأخواتي.
- إلى المرابطين في ساحات المسجد الأقصى، والمرابطين على ثغور غزة الثائرة.
- إلى الأسرى، وإلى الأسيرات اللواتي تثنى بأقدامهن عنق السجان.

شكر وتقدير

- إلى الجنود المجهولين في مؤسسة مهجة القدس للشهداء والجرحى والأسرى.
- إلى الدائرة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
- إلى أخي الأسير المجاهد: أنور عمر عليان (أبو عمر).
- إلى كل من دعم وساهم في إخراج هذا العمل إلى النور.

مقدمة

لم يكن هناك انفصال في الجهاد والدعوة على مدار التاريخ الإسلامي، بل كان الجهاد الذي أمر الله به سبحانه وتعالى السمة الملازمة للدعوة الإسلامية، وشكلت السنة النبوية الشريفة الأرضية التعبوية للمجاهدين، فكانت الفتوحات الإسلامية التي جابت العالم ومن ضمنها فلسطين تجسيدًا لأوامر الله، فحكمها الإسلام وأنار أرضها المباركة بالقرآن.

فلسطين والتي أسرى الله سبحانه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى القدس وعرج منه إلى السموات العلى، فهذا الإسراء الذي خفف الله به الحزن عن نبيه الكريم عزّز من مكانة المسجد الأقصى عند المسلمين والعرب والذي هو قبلة المسلمين الأولى وثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله سبحانه حيث لم يكن هناك مسجد ثالث على وجه الأرض وقت الإسراء؛ لذا وصفه الله في ذكره أنه الأقصى أي البعيد والذي عزّز له من هذه المكانة في سورة الإسراء.

وفي ظل المتغيرات عبر الأزمنة حصل أن وقعت فلسطين تحت عدة احتلالات تعرض فيها الشعب الفلسطيني لأبشع أنواع الظلم على يد المحتلين حتى جاء الاحتلال البريطاني الذي حلّ مكان الدولة العثمانية الإسلامية، والاحتلال البريطاني أورث احتلاله للكيان الصهيوني الذي يسعى للقضاء على العرب واحتلال كافة الدول المحيطة بفلسطين وكذلك

يسعى لاحتلال العقول وتدمير الحياة الاجتماعية والدينية لهذا المحيط.

ومع بروز الخطر الحقيقي للمشروع الصهيوني على الأمة الإسلامية؛ برز تيار في الأمة العربية يمد يده للدولة العبرية محاولًا فتح صفحة جديدة من العلاقات مع هذا الكيان، ضاربًا بعرض الحائط كل نضالات الشعب الفلسطيني عبر تاريخه الطويل لنيل حريته وطرد أعدائه من وطنه فلسطين، مستغلًا حالة الخلافات الداخلية داخل المنظومة العربية، ومعتقدًا أن الكيان الصهيوني هو الضامن الوحيد لبقاء هؤلاء الحكام فوق عروشهم.

وهذا السعي من بعض العرب والمسلمين يشكل تناقضًا واضحًا بين أوامر الله بالجهاد وبين موالاة الكيان الصهيوني وإشغال الأمة بأمور دنيوية، وبما أننا نشهد تطورًا متسارعًا لآلة البطش الصهيونية فإننا أيضًا نشهد تطورًا مضادًا للثورة ولآلة الجهاد في سبيل الله في فلسطين والتي بدورها تعيد إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله في فلسطين التي يستقيم المسلم بقوامها.

فكان لابد لنا من داخل سجون الاحتلال أن نذكر بفريضة الجهاد عبر هذه الدراسة واستحضار الأدلة من القرآن والسنة وبرهنتها من خلال التاريخ والجغرافيا والواقع، باستعراض مقتضب غير شامل محتكمين لواقع السجون والقمع فيها.

أخوكم الأسير/ مناضل موفق طقز

سجن النقب الصحراوي

26/ 10/ 2021م

مشكلة الدراسة

تمثل القضية الفلسطينية مركزية الصراع في المنطقة وأساس الصراع العربي الصهيوني، والذي تداخلت فيه الظروف السياسية والتاريخية وعوامل دينية وأخرى اقتصادية والرؤية الواقعية للمنطقة العربية والإسلامية ودورها في مواكبة الحضارة الإنسانية، فإن دراسة الجهاد في سبيل الله ودوره في وأد المشروع الصهيوني وتسخير كل الوسائل الجهادية لتحقيق ذاك الوأد تعتبر مهمة جدًا للتعامل مع هذه المشكلة وفهم خفاياها.

تأتي أهمية دراسة جغرافيا الصراع (فلسطين) لانخراط القوى العاملة ووسائلها في مقاومة المشروع الصهيوني بالتبنّي الفعلي والضمني للشريعة الإسلامية من جهة والعمل الجهادي الثوري المقاوم للاحتلال الصهيوني من جهة أخرى، أي إعادة التوافق والمصالحة بين الجهاد في سبيل الله وفلسطين دون إغفال واستبعاد القوى الفاعلة بالثورة الوطنية.

ورغم فعالية المقاومة وتنامي تطورها وإخلاص الثائرين والمجاهدين إلى جانب الشعب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة إلا إنه لا يتوفر لنا دراسات كافية ومعمقة ومتخصصة حول المنظور الجهادي لإدارة الصراع مع الاحتلال الصهيوني، ومقابل هذا هناك الكثير من الدراسات المعمقة التي شحذت قواها وسخرتها للخروج من فلسطين، محاولةً تشويه صورة الجهاد إما بالذبح أو السبايا أو جهاد النكاح.

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في العناوين الآتية:

(1) التأصيل الفقهي العملي في التعامل مع القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة.

(2) إبراز دور الإسلام في التعامل مع فلسطين تاريخيًا وفقهيًا.

(3) دور الحركات الإسلامية في إعادة القضية الفلسطينية إلى موقعها الحقيقي تاريخيًا وعمليًا.

(4) ربط القضية الفلسطينية بتاريخ الأمة ومستقبلها، والتعامل معها كقضية أمة وليس كقضية قومية.

(5) التركيز على عرض القضية الفلسطينية من خلال التصور القرآني ومفهوم وعد الآخرة.

هدف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى:

أولًا: دراسة فرض الجهاد في الدعوة الإسلامية والتعرف عليه من خلال الآيات والأحاديث والأحداث الجهادية في المعارك الإسلامية وسياستها وأحكامها، هل هو فرض؟، أم واجب؟ أم مندوب؟ أم اقتصر الجهاد على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أم هو ماضٍ في سائر الأزمنة؟

ثانيًا: كيفية تسخير قوانا الجهادية للصراع مع الاحتلال الصهيوني؟

ثالثًا: تنوير الدروب المؤدية إلى الصراع من خلال طرح ما أفرزه التاريخ القديم والحديث.

رابعًا: حثّ القوى المؤيدة للاحتلال للعدول عن ضلال طريقها والالتفات إلى الحقائق الدينية والواقعية فوق جغرافيا الصراع العربي والإقليمي والدولي.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية فلسطين الدينية، وقضيتها بشكل عام على الصعيد المحلي والإقليمي، ومن هذه الأهمية تأتي أهمية الجهاد المفروض من الله وإحياؤه وتأثيره في هذه القضية.

إن الجهاد في سبيل الله يعتبر من الفرائض التي حاول البعض إضاعتها وصرف الأنظار عنها لتنفيذ أجندة صهيوأمريكية في ظل التطورات الفكرية والتكنولوجية، وإحياء ثقافات غربية لتحل محل الجهاد في عقول المسلمين.

تأتي هذه الدراسة في الوقت الذي تُرك الفلسطيني وحيدًا في الميدان يصارع العدو الصهيوني، وركون بعض الدول العربية إلى إبرام صفقات عسكرية واقتصادية تجارية وأخرى عقود تطبيعية بظاهرها مبطنة هدفها تصفية القضية الفلسطينية، وبمجرد قبولها لكلمة «إسرائيل» في قاموسها بدلًا من الاحتلال الصهيوني هو بداية طريق موحل نهايته السقوط في مستنقع الصهيونية العالمية والتي يعتبرها العالم انفتاحًا، ويبقى السؤال لماذا الانفتاح في هذا الوقت بالذات؟

إضافة إلى ما تقدم تأتي أهمية جغرافيا الصراع من كونه صراع وجود لا صراع حدود، ولا صراع اقتصادي أو تجاري أو أزمة مؤقتة، بل إن هذا الصراع يشكل خطرًا استراتيجيًا على العالم العربي والإسلامي.

وهـذا الـصراع يسـتمد قوتـه مـن الإسـلام والتاريـخ والجغرافيـا، ومـن القـوة الروحيـة والمعنويـة للمجاهـد المسـلم الـذي يتواجـد عـلى مسـاحة التاريخ الإسـلامي زمانيًـا ومكانيًـا، والمجاهـد المسـلم والثائـر المناضـل في فلسـطين هـو رأس الحربـة في مقاومـة المشروع الصهيـوني والـذي هو أشرس هجمة تشـكلت في هـذا العـصر ضـد الإسـلام والمسـلمين وأراضيهـم.

أسئلة الدراسة

الفصل الأول

- لماذا خصّ الله سبحانه المسلمين بالجهاد؟
- ما هو الجهاد وما هي أطره؟
- ما هي أحكام الجهاد الشرعية في الفقه الإسلامي؟
- متى شرّع القتال؟
- ما هي المستندات الشرعية لمجاهدي فلسطين اليوم لعقد اتفاق هدنة مع الكفار؟
- ما هو المأمول لتمام انتصار الفلسطينيين؟
- هل هناك آداب جهادية واجبة الاتباع في القتال؟
- ما أثر حرف البوصلة الجهادية عن فلسطين في انقسام الأمة وضعفها؟
- هل وحدة الأمة المنشودة تمر عبر بوابة الجهاد الفلسطيني؟

الفصل الثاني

- لماذا فلسطين؟
- ما هي فلسطين وما هو موقعها الجغرافي؟
- ما هي أهمية فلسطين التاريخية والدينية؟
- ما هو الرد الأمثل على أحقية اليهود الدينية والتاريخية في فلسطين؟

الفصل الثالث

- كيف دخل الإسلام فلسطين؟
- ما هي الصهيونية وما هي أهدافها؟
- ما هو الدور البريطاني في ترسيخ الاحتلال الصهيوني؟

الفصل الرابع

- ما هو الصراع العربي الصهيوني؟
- من هو صاحب الاختيار وعلى من وقع الاختيار؟
- هل يرتكز الصراع في فلسطين رغم امتداده على جغرافيا الأمة؟
- كيف تتسع الثورة وما هي أسباب انحسارها؟

الفصل الخامس

- كيف نفهم الصراع مع الاحتلال؟
- ماذا نعني بالمرحلية لتحقيق الانتصار على المشروع الصهيوني؟
- لماذا أخفقت الأمة في تحرير فلسطين؟
- ما السبيل العملي لتحرير فلسطين؟

منهجية الدراسة

شهدت السنوات الأخيرة صعودًا ملحوظًا للإسلاميين في المشهد العربي والإقليمي سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا وعسكريًا، وباتت الحركات الإسلامية خاصة في فلسطين فاعلًا أساسيًا في المعادلات الداخلية والإقليمية، بل حتى الدولية.

إن الاشتباك الإسلامي مع قوى الأعداء ولّد جملة كبيرة من المواقف المؤيدة والمعارضة، وخلق سجالات واسعة في الفضاء الإعلامي والفكري نجم أغلبها عن تساؤلات وجدليات بنيوية يتمثل أبرزها:

فيما إذا كان بالإمكان أن تجتمع القوى الإسلامية تحت راية واحدة؟ لقتال الصهاينة؟ إذا كان الفكر الإسلامي يحمل في ثناياه رؤية واقعية لتحرير فلسطين في الوقت الحاضر؟ استراتيجيات يمكن من خلالها توجيه القوى والأفراد والشعوب الإسلامية إلى جوهر صراع الأمة في فلسطين. وفيما إذا كان الكيان الصهيوني له أحقية دينية أو تاريخية أو حضارية في فلسطين وبأي معايير نقاتله؟

من المشكلات الجادة في التعامل مع القضية الفلسطينية هو اختلال الرؤية لدي بعض الفئات المحسوبة على التيار الإسلامي كونها تحمل رؤية متطرفة عن بعضها، وعند البعض الآخر رؤية تسويفية لصالح

قوي الغرب وأعداء الأمة الإسلامية، وتهدف إلى تشويه الإسلام وحرف البوصلة عن الجهاد في أرض الرباط علمًا أن فلسطين هي أرض للجهاد وللمقاربات الإسلامية واللاإسلامية، وتختزل من الحضارات والثقافات والديانات ما يدحض الزيف الصهيوني، ومن ثم الوصول إلى استنتاجات وأحكام قيمة مبنية على دراسة مسهبة غير شاملة لكافة الوقائع والثورات والصراعات التي خاضها الشعب الفلسطيني، ولكن من خلالها نثبت كيف لثورة أو هبة صغيرة كانت أم كبيرة تكشف عورة الكيان وهشاشته الداخلية؛ لأنه بني على باطل، وهذا الاستنتاج من شأنه أن يرشد القوى الثائرة في فلسطين ومن حولها أن يوجهوا طاقاتهم إلى قتال الكيان وتكاثفها لفك قيد الأسرى والمسرى.

ذلك الاختزال الثوري الجهادي من الطبيعي أن يكون عبئ من مصادر الشريعة الإسلامية أولًا (القرآن، السنة، والوقائع التاريخية)، وكذلك من دون القفز عن الألوان المختلفة والمتباينة التي تعاقبت على أرض فلسطين. وإذا لم يكن هناك لون معاصر من خارج فلسطين قادر على طرح رؤية شاملة لتحرير فلسطين ترصد له مزيج من الألوان الجهادية والثورية من داخل فلسطين سواء كانت منظمة ضمن حركات وأحزاب، أم ألوان فردية، ولكنها جعلت لها بصمةً واضحة في هذا الزمان.

فقد تنوعت الرؤى والمقاربات وهي خريطة من الشخصيات والحركات المتوافقة أحيانًا، ومختلفة أحيانًا أخرى، ولكن مضمونها يصب في بوتقة واحدة هي تحرير فلسطين، ولهذه البوتقة ثمن، هجوم الغرب على هذه الألوان فصنع لها قوة مضادة تحاول رميها في اتجاه آخر، وهذا الاتجاه

يأخذ تأييد الأيديولوجيات الغربية، وفي العادة معادية للمقاومة وللشعب الفلسطيني ومؤيدة للكيان الصهيوني.

يقترن النظر إلى الحركات السياسية الإسلامية في ظل ما حلّ في العالم من متغيرات على الشق السياسي والجهادي وما تحمله هذه الحركات من تصورات ومشاريع للنهوض بالأمة أي فلسطين، فيما يتم القفز على الاختلافات والخلافات والفروقات الدقيقة؛ لأن الإسلام أمر بترك التعصب الجاهلي، وللأسف هناك من الحركات التي ظهرت حديثًا ما بذلت كافة الجهود لإظهار الجهاد والإسلام والحدود على مطلقها، وأحيانًا على قيم الجاهلية لا على قيم الإسلام.

ذلك يقودنا إلى إحدى أبرز الصعوبات في دراسة الجهاد وجغرافيا الصراع من داخل سجون الاحتلال، خاصة أن السجون تتعرض باستمرار لحملات قمع وتنكيل للأسرى، وإن استقرت أحيانًا لا تخلو أقسام السجون من مصادرة إنجازات الأسرى الفكرية والأدبية ومصادرة الكتب التي بالكاد الحصول على بعضها لاستثمارها كمصادر ومراجع معلوماتية.

في المحصلة يجد الباحث نفسه، أمام غابة متشعبة واسعة وأمام مهمة جهادية أساسية في درب الجهاد والتحرير في اشتقاق طريقته الذاتية وصولًا إلى تصنيف وتقسيم يتلاءم مع موضوع الدراسة وأهدافها.

هذه الدراسة إذن هي محاولة لإخراج فكر المسجون الذي يرى في تسلله من بين القضبان يقود العلماء والمفكرين إلى البحث الدقيق في

الاتجاهات الشاملة من خلال علمهم وعملهم ودراستهم للمحيط، وصولًا إلى استنطاق الحجج والسجالات الجهادية في فلسطين.

وبما أن موضوع الدراسة هو (الجهاد وجغرافيا الصراع)، **فإن الباحث اعتمد على:**

(1) ذكر الآيات والأحاديث التي تحض على الجهاد.

(2) ذكر بعض صور الجهاد وأحكامه.

(3) الهدنة.

(4) السلوكيات الجهادية.

(5) ذكر وقائع تاريخية والرد على الأكذوبة الصهيونية.

(6) استعراض شامل لتاريخ فلسطين القديم والحديث.

(7) فلسطين في ثوراتها الحديثة.

(8) تطور أداء الجهاد والمجاهدين في فلسطين.

(9) طرح حلول واقعية لتوجيه الأمة إلى تحرير فلسطين.

وبجملة واضحة، سيُعنى هذا الكتاب بالخطاب الإسلامي دون تهميش المقاومين غير الإسلاميين المعاصرين في فلسطين إلى منتصف عام 2021م.

وفي بيان ما سبق فإن كل فصل من فصول الدراسة يسير في طرح وقائع، ويعالج ما تعسّر في هذا الوقت، ويبرز بعض الأفكار والمقولات والتفرعات داخل كل فصل، مع الإشارة إلى تقسيم الوقائع التي تعلن قبولها للرد عليها وقبولها ورفضها.

ينتهي الكتاب بجملة من الخلاصات والاستنتاجات المستوحاة من الفصول السابقة، وما تتضمنه من سبل كفيلة بتحرير فلسطين.

بقي القول، إن هذا الكتاب هو الأصل في أطروحتي رسالة للأمة الثائرة المجاهدة في العالم من داخل مرابض الرباط والجهاد في سجون العدو الصهيوني والتي استمرت لأربعة أعوام من العمل تقريبًا، أحيانًا يكون العمل متقطعًا، وأحيانًا يكون مكثفًا، حسب واقع الأسر وظروفه، ولكنها بلا شك تتجاوز حصيلة هذه الأعوام الأربعة إلى سنوات أطول وجهد أعمق من الكتابة والبحث والعمل المتواصل في حقل الجهاد وفلسطين.

ذلك لا يغني عن الإشارة إلى وجود قصور مقترن بما آلت إليه استحقاقات عديدة في الأسر وهي بمثابة محددات تحول دون وصول الأعمال إلى مراميها المطلوبة وغاياتها القصوى.

فرضيات الدراسة

هناك فرضيات أساسية سيتم البحث فيها، وهي:

(1) أن فلسطين مهد للجهاد في سبيل الله.

(2) أن الجهاد الذي أمر به الله سبحانه هو السبيل للقضاء على الغزاة الذين احتلوا فلسطين، الكيان الصهيوني.

(3) أن اليهود ليس لهم أي حق ديني أو تاريخي في فلسطين.

(4) جوهر الصراع فلسطين، وقلب الصراع البقعة المباركة في الأرض المقدسة.

(5) بالإمكان تركيز الطاقات وحشدها وإعدادها للقضاء على الصهاينة.

(6) توحيد الأمة سبب في تحرير فلسطين.

الفصل الأول

الجهاد كما أمر الله

المسلمون لماذا؟

في أربعة مواضع في القرآن الكريم جاء قوله تعالى على لسان أنبيائه عليهم السلام: «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ»، ففي سورة الأنعام جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 135]، وفي سورة هود جاء قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، وقوله في سورة هود: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ [هود: 121]، وفي سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 39].

فمن هذه الآيات الكريمة نستلهم أن لدينا مكانة محدودة، في منصب رفيع وضعه الله لنا فوق كل المخلوقات، ولكن هذه المكانة تتطلب أن نثبت أننا نستحقها وتتطلب أن نعمل كي ننالها[1].

(1) أحمد خيري العمري: «لا أسف على الإزعاج»، ص 89.

ولأن الله سبحانه منحنا هذه المكانة تكريمًا لنا عن باقي المخلوقات جعلها مقترنة بالعبادات، ومن هذه العبادات فريضة الجهاد والتي من خلالها يتم اختبار الإيمان بميزان البذل والعطاء.

«فلو أن الإنسان لا يؤمن بنفسه فهذا قدح بالإيمان بالله حتى لو كان قضاء الوقت في الصلاة والعبادة»، فهناك الكثير من العوامل والمؤثرات والأبعاد النفسية والأخلاقية والإيمانية التي تدخل وتؤثر في الجهاد في سبيل الله، والجهاد في الإسلام تحكمه مجموعة من القيم الأخلاقية الراقية[1].

«فالإسلام حركة جامعة في رقي الإنسان وسموه وإصلاحه وتنميته»[2]. والجهاد لغة: فعال من الجهد، وهو المشقة البالغة والجِهاد بكسر الجيم _مصدر جَاهد_ يجاهد جهادًا ومجاهدة، والجَهد بفتح الجيم الأرض الصلبة، والجَهد بفتح الجيم وضمها الطاقة[3]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79]، الجهد هنا تعني المشقة[4].

أما الجهاد في اصطلاح القرآن والسنة فجاء بمعنى القتال لإعلاء كلمة الله عزّ وجل، وكذلك جاء بمعنى أعم وأشمل من القتال ليشمل الدين كله، وحينئذٍ تتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها وضواحيها.

(1) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(2) عبد الرحمن محمد العيسوي: «علم النفس العسكري»، ص 19.
(3) ابن منظور: «لسان العرب».
(4) مختار الصحاح، باب الجيم.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:52]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وجاهدهم به أي القرآن[1]، فالجهاد الكبير هنا ليس هو القتال، وإنما هو الدعوة والبيان بالحجة والبرهان وأعظم حجة وبيان هو القرآن؛ لأنه حجة الله على خلقه ومعه تفسيره وبيانه الذي هو السنة[2]. يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: 9]، إذن فالجهاد هو بذل الجهد والعمل على طريق الله عزّ وجل أي الوصول إلى السبيل المرضي لله، وإرضاء الله سبحانه يكون باتباع دين الإسلام، والجهاد أن تعمل جاهدًا متعبًا نفسك ليكون دين الله (الإسلام) للبشرية، ولأن الله أمر بذلك يجب استعمال كل الوسائل والطرق المشروعة من أجل الوصول إلى هذه الغاية.

وخير دليل على ذلك قوله _صلى الله عليه وسلم_ في الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي _صلى الله عليه وسلم_ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

والطرق التي استعملها الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم من بعده كانت متعددة، بدأت من جهاد النفس على ترك المعاصي والصبر على الطاعة والابتعاد عن المكاره ومجاهدة الشيطان وهوى النفس الأمارة بالسوء إلى تزكية النفس، وهذا أساس في

(1) تفسير ابن كثير.
(2) أحمد محمد بوقرين: «مفهوم الجهاد وأحكامه من خلال سورة الأنفال».

الجهـاد؛ لأن فاقـد الـشيء لا يعطيـه، فالنفـس إن لم تكـن مؤمنـة عاملـة فلـن تسـتطيع أن تجعـل النـاس كذلـك ولا أن تدعـو لذلـك.

«وجهـاد النفـس هـو الجهـاد الأكـبر، ودعـوة كريمـة للإنسـان كـي يصلـح مـن أمـر نفسـه وسريرتـه وأعماقـه ومشـاعره وانفعالاتـه وإحساسـاته وأفكاره وآرائه وعواطفه ووجدانه وضميره الأخلاقي»[1]، وبعـد أن نزكـي أنفسـنا لا بالقـول بـل بالفعـل ننطلـق بالدعـوة إلى الديـن واتباعـه، وإلى الله وعبادتـه، وهـذه مهمـة كل مسـلم حسـب اسـتطاعته؛ لأنـه لا نبي بعـد رسـول الله _صلى الله عليه وسلم_، ونحـن نقـوم بمهمـة الدعـوة والتصحيـح وتعبيـد النـاس لله سـبحانه وتعـالى.

يقول سبحانه: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النسـاء:123]، وهـذا يعنـي أنـه ليـس الديـن بالتمني، وليسـت الجنـة والقـرب مـن الله بمجـرد التمني[2]، وتعني أيضًـا أنـه ليـس دخـول الجنـة أو الفضـل أو القـرب مـن الله والخـلاص مـن عذابـه يحصـل بمجـرد التمني[3].

والدعـوة تكـون بـكل الوسـائل والطـرق التي شرعهـا الله تعـالى بالكلمة والموعظـة وكل الطـرق البشريـة مـا لم تكـن محرمـة، وأخيرًا تكـون بالقتـال الذي هـو ذروة سـنام الإسـلام، وأفضـل الطـرق وأشرفهـا عنـد الله تعـالى وعنـد رسـوله لمـا فيـه مـن المشـقة والتعـب والجـرح والأسر والقتـل.

(1) عبد الرحمن محمد العيسوي: «علم النفس»، ص 19.

(2) وهبـة الزحيلي، محمـد عدنـان سـالم، محمـد بسـام رشـدي الزيـن، محمـد وهبي سـليمان: «الموسـوعة القرآنيـة الميسـرة، في تفسـير سـورة النسـاء»، الآيـة 123، ص99، الطبعـة الثالثـة.

(3) د. محمـد سـليمان عبـد الله الأشـقر: «زبـدة التفسـير مـن فتـح القديـر»، وهـو مختـصر مـن تفسـير الإمـام الشـوكاني، «فتـح القديـر الجامـع بـين فنـي الدرايـة والروايـة مـن علـم التفسـير»، في تفسـير سـورة النسـاء، الآيـة 123، ص123، الطبعـة الرابعـة.

يقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 142]، والجهاد هو المفهوم الأوسع والأشمل، أما القتال فهو نوع من أنواع الجهاد أو جزء منه والأصل هو الغاية من الجهاد، فإذا تحققت الغاية دون قتال مباشر فلا داعي له، فالقتال ليس غاية، فعندما كان رسولنا الكريم _صلى الله عليه وسلم_ يسيّر الجيوش كان يأمرهم بالتخيير بين الإسلام وأن يكونوا جزءًا من هذه الأمة وبين دفع الجزية والبقاء على معتقداتهم أو القتال حين رفض الخيارين، فالهدف هو تعبيد الناس لله وحده، فإن رفضوا فالحكم لله ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256]، لكن حكم الأرض والقانون المدني يجب أن يكون للإسلام وهذا معنى الجزية، «فالجزية هي المال المأخوذ بالتراضي من المعاهدين لإقامة غير المسلمين في ديار المسلمين، والحفاظ عليهم، وشرّع الإسلام الجزية التي يدفعها أهل الكتاب ومن في حكم المعاهدين إلى المسلمين»[1]. فإذا دفع من لا يعتقد الإسلام دينًا مقابل أن يجري حكم الإسلام في المجتمع الذي يعيش فيه، يجب على الدولة أن تساويه في الحقوق وتدافع عنه مثله كأي مسلم.

ثم يأتي القتال في حال رفض العقيدة ورفض الشريعة مع الجزية، فالقتال ليس على العقيدة أصلًا، والعقيدة يجب أن تكون بالإقناع والرضا والقبول، «لا إكراه في الدين»، والقتال له قوانين سنتعرف عليها فيما بعد إن شاء الله.

(1) عبد الكريم عكاش: «فقه الناشئ المسلم»، ج12، الجنايات»٣»، ص35.

والقوانين التي يجب أن يتحاكم إليها المجتمع يجب أن تكون حسب الإسلام ورؤيته لأمرين:

(1) إبراز الأدلة وطرح البراهين على أن هذا أمر الله سبحانه للبشرية جمعاء سواء كانوا مقتنعين أم لا.

(2) إن أمر الدنيا لا يصلح إلا بقانون الله تعالى؛ لأنه هو الذي خلق البشر، وهو العليم بهذه الخليقة وما يصلح لها وما لا يصلح لها.

متى أذن للمسلمين بالقتال؟

لقد اختلف العلماء بين أول آية نزلت في الإذن بالقتال، هل الآية ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: 190]، أم الآية ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:39]، وفي النهاية أجمع الجمهور على أن الآية (190) من سورة البقرة هي الأولى وأنها هي العامة، أما الآية (39) من سورة الحج هي الثانية، ولكن المتفق عليه بالإجماع أنهما نزلتا بعد الهجرة، أي بعد أن أصبح للمسلمين دولة، ويقول العلماء إن السبب يعود لأمرين:

(1) أنه لا يوجد كيان ودولة للمسلمين أي سلطة سياسية يجتمعون تحت رايتها ويقاتلون تحت رايتها.

(2) الضعف وعدم التمكين حيث كان المسلمون في مكة مستضعفين وأصبح لهم قوة ومنعة في المدينة.

وهذان الشرطان يعتبرهما العلماء واجبين للبدء بنشر الدعوة بالقتال بالسلاح، وإذا لم يتوفرا فذلك مطلوب من أفراد الأمة، والمطلوب الأول هو جمع الشمل وبناء الدولة وهذه تكون المهمة الأولى.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، فالآية توضح كيفية الوصول إلى محبة الله سبحانه وتعالى، ومن طرق الوصول لهذه المحبة:

(أ) القتال (الترغيب في الجهاد).

(ب) فليكن الجهاد في سبيل الله.

(ت) رص الصفوف الجهادية.

وهنا نستعرض بعض التوضيحات لهذه الطرق:

(أ) القتال (الترغيب في الجهاد):

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]. «لقد شبه الله المقاتلين في سبيله في تماسكهم وقوة إيمانهم وصلابتهم للعدو وتصديهم له بالبنيان الذي «رص» بعضه الى بعض رصًا»[1].

«وقد وصف المشبه به «بنيان» بقوله تعالى «مرصوص» أي قائم، ولولا هذا الوصف لما جاء التشبيه بهذه المنزلة من الدقة والقوة؛ لأن البنيان قد يكون إذا لم يوصف بوصف يفيد الاحتراس «آيلًا للسقوط» أو ساقطًا،

(1) الزمخشري: «الكشاف»، 4/ 418.

فجاء الوصف في الآية الكريمة دافعًا لإرادة شيء من هذا مفيدًا لقوة البنيان وشدة تماسكه»[1]، وقال الراغب: «كأنهم بنيان مرصوص» أي محكم كأنما بني بالرصاص[2] هذا بالنسبة لرص الصفوف أما بالنسبة للقتال:

فإنه يحتاج إلى آلة للتدريب، كما يحتاج إلى جسم للتدرب عليه كما يحتاج إلى معرفة بفن القتال، ومن استكمل هذا ولم تكن له جرأة أو شجاعة فليس من أهل القتال، ومن فرط بواحدة من هذه لم يصلح أن يكون مقاتلًا بالمعنى الصحيح[3].

فكل مسلم مجاهد يجب عليه بذل الجهد الفردي للتمرس على القتال وإعداد نفسه بكل ما أوتي من قوة سواء القوة الجسمانية أو العدة والعتاد كالسلاح، فعلى المسلم المجاهد في سبيل الله أن يعد دائمًا في حدود المتاح والممكن من عدة القتال، وعليه أن يكون ماهرًا في استعمالها، وعليه أن يراعي جسمه ويجعله في وضع يساعده على القتال كالتعرف على فن القتال بأنواعه، وأن يكون جريئًا شجاعًا لا يخاف إلا الله وحده[4].

فعن أبي سعيد الخدري _رضي الله عنه_ قال: قيل يا رسول أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»، قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره»[5].

(1) د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعمي: «خصائص التعبير القرآني، وسماته البلاغية»، الجزء الأول، الفصل الثاني، ص 238.
(2) المصدر السابق.
(3) سعيد حوى: «حنين لله»، ص 241.
(4) المصدر السابق.
(5) رواه البخاري في صحيحه «1205»، أطرافه في «6494»، وأخرجه مسلم «1888».

ومن ضمن عدة القتال «السلاح الفردي»، وقد كان قديمًا السيف والسهم، وحديثًا السلاح الناري، ولكن إذا ما لم يتم الحصول على السلاح الناري وجب التسلح بالمستطاع كما فعل المجاهدون الفلسطينيون حديثًا في انتفاضة القدس والتي فجّرها الشهيد المجاهد/ مهند الحلبي[1] في 03/ 10/ 2015م حيث استطاع من خلال السكين أن يقتل صهيونيين ويصيب ثلاثة آخرين وأن يفجّر انتفاضة القدس المستمرة لأكثر من 4 سنوات في قتال الاحتلال الصهيوني من تاريخ كتابة هذه الرسالة.

والواجب على حامل السلاح الفردي أن يكون ماهرًا في استخدامه واستعماله؛ لإيقاع أكبر عدد من القتلى والجرحى في صفوف العدو، والقصد من المهارة والمعرفة بالاستعمال هو إصابة الهدف، وهناك عدة نصوص حضت المسلم على مهارة إصابة الهدف منها:

فعن فقيم اللخمي، قال: «قلت لعقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير ويشق عليك؟ فقال: لولا كلام سمعته من رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أعانيه. قلت: وما ذاك؟ قال: سمعته يقول: «من تعلّم الرمي ثم تركه فليس مني، أو قد عصى»[2].

(1) مهند الحلبي: شاب فلسطيني من مواليد مدينة البيرة في الضفة الغربية المحتلة، أعلن على مواقع التواصل الاجتماعي أنه حسب ما يرى أن انتفاضة القدس قد ابتدأت، وفي اليوم التالي قام بتنفيذ عملية طعن في القدس المحتلة بتاريخ 03/ 10/ 2015م مما أدى إلى اندلاع انتفاضة القدس والتي أخذت الطابع الفردي في عمليات الطعن والدهس وأشكال أخرى من إطلاق نار، علمًا أن الشهيد المجاهد/ مهند الحلبي لم يكن ضمن جناح عسكري، بل كان ناشطًا في الرابطة الإسلامية (الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بجامعة القدس «أبو ديس»)، ولكنه اختار الأداة والمكان المناسب وباغت العدو واغتنم الفرصة المناسبة ليوقع أكبر ضرر للعدو.

(2) رواه مسلم.

وعن سلمة بن الأكوع، قال: خرج النبي _صلى الله عليه وسلم_ على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا»[1].

وعن عقبة بن عامر عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:60]، «ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي»[2].

والقصد من الإعداد الجسماني أن يجعل جسمه قادرًا على القتال بـ:

أن يواصل المجاهد المسلم العناية بجسمه وتدريبه بحيث يبقى على لياقة وتدريب ومهارة كاملة تساعده على القتال، فورد في الحديث الصحيح أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[3].

«والتعرف على فن القتال، أن يكون المجاهد ملمًا بالقتال الفردي إلمامًا تامًا فيعرف كيف يقاتل في شارع، أو غابة، أو سهل أو أمام دبابة، أو مدفع أو مجموعة أو على طريق حرب العصابات»[4].

والواقع الذي نعيشه في ظل وجود التكنولوجيا وتطور المنظومة العسكرية يدفعنا للتدرب على الوسائل التكنولوجية، والإلمام والخبرة والكفاءة العالية لمواجهة أجهزة الاحتلال الصهيوني وعملائه، سواء داخل فلسطين أو خارجها من بلاد الإسلام، فلذلك وجب على كل فرد منا

(1) رواه البخاري.
(2) رواه مسلم والترمذي وأبو داود.
(3) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد.
(4) سعيد حوى، جند الله، ص 243.

الإلمام بفن القتال لمواجهة أعداء الله.

والمقصد من الجرأة والشجاعة يتجسد في الإرادة وهي التي تجعل المجاهد المسلم أكثر صبرًا وثباتًا على خطوط الجهاد وخوض المعركة حتى النهاية بكامل التصميم على النصر، فقول الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي ـ رحمه الله ـ: «تقديم الواجب على الإمكان»، كان بمثابة المحفز الرئيس للمسلمين المترددين في قتال أعداء الله في فلسطين.

يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [الأنفال: 15]، فمعنى «فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ» لا تعطوهم ظهوركم منهزمين، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16]، فهذه من أساسيات القتال.

(ب) فليكن الجهاد في سبيل الله:

أيها المجاهد اصدق مع الله؛ لأنك جزء من هذه الدنيا وركن من أركان النصر، وتذكر أنك مسؤول عن الطريق التي تسير بها، والسير بطريق الحق وصول وإن لم تصل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: 4]، فالقتال لا يكون جهادًا إلا إذا قصد به وجه الله سبحانه وتعالى، والقتال من أجل الدنيا ليس في سبيل الله[1]، ولا يكون

(1) مصدر سابق.

القتـال في سـبيل الله إلا إذا توافـر بـه شرطـان أساسـيان همـا:

- أن يقصد بالقتال وجه الله والالتزام في طريقه.

- أن يكون بما شرع الله وعلى ما شرع وكما شرع.

إن الانتصـار والهزيمـة أحيانًـا لا تكـون بمفهـوم الربـح والخسـارة فقـد يتحقـق النـصر واقعيًـا، ولكـن مـن داخـل المنتـصر قـد يكـون هنـاك ضعـف وانكسـار، وكذلـك العكـس لـذا يجـب أن يكـون السـاعي للجهـاد في سـبيل الله صاحـب عـزة وانتصـار واثـق بـالله.

(ت) رص الصفوف الجهادية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، كثيرًا ما تخطئ الجيوش المقاتلة في سبيل الله وهي على طريق الحق، وهذه الأخطاء قد تؤثر على سير هذه الجيوش رغم قسوتها، ولكن معية الله سرعان ما ترجع هذه الجيوش إلى خط سيرها؛ لأن الجهاد في سبيل الله ثابت وجنود الله هم من يتغيرون.

فحرب البنيان المرصوص التي خاضتها فصائل المقاومة الفلسطينية إلى جانب الشعب الفلسطيني ضد اليهود المغتصبين للأرض المقدسة عام 2014م واقع حي على عودة المجاهدين إلى طريق الحق حيث أقدم المجاهدون وهم مقبلون على هزيمة عدوهم في كل أماكنه، وكان هذا الإقبال ضربًا من العجاب في هذا الزمان حيث تحمل الشعب الفلسطيني

في غزة العبء الأكبر وارتقاء أكثر من 2200 شهيد و10 آلاف جريح»[1]، وإزالة أحياء سكنية كاملة بأداة الإجرام الصهيونية سواء من سلاح الجو أو المدفعية، وهذا دفع أصحاب العقيدة رغم تعدد أسمائهم الفصائلية إلى:

- خوض اشتباكات مسلحة، وتحويلها إلى مربعات أمنية على يد سرايا القدس (الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين).

- خطف عدد من الجنود الصهاينة من قبل كتائب الشهيد عز الدين القسام (الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس).

- كشف عورة العدو والدخول إلى معسكراته، وذلك من خلال التسلل خلف الخطوط الفاصلة عن طريق الأنفاق الهجومية.

- عنصر المفاجأة من خلال الإعداد والكشف عن العديد من الأسلحة النوعية التي بثت في قلوب العدو الرعب، مما أدى إلى مكوثه في الملاجئ مثل الراجمات الصاروخية والصواريخ طويلة المدى على يد سرايا القدس، وكذلك إطلاق كتائب القسام لطائرات الأبابيل نحو المدن المحتلة ضمن تكتيك ممنهج مع باقي الفصائل.

- تكاتف المقاتلين من كتائب شهداء الأقصى (الجناح العسكري لحركة فتح) والعديد من الكتائب والألوية العسكرية التابعة للفصائل إلى جانب بعضها البعض وإطلاقها لصواريخ الكورنيت الموجهة.

- إرغام العدو الصهيوني على الهرولة نحو الانهزام، والطلب من

(1) كريس هيدجز: مقال في «مركز إدراك للدراسات»، 17/ 05/ 2021م.

الوسطاء إبرام هدنة مع الفصائل الفلسطينية رغم تغنيه المستمر بأنه الجيش الذي لا يقهر، محاولًا بذلك التقاط أنفاسه.

- تأسيس غرفة العمليات المشتركة لكافة فصائل المقاومة في قطاع غزة؛ لتعزيز الصمود والثبات.

وهنا نشير إلى أن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين أطلقت اسم (البنيان المرصوص) على حرب العام 2014م؛ مستوحية ذلك من القرآن الكريم (سورة الصف)، ومن السيرة النبوية العطرة، وتوجّت الفصائل المجاهدة للشعب الفلسطيني بأسمى آيات النصر لوثوقها بنصر الله النابع من القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، فحب الله للمقاتلين يكون أبسط جزاء عليه هو الظفر بالنصر فضلًا عن الجزاء الأعظم ألا وهو الجنة، فحرب البنيان المرصوص هي الحرب التي شنها العدو الصهيوني على قطاع غزة في عام 2014م واستمرت 51 يومًا والتي تحطمت المنظومة الأمنية الصهيونية فيها، وخاصة منظومة الأمن العام الشاباك القائم على مبدأ حسم المعارك بأقصى سرعة ممكنة وبأقل تكلفة مادية وبشرية، ورغم عدم تكافؤ الإمكانيات المادية والعسكرية بين الشعب الفلسطيني وفصائله مع العدو الصهيوني وانكشاف ظهر المقاومة وطعنها من قبل بعض الدول العربية الغادرة، وغياب العمق الاستراتيجي إلا أن المقاومة استطاعت أن تجّر أعتى الجيوش إلى منحدر الانهزام والخضوع لكونهم اتبعوا أمر الله سبحانه، ورصوا صفوفهم، وتناوبوا بالأدوار الجهادية.

بيد أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وجناحها العسكري (كتائب الشهيد عز الدين القسام) اتخذت من «العصف المأكول» اسمًا لهذه المعركة لتكون بداية النهاية للوجود الصهيوني، مذكرة له بحادثة أبرهة الأشرم الذي أتى لهدم الكعبة فأرسل الله جنوده، وأنزل الآيات المباركة التي تتلى إلى يوم القيامة، وكيف آلت جنوده وعتاده فأصبح كالعصف المأكول تائهًا، إن كتائب القسام قد سبق لها وأن أطلقت على حرب 2012م اسم حجارة السجيل، وهذه المسميات المستوحاة من القرآن والسنة لا تقل أهمية عن العتاد العسكري الذي بمجمله يصب في تثبيت قلوب المؤمنين وبث الرعب في قلوب الكافرين وإحراز النصر، وهذه الأسماء هي جزء من الحرب النفسية التي هي جزء مهم من الحرب العسكرية.

وأورد لنا التاريخ بين طياته الثورة الجزائرية والتي تمثل نصرها عندما رصّ مجاهدو الجزائر صفوفهم في خمسينات القرن المنصرم حيث وحدت الجهات الجبهات والأحزاب صفوفها في جبهة واحدة ضد الاحتلال الفرنسي حتى تم دحره وهو يجر أذيال خيبته، لتنال الجزائر حريتها عام 1962م.

الجهاد في الإسلام وبعض صوره وأحكامه

أولًا: الجهاد الخاص:

وهو قتال الكفار والمحاربين، وحكمه فرض كفاية، أي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع، ويسقط

فرضه بغزوة واحدة في السنة، وله اسم ثان وهو جهاد الطلب[1]. يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122].

ثانيًا: جهاد الدفع:

«وهو الجهاد من أجل الدفاع عن النفس والمال والعرض والأرض وما إلى ذلك، وهذا النوع من الجهاد حكمه فرض عين على جميع المجتمع المسلم، ولا يشترط في وجوبه غير الإسلام والعقل والبلوغ».[2]، وهو يتعين على المسلمين في حالات عدة منها:

(1) احتلال الكفار لأي شبر من أراضي المسلمين.

(2) تقابل الصفوف في المعركة إذا كان عدد المجاهدين نصف جنود الكفار أو أكثر من ذلك فلا يجوز للمجاهدين الانسحاب أو الهرب.

(3) إذا استنفر الإمام (الأمير، القائد) أحدًا بعينه، لقوله _صلى الله عليه وسلم_: «إذا استنفرتم فانفروا»[3].

(4) إذا أسر الكفار أسرى من المسلمين ولم يستطع المسلمون إعادتهم بغير قتال وجهاد»[4].

(1) د. عبد الرحمن العيسوي: «علم النفس العسكري»، ص 19.
(2) محيي الدين بن زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي: «رياض الصالحين»، وكالة المطبوعات، الكويت، 1970م.
(3) متفق عليه.
(4) د. إياد عطا أبو فنون: «المختصر المفيد للطالب الجديد»، الطبعة الثانية، 2014م، طبعة مسجد الهدى، ص 40.

وهـذا النـوع مـن الجهـاد نشـاهده بشـكل متكـرر ومسـتمر في القـدس المحتلـة حيـث الربـاط والدفـاع عـن المسـجد الأقـصى رجـالًا ونسـاءً وشـيبًا وشـبانًا، فهـم متيقنـون مـن قـول سـيدنا محمـد _صـلى الله عليـه وسـلم_: «مـن قتـل دون مالـه أو دون عرضـه أو دون أرضـه فهـو شـهيد»[1].

وفي هـذا النـوع مـن الجهـاد يجـوز أن يكـون الجهـاد بـلا إمـام أو حاكـم، وبـلا دولـة، وبشـكل فـردي أو جماعـي، وبـأي شـكل مـن الأشـكال التـي تتـاح للمسـلم وبـكل الوسـائل المشروعـة، ويجـوز للمـرأة أن تخـرج للجهـاد دون إذن زوجهـا، والعبـد دون إذن سـيده، والولـد دون إذن والـده، لقولـه _صـلى الله عليـه وسـلم_: «جاهـدوا المشركـين بأموالكـم وأنفسـكم وألسـنتكم»، فالجهـاد في الإسـلام يتخـذ شـكلًا شـموليًا عامًـا، فهو باليـد والمال واللسـان والقلـب[2].

43

وهنـا نـود أن نوضـح أنـه لا يجـوز السـبي مطلقًـا؛ لأن أصـل السـبي اسـترقاق في دولـة الإسـلام، ومـا دامـت دولـة الإسـلام غـير قائمـة ولا تقـدر عـلى اسـترقاقهم فـلا يجـوز إطلاقًـا.

نشـير أن هـذه الصـورة مـن صـور الجهـاد هـي قائمـة بمشـاهد حيـة في أرض الربـاط فلسـطين، وأهـل فلسـطين سـائرون عـلى قاعـدة الرسـول _صـلى الله عليـه وسـلم_: «مَـن مـاتَ ولم يغـزُ ولم يحـدِّث نَفسَـهُ بالغَـزوِ مـاتَ علَى شُـعبةٍ مـن نفـاقٍ».

(1) رواه البخاري وأخرجه أحمد.
(2) أبـو بكـر جابـر الجزائـري: «منهـاج المسـلم»، مكتبـة الدعـوة الإسـلامية، مكتبـة الأزهـر، القاهـرة، 1964، ص 349.

ثالثًا: الجهاد ضد الشيطان:

يكون هذا الجهاد بدفع كل ما يأتي به الشيطان من الشبهات، وترك ما يزينه من الشهوات لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: 5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 6]، وتبدو وظيفة الجهاد في المجال الإيماني والتمسك بالقيم الروحية والأخلاقية والمثل العليا ونبذ وطرد إغراءات الشيطان، وهذا النوع من الجهاد من شأنه أن يجعل المرء يتمتع بالصحة العقلية، والنفسية الجيدة، فضلًا عن حلاوة الإيمان والنقاء والصفاء والطهر والطهارة والعفة والصدق والأمانة، وما إلى ذلك من القيم الإسلامية الأصيلة.[1]

رابعًا: جهاد الكلمة:

إن الجهاد غير مقتصر على القتال بالسلاح بمختلف أنواعه، فهناك قتال من نوع آخر لمن لا يستطيع حمل السلاح ألا وهو باللسان، فبإمكان صاحب العقيدة أن يؤثر في مجتمعه ومحيطه ويحضهم على الجهاد في سبيل الله، فهذا القتال المعنوي يتمثل جزء منه بقوة الكلمة، فالشهيد عز الدين القسام _رحمه الله_ كان خطيبًا مفوهًا، وكان يسخّر خطبه للحض على الجهاد ضد الإنجليز والصهاينة، فالكلمة ترسخ الفكرة، والفكرة تولد صوابية الموقف وإن كان أقل كلفة.

والشهيد الدكتور فتحي الشقاقي _رحمه الله_ جند جحافل المجاهدين ببراعة خطابه الذي أصاب العدو في مقتل بلا رصاص، وبث

(1) د. عبد الرحمن العيسوي: «علم النفس العسكري»، ص 20.

الرعب في نفوس رؤوس الكفر، وكان لخطاباته أثر بالغ في استنهاض الجماهير وتثويرهم ضد الاحتلال.

فقوة الكلمة التثويرية أحيانًا يكون لها تأثيرها وفاعليتها كالقنابل إن أحسن القائد انتقاء الوقت والظرف والمكان لإلقاء خطابه، والذي يكون بمثابة الشرارة التي تشعل فتيل انتفاضة ضد العدو وتتجاوز كل الحدود وتضع حدًا لسنوات الاحتلال والمهانة والإذلال.

خامسًا: جهاد الطلب:

يقول سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: 193].

ويقول أيضًا: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: 190].

وهذا النوع من الجهاد هو أن يطلب العدو في عقر داره، أي أن يذهب المسلمون إليه دعاة ومبلغين، فإن رفض العدو دعوة الله قوتل، وهذه الأحكام واضحة تمامًا، فلا قتال إلا لمن رفض الدخول في عقيدة الإسلام، ثم أتبع ذلك رفضًا للشريعة الإسلامية، إذا هو من بدأ المسلمين بالقتال، والسبب واضح في الآية الأولى «حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ»، أي حتى لا يكون كفر، والكفر هو أساس الفتن.

حكم جهاد الطلب:

(1) إن هـذه الصـورة مـن الجهـاد لا يقـوم بهـا إلا الدولـة الإسـلامية والحاكـم أو الخليفـة، ولا خـلاف عليـه عنـد جميـع المسـلمين ولا يقبـل العقـل غـيره إطلاقًـا.

(2) هـذا الجهـاد لـه غايـة محـدودة وهـي تحكيـم قانـون الإسـلام عـلى المجتمعـات وليـس إكـراه النـاس عـلى العقيـدة الإسـلامية، وإن كانـت غايـة الإسـلام جعـل النـاس يعبـدون الله سـبحانه حسـب مـا جـاء بـه الإسـلام، لكـن ذلـك يـأتي عـبر تحقيـق حكـم الله بـين النـاس اجتماعيًـا وفتـح الطريـق للدعـوة الإسـلامية، وهـذا مـا حصـل في غالبيـة الفتوحـات الإسـلامية.

(3) هـذا الجهـاد كان سـببًا في نـشر الإسـلام والدعـوة إلى الله، لذلـك لا يجـوز فيـه الاعتـداء عـلى الصبيـان والأطفـال والنسـاء اللـواتي لا يقاتلـن في أي حـال مـن الأحـوال ويتبـع ذلـك الرهبـان في الصوامـع، ولمـا نزلـت سـورة بـراءة نـزل بهـا الأحـكام لعـدة أقسـام مـن الجهـاد فأمـر فيهـا «أن يقاتـل المسـلم عـدوه مـن أهـل الكتـاب حتـى يعطـوا الجزيـة أو يدخلـوا الإسـلام، وأمـر فيهـا بجهـاد الكفـار والمنافقـين والغلظـة عليهـم، فجهـاد الكفـار بالسـيف والسـنان، والمنافقـين بالحجـة واللسـان، وأمـر فيهـا بالـبراءة مـن عهـود الكفـار، ونبـذ عهودهـم إليهـم»[1].

وإذا كان الرهبـان لا يحرضـون عـلى القتـال ولا يقاتلـون فـلا يجـوز سرقتهـم ويـترك لهـم مرقدهـم إلا إذا غـدروا، وكذلـك النسـاء إذا كانـت امـرأة

(1) ابن القيم: «زاد الميعاد في هدي خير العباد».

تحرض الرجال على القتال ونفشت شعرها وأخذت تولول للاستعطاف وقتال المسلمين فإنها تقاتل.

وتسير هذه الإجراءات على العمال والفلاحين، والهدف ليس القتل والتدمير والخراب، بل التعمير والإصلاح بعد الدعوة إلى الله؛ لذلك الأموال المنقولة والمزارع والمزروعات والعقارات لا يجوز مسها، وهؤلاء الناس هم في بلادهم، ولم يعتدوا كي نحاسبهم مثل المعتدين، والجهاد هو بغية للحفاظ على الأموال والأنفس لذلك لابد من تنفيذ أوامر الله والنهي بنواهيه، يقول سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

ولقد ورد في بعض الروايات أن هذه الآيات من سورة البقرة (190 – 195) هي أول ما نزل في القتال، ونزل قبلها الإذن من الله للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار بأنهم ظلموا، وأحس المؤمنون بأن هذا الإذن هو مقدمة لفرض الجهاد عليهم، وللتمكين لهم في الأرض كما وعدهم الله في آيات سورة الحج ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾. [الحج: 39–40].

ومن ثم كانوا يعرفون لم أذن لهم «بأنهم ظلموا»، وأعطيت لهم إشارة الانصاف من هذا الظلم بعد أن كانوا مكفوفين عن دفعه وهم في مكة»[1]، ومما يتعلق بجانب الإنفاق كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله (الإنفاق لتجهيز المقاتلين)، وصاحبت الدعوة إلى الجهاد الدعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع والإمساك عن الإنفاق في

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، دار الشروق، القاهرة، ج1، ص 185.

سبيل الله تهلكة للجماعة بالعجز والضعف، وبخاصة في نظام يقوم على التطوع كما كان يقوم الإسلام، ثم يرتقي بهم من مرتبة الجهاد والإنفاق إلى مرتبة الإحسان هي أعلى المراتب في الإسلام، وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة فإنها تفعل الطاعات كلها، وتصل إلى الانتهاء عن المعاصي كلها، وهذا هو التعقيب الذي ينهي آيات القتال والإنفاق في كل النفس في أمر الجهاد إلى الإحسان».[1]

والآية (195) من سورة البقرة قال البعض من المفسرين للقرآن الكريم أنها تعني أن من ترك الجهاد والنفقة على الجهاد في سبيل الله فإنه بذلك يلقي بنفسه إلى التهلكة والهلاك، وهذا حكم مبدئي بعدم ترك الجهاد مطلقًا، وإذا ترك الجهاد ذهبت المنعة للأمة فهلكت، وكذلك ترك الأمر الله ونشر الإسلام.

وتذكر الآيات (216، 217، 218) من سورة البقرة وفيها فرض للجهاد على الأمة في كلمة (كتب) كما في تفسير الجلالين فهو واجب بالإجماع وبدونه لا يستقيم أمر الإسلام، و(عسى) تعني الوجوب والتأكيد فهو الخير، وفيه الخير للأمة وللإسلام وللبشرية جمعاء، «ولميل النفس إلى الشهوات الموجبة ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيرًا لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شر؛ لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر»[2]، فبالظفر تحفظ الأموال والأنفس والأعراض والديار، وما يتلوها من مؤسسات ومقومات الحياة.

(1) المصدر السابق، ص 192، بتصرف.

(2) العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والعلامة جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: «تفسير الجلالين».

هذا بالنسبة للأجر الدنيوي، أما الأجر الثاني فهو أجر الآخرة الذي نجنيه بعد تطبيق وتنفيذ قانونه سبحانه وتعالى في طاعاتنا وجهادنا، وكذلك خير الشهادة وما بها من ميزان في الجنة، فيقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: 88-89].

وفي الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فقال دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «لا أجده»، قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟» قال ومن يستطيع ذلك؟».[1]

واختلف العلماء على القتال في الأشهر الحرم وكان لكل منهم أدلته، لكنهم أجمعوا أنه إن اعتدي على المسلمين في أي زمان أو مكان فالقتال واجب حتى لو كان في الحرم، ومثاله ودليله يوم بيعة الرضوان حين أشيع أنه قتل عثمان بن عفان فأخذ الرسول _صلى الله عليه وسلم_ البيعة على قتال المشركين وهو في الأشهر الحرم.

(1) رواه البخاري في صحيحه «1204»، وأخرجه مسلم «1898».

الوهن والضعف والاستكانة

يقول سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. [آل عمران: 139].

الربيون هم الجموع الكثيرة، والوهن هو الجبن، وإنكار الجبن بالخوف والاستكانة والخضوع للعدو والذلة.

فثلاث أحوال نهى عنها سبحانه وتعالى أن تكون من صفات المجاهد، وهي ضرورية جدًا لتحقيق الهدف المرجو من الجهاد، وهي:

أولًا: البعد عن الوهن، وهذا هو الذي قال فيه ـصلى الله عليه وسلمـ: «هو حب الدنيا وكراهة الموت»، بمعنى كراهية ترك هذه الحياة الدنيا وبالتالي الخوف من القتل في القتال، فلذلك لا يمكن أن يجتمع في قلب المجاهد المؤمن الصادق جهاد في سبيل الله ووهن.

ثانيًا: البعد عن الضعف: وهو ما أمر الله تعالى بعكسه حين قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، فالقوة ضد الضعف حتى قبل المعركة وأثناء هدوء الحرب لابد من الإعداد وبذل الجهد والطاقة في الإعداد والتحضير بكافة أشكاله العسكرية والمادية والإعلامية والتربوية.

فالإعداد الجهادي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الإعداد الإيماني الشرعي، والذي يتم من خلال:[1]

1. أصول العقيدة ونواقضها لتجنب الوقوع فيها.

2. إخلاص النية للجهاد، فالجهاد لا يقبل بلا نية.

3. معرفة أحكام الجهاد والأحكام المتعلقة بالدماء.

4. معرفة أحكام الإسلام وما يتعلق بالعبادات.

القسم الثاني: الإعداد العسكري والمادي، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال:60]، وفي تفسير هذه الآية الكريمة قال _صلى الله عليه وسلم_: «ألا إن القوة الرمي»، والمقصود بالرمي القوس وهو السلاح الناري في حاضرنا بدلًا من القوس، وهناك أيضًا الصواريخ والعديد من الوسائل القتالية، وقال _صلى الله عليه وسلم_: «من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصى»[2]، كما يضاف إلى هذا الإعداد، الإعداد المادي من جمع أموال وحسن التخطيط والأخذ بالأسباب الأمنية، فلا يكفي أن يكون السلاح فقط للدفاع أو الهجوم، بل يجب أن يكون رادعًا يبث الرعب في قلب العدو.

(1) د. إياد عطا أبو فنون: «المختصر المفيد للطالب الجديد»، الطبعة الثانية، 2014م، ص 41-42، بتصرف.

(2) ضعيف الجامع، حكم الألباني ضعيف، ورواه البخاري في صحيحه «فليس مني أو قد عصى».

ثالثًا: عدم الاستكانة والخضوع والذلة والاتكال على أحد أو على حلم الماضي، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:10].

فالتوكل والاعتماد على الله سبحانه وطلب النصر منه وحده وعدم الاعتماد على ما تم الإعداد له معنويًا وجسديًا؛ لأن الله هو النصير فمعية الله والوثوق به يجب أن تكون ملازمة للإعداد والجهوزية؛ لأن الجهاد هو في سبيل الله، والمبادرة في الجهاد من العبد المقدام، يقول الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي: «يجب أن يتقدم الواجب على الإمكان»، وقال أيضًا: «إن علينا شحذ السيوف اليوم»، وقول الشقاقي رحمه الله دلالة على أنه يتوجب على المجاهد عدم التأخر عن تأدية واجبه؛ لأنه في تأخره عن تأدية واجبه يعطي الفرصة لعدوه للنيل من المسلمين وأعراضهم وأموالهم والتغول بديارهم.

«والذين لا تضعف نفوسهم، ولا تتضعضع قواهم، ولا تلين عزائمهم، ولا يستكينون أو يستسلمون، والتعبير بالحب من الله للصابرين له وقعه وله إيحاؤه فهو الذي يألو الجراح، ويمسح على القرح، ويعوض ويربو عن الضر والكفاح المرير».[1]

إن المجاهد إذا فعل ما نصت عليه الآية الكريمة بصبر وثبات وهذا هو الشرط الرئيس دائمًا بالإضافة للتوكل على الله، والجهاد بلا صبر لن يكون جهادًا؛ لأن جميع الأمور مترابطة مع بعضها، في الآية الكريمة قال

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج1، ص 488.

سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142].

التولي يوم الزحف

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15-16]، والآية الكريمة تشير بكل وضوح إلى التولي في المعركة؛ لذا وضع الرسول _صلى الله عليه وسلم_ التولي بقوله: «اجتنبوا السبع الموبقات.. وفيه التولي يوم الزحف»، وهذا نص واضح من الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة[1] عن عظم الإثم والعاقبة لهذا التولي، وفصّله علماؤنا فقالوا: اعتمادًا على الحكم من القرآن فإن الهروب من القتال إما ضعف العدد فهو موبقة وما بعد ذلك فالخيار للمقاتلين إما الثبات أو الفرار، «ويبدو في التعبير القرآني شدة في التحذير، وتغليظ في العقوبة، وتهديد بغضب من الله ومأوى في النار»[2]، وأنه إذا تحقق أمام القائد الموت الساحق والإبادة التامة لجيش المسلمين وكان باستطاعته الفرار بالجيش من الموت المحقق جاز ذلك للحفاظ على بقائه وإعادة ترتيب الصفوف، والفرار يعتبر نكوصًا وهربًا إلا لمن كان يسير وفق خطة أحكمها أو ذهب ليساعد جبهة من جبهات القتال، وإن كان ظاهره

(1) صحيح مسلم.
(2) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج3، ص 14-87.

نكوصًا إلا أن الأعمال بالنيات، وفي هذه الحالة تتبع الخطة والمكيدة، وفي ذلك قال صاحب الظلال: «معنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [الأنفال: 15-16]، أي متدانين متقاربين متواجهين فلا تفروا منهم إلا أن يكون ذلك مكيدة حرب».[1]

وفي حالة الجهاد التي يعيشها الشعب الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني فإن أحكام التولي لا تنطبق عليه في جهاده الفردي؛ لأنه لا يقاوم ضمن جيش واضح القوام إنما يقاتل ضمن مجموعات صغيرة.

ولا يعتبر الهروب هروبًا بالمعنى الصحيح إنما هو تكتيك وأسلوب في حرب العصابات، والفلسطيني لا يقاتل في حرب نظامية، وإن كان العمل الجهادي منظمًا كما هو الحال في غزة، وإدارة المعارك ضمن توجيهات القيادة وبخطط محكمة، ولكنه يبقى نظامًا محدودًا بالعدة والعتاد والرجال مقارنة بالعدو الذي يواجهونه، بغض النظر عن التطورات الملموسة في العمل الجهادي والمقاوم على الساحة الفلسطينية إلا أن هذا الجهاد يبقى تحت إطار جهاد الدفع.

(1) المصدر السابق، ص 14-87.

الهدنة

*** الهدنة من منظور شرعي:**

يقول سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61]، فالجنوح هو الميل والسلم أو السلام، ويقصد به هنا الصلح «والتعبير عن الميل إلى السلم بالجنوح تعبير لطيف يلقي ظل الدّعة الرقيق فهي حركة جناح يميل إلى جانب السلم ويرخي ريشه في وداعة، كما أن الأمر بالجنوح إلى السلم مصحوب بالتوكل على الله السميع العليم الذي يسمع ما يقال ويعلم ما وراءه من سرائر، وفي التوكل عليه الكفاية والأمان.»[1]

وورد في أقوال بعض العلماء أن هذا المعنى منسوخ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ [محمد: 35]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:36]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: 5].

وأجمع الجمهور على أن هذا ليس معناه النسخ إنما لكل آية معنى، وأن لكل آية حالة معينة ولها حكمها.

فقتال المشركين كافة، أي كلهم وجميعهم فلا تفريق بين أنواع الكفر حالة القتال «لأنهم يقاتلوكم جميعًا ولا يستثنون منكم أحدًا، والمعركة بين معسكرين متميزين لا يمكن أن يقوم بينهما سلام دائم ولا أن يتم بينهما اتفاق كامل»[2]، وهما معسكرا الشرك والتوحيد.

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 3، ص 1545.
(2) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 3، ص 1652.

والأخرى عدم طلب الصلح والمسلمون في عزة وقدرة على تحقيق الإسلام، فالأصل أن يكون القتال مكملًا، قال القشيري: «إذا كانت القوة للمسلمين فينبغي ألا تبلغ الهدنة سنة، وإذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين»[1]، والثالثة ألا وهي قتال المشركين في كل الأماكن والأحوال.

وفي مضمون الآية الكريمة «إن جنحوا» إلى نهاية الآية، فهو مقصور على الحالة قبل بدء المعركة، وفي حالة الإعداد لا داخل المعركة الواحدة، فإذا كان للمسلمين مصلحة واضحة ومنفعة للأمة وللدعوة فلا بأس بالصلح.

ولنا في الرسول الكريم محمد _صلى الله عليه وسلم_ خير العبر، عندما وقع اتفاق صلح الحديبية حيث إن من سبر أغوار بنودها مع خلفياتها لا يشك أنها فتح عظيم للمسلمين؛ لأن قريش لم تكن تعترف بالمسلمين، بل كانت تهدف إلى استئصالهم، وكانت دائمًا ما تحول بين الدعوة الإسلامية والناس، وبمجرد الجنوح إلى الصلح اعترفت قريش بالمسلمين، ونسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية خلال ما توضح في البند الثالث، وأصبح لا يهمها إلا نفسها وليس لها شأن أن تدخل عامة الناس في الإسلام.

وخلال البند الثاني أيقظ المسلمون قريش من غطرستها وصدها عن سبيل الله والذي سبق يوضع حد لقريش في البند الأول لصدها المسلمين عن المسجد الحرام، وخلال هذا الصلح انفرج المسلمون عند رجوعهم إلى مكة وقويت شوكتهم وأسلم العديد من أبطال قريش، وهذه البنود

(1) منير الغضبان: «المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجهادية»، مكتبة المنار، ج 1، ص 135.

في الصلح ورغم الحزن الشديد الذي أصاب بعض المسلمين إلا أنه أتى بالنتائج الهامة بعد الرجوع حيث كان عدد المسلمين 3 آلاف قبل الصلح، وصار عدد الجيش الإسلامي في سنتين عند فتح مكة 10 آلاف.[1]

أما القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي حين وقع صلح الرملة مع الصليبيين بقيادة ريتشارد قلب الأسد فكان قد قاتل وحوصر لعامين، ونفد خلال هذه الفترة القوت والعتاد، والحامية داخل عكا كانت منهكة خلال هذه الفترة، واضطرت إلى الاتفاق على التسليم.[2]

الهدنة من وجهة نظر الفصائل الفلسطينية

حركة حماس والهدنة:

إن فصائل المقاومة في فلسطين لا تتوقف عن تطوير أدائها الجهادي والتقاط أنفاسها خلال الهدنة مع الاحتلال الصهيوني حيث عقبت حركة المقاومة الإسلامية حماس وعلى ألسن العديد من قادتها بأن الهدنة تهدف إلى:

(1) وحدة الأرض الفلسطينية.[3]

(2) تعزيز المصالحة الفلسطينية.

(3) مواصلة التحقيق من الضغط الاقتصادي في قطاع غزة.

(4) إعادة إعمار قطاع غزة وما دمره الاحتلال خلال حروبه على القطاع.

(1) صفي الرحمن المباركفوري: «الرحيق المختوم»، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، 1976م، بتصرف.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 14.
(3) محمود فودة: مقال، الرسالة نت، 2015م.

(5) ترتيب صفوف مجاهديها.

(6) تطوير أدائها العسكري.

(7) إعادة ترميم مشروع الأنفاق الهجومية.

علمًا أن جل اتفاقيات التهدئة التي أبرمتها حماس لم تثنها عن عملها الجهادي، والدليل على ذلك الصاروخ الذي أطلقته عقب اتفاق التهدئة الذي وقع لوقف حرب السماء الزرقاء عام 2012م في ذكرى إقامة «إسرائيل»، والتقارير المتواترة على ذلك.[1]

حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين والهدنة:

إن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين دائمًا ما تؤكد على ما تطرحه حماس في اتفاقيات التهدئة، وبرغم وجود بعض الاختلافات في وجهات النظر إلا أنها تتحفظ على هذه الاختلافات وتتوافق ببرنامجها الجهادي مع فصائل المقاومة حيث ورد موقفها من الهدنة على لسان أمينها العام الأستاذ زياد النخالة[2] بموجبها ومعرفًا إياها: «الاتفاق على نقاط معينة ضمن اتفاق معين بين طرفي الصراع»، ويكون أهم هذه النقاط هو:

(1) وقف إطلاق النار أو تأجيلها.

(2) عدم الفصل الجغرافي في نقاط الصراع (الضفة الغربية، قطاع

(1) موقع وكالة سما على الإنترنت، 2015م.

(2) زياد رشدي النخالة: من مواليد خان يونس عام 1956م، اعتقل لدى الاحتلال الصهيوني عدة مرات، أمضى ما مجموعه 14 عامًا في أحد اعتقالاته، حكم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة، وتم الإفراج عنه ضمن صفقة الجليل لتبادل الأسرى المبرمة بين الاحتلال والجبهة الشعبية (القيادة العامة)، تدرج في مناصبه التنظيمية في حركة الجهاد الإسلامي، تم انتخابه أمينًا عامًا للحركة خلفًا للدكتور رمضان شلح.

غـزة، القـدس، فلسـطين المحتلـة، أراضي 1948م).

(3) الـرد عـلى أي خروقـات يقترفهـا العدو مـن اغتيال أو قصـف، والذي وصفـه بمعادلة الـرد بالرد والقصـف بالقصف.

(4) التمسك بسلاح المقاومة والاستمرارية في تطويره.

(5) تطوير الأداء والارتقاء به كالصواريخ والأنفاق الهجومية.

(6) العمـل الـدؤوب للتنسـيق المسـتمر بـين الفصائـل والأجنحـة العسـكرية.

(7) إعادة تفعيل المقاومة في الضفة الغربية بأشكالها المتعددة.

هـذا بالنسـبة للهدنـة، أمـا التهدئة فلا تخضـع لأي اتفـاق ولا أي شروط، ولكـن تكـون لوقـف الحرب مؤقتًـا بدخـول أحد الوسـطاء[1].

علـمًا أن حركـة الجهـاد الإسـلامي «لم توقـف تطويـر قدراتهـا العسـكرية وأثبتـت ذلـك مـن خوضهـا العديـد مـن الجـولات القتاليـة سـواء منفـردة أو ضمـن غرفـة العمليـات المشـتركة، وكشـفها عـن العديـد مـن الصواريـخ بعيـدة المـدى والأنفـاق الهجوميـة والتـي يمتـد عمقهـا تحـت الأرض إلى 60 مـترًا»[2].

(1) لقـاء متلفـز للأسـتاذ زيـاد النخالـة مـع قنـاة الغـد الفضائيـة، وهـو أول لقـاء متلفـز لـه بعـد انتخابـه أمينًـا عامًـا لحركـة الجهـاد الإسـلامي في فلسـطين.

(2) تقريـر صحفـي أعـده مراسـل قنـاة RT الروسـية سـائد السـويركي استضاف بـه عنـاصر مـن سرايـا القدس.

الهدنة من وجهة نظر الاحتلال الصهيوني

إن ما سلف عن الهدنة له وجهة نظر مغايرة لدى العدو فهي تقوم على:

(1) تفكيك الجبهات المقاومة.

(2) الحفاظ على الأمن الداخلي.

(3) أن تكون هدنة طويلة الأمد مع قطاع غزة.

(4) استثناء الضفة الغربية والقدس وأراضي 48 من أي اتفاق هدنة.

(5) وقف تسليح الفصائل الفلسطينية.

(6) تدمير القدرة الصاروخية للفصائل.

(7) تدمير الأنفاق التابعة للفصائل.

(8) التحكم بالمعابر والحدود البرية والمائية.

(9) التحكم بمواد الإعمار والاطلاع على كافة تفاصيلها.

(10) أي خطر يشكل من قبل أي شخص أو مجموعة، للاحتلال حق الاغتيال.

(11) لا شأن للاحتلال بما سيعانيه المواطن الفلسطيني؛ لأن الهدنة تقوم على الحفاظ على الأمن «الإسرائيلي»[1].

وبالرغم من هذه التباينات بين الهدنة من مناظيرها التي استعرضناها نوضح أن اتفاقيات التطبيع التي تبرمها بعض الأنظمة العربية تندرج ضمن خيانة المجاهدين، وتندرج تحت إطار التولي يوم الزحف لأن

(1) المحلل السياسي الصهيوني، مئير مصري، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية، طرحه للرؤية الصهيونية للهدنة عبر قناة RT الفضائية ضمن برنامج اسأل أكثر.

المسلمين وقعوا اتفاق صلح الحديبية وهم في ظروف الضعف والاضطهاد، وكذلك صلاح الدين الأيوبي وقع اتفاق صلح الرملة بعد انهزام المسلمين في معركة ارسوف، أما الفصائل الفلسطينية فهي ما زالت في حالة الضعف وعدم تكافؤ القوى مع العدو، والشعب الفلسطيني برمته هو شعب محتل بكافة قواه، وأرضه مستباحة من الاحتلال، فعندما تأتي دول تمتلك الرجال والسلاح والمال وأراضيها تتمتع بالحرية يفترض أن تقدم دعمها للمجاهدين الفلسطينيين وللشعب الفلسطيني الذي يخوض جهاد الدفع بلا إمكانيات وبلا تعادل لموازين القوى لا أن توالي الكفار ضد المسلمين المحتلين.

السر والكتمان الجهادي

يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: 83].

ويقول سيدنا محمد _صلى الله عليه وسلم_: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان».

تشير الآية الكريمة والحديث الشريف بكل وضوح على الخطر القادم والمحدق جراء إفشاء البعض للأسرار الأمنية، وخاصة بما يخصنا في الأمور الأمنية الجهادية بكل تصوراتها المخططة والعتاد والعدد والأماكن العسكرية والأنفاق وكل ما يخص منعة المسلمين وإضعافهم.

وفي بعض الأحيان يجوز إفشاء معلومة تكون آخذة بالتصريح من القائد أو الهيئة الأمنية؛ لأنها تكون دارسة للمحيط الأمني وتفشي هذه المعلومة المخفية يراد منها كسب ثقل المعلومات من خلفها لحبك الخدع الحربية والنيل من العدو، ومن الضروري أيضًا أن يكون المجاهد يقظًا لمحيطه فلا يجوز له إفشاء سره حتى على سريته أو على أمير أو قائد السرية الأخرى دون التشكيك بأمانتهم، بل لأن المعلومة الأمنية في الحرب الجهادية خطر، يقول سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: 101]، وفي واقع الجهاد في فلسطين وفي ظل غياب التربية الأمنية يشيع في أوساط صفوف المجاهدين حب الفضول وحب الاطلاع في معرفة أدق أسرار المقاومة دون أن يعرف المجاهد خطورة وتداعيات اطلاعه على أداء المقاومة حتى إذا ما وقع في شباك أسر العدو يفشي كل ما علمه في غرف العملاء[1] الذين ينتحلون صفة المجاهدين، مما يجلب الكوارث على إخوانه وينكشف باطلاعه الجهود والمخططات التي أعدوها، ويكون المقدم للخدمة المعلوماتية الأمنية للعدو مجانًا وقد يؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى اغتيال بعض المجاهدين.

ولولا الأهمية البالغة للسرية لما ذكرها الله سبحانه بهذه الصورة وأوصانا الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بوصيته في الحديث الشريف لكي يحذرنا من الخطورة المحدقة بالدعوة وأصحابها؛ لأن العدو دائم السعي

(1) غرف العملاء: هي المعروفة بغرف العصافير، والعصفور ليس شرطًا أن يكون ضمن غرف فيمكن تواجده داخل زنازين التحقيق أو داخل أقسام الأسرى وبكل الأماكن التي يتواجد الأسير المقاوم، وسُمي بهذا الاسم؛ لأنه يتربص بالمجاهد ويستدرجه حتى حصوله على المعلومات ثم يطير بها مسرعًا لإيصالها للعدو، وهناك العديد من الروايات والكتب التي توضح بعض أساليب العصافير، ومنها كتب (الصراصير، غرف العار، ستائر العتمة)، وهذه في الإبراز للكاتب وليد الهودلي على شكل رواية واقعية.

للنيل من المجاهدين، فعند حصوله على بعض المعلومات يصبح بالإمكان أن يشيع وينشر الفتن ويشوههم ويطعن بجهادهم وقدراتهم وأمنهم.

ونذكر هنا غزوة العسرة حيث خرج إليها رسولنا الكريم دون الغزوات بدون أن يحدد زمانًا أو مكانًا ودون أن يكون مسموحًا لأحد أن يتحدث بذلك، وكذلك تحدث القرآن الكريم وتحدثت السنة المباركة عن الإشاعات وعن نقل الأخبار حتى الصحيحة منها؛ لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

ونذكر هنا أنه يجوز للإمام «القائد» معاقبة من يفعل ذلك بما يراه مناسبًا بلا شطط.

أهم مسببات النصر في الجهاد

(1) أن يكون الجهاد في سبيل الله وليس في سبيل الدنيا:

يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: 76].

وعن أبي موسى الأشعري أن رجلًا أعرابيًا أتى النبي _صلى الله عليه وسلم_ فقال: «يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال _صلى الله عليه وسلم_: من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله.»[1]

(1) رواه مسلم «986»، والبخاري «123، 2810، 3126، 7458» في الصحيحين.

يقول سيد قطب: «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله لتحقيق منهجه وإقرار شريعته وإقامة العدل بين الناس باسم الله لا تحت أي عنوان آخر، اعترافًا بأن الله وحده هو الإله ومن ثم فهو الحاكم، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت لتحقيق مناهج شتى ـ غير منهج الله ـ وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله، ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته، ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم.»[1]

فمن الآية الكريمة والحديث الشريف ننطلق بأنه يتوجب على المجاهد إخلاص نيته وقتاله لوجه الله وحده، وهذا النوع من الجهاد لا يقوم به حقًا إلا الإنسان المؤمن الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فمغريات الدنيا تجعل من الإنسان جانحًا إلى ملذاتها إلا إذا امتلأ قلبه بالإيمان، وأخلص نيته لله وحده، فالدنيا تحرك شهواتها ضد صاحبها فتبدأ الانهيارات على المجاهد من المثبطين وضعفاء النفوس، والأهل والزوجة والأولاد، فنجد الانتقادات في شتى المجالات؛ فتبدأ حالة من تثبيط العزائم وبث الفتن في المجالس، وعلى الإعلام، وتتلون الفتن بكل ألوانها لتلف المجاهد وتثنيه.

ففي زمن التكنولوجيا يجب على المجاهد أن يجعل جهاده واضحًا، فهناك من ينادي بجعل الجهاد تكنولوجيًا «مسالمًا»، أو أن يجعل الجهاد هو مناشدة المجتمع الدولي ومؤسسات حقوق الإنسان ويبرهن ركونه للدنيا بأنه يخوض المعارك السياسية بلا هدر دماء ويكون ساذجًا بقوله من أجل من سأضحي؟ فإذا كان المجاهد ضعيف الإيمان، سرعان ما ينهار أمام هذه الشعارات الكاذبة، وإن كان قلبه عامرًا بالإيمان ومخلصًا جهاده لله، يدخل

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج3، ص709.

معاركه ضد الأعداء دون الالتفات إلى ما يزينه المثبطون وأعوان الأعداء، ويجزى على جهاده باللسان والسنان خير الجزاء، إحدى الحسنيين.

فيقول سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

ويقول: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: 77].

(2) الفضل من الله:

لقد وضح الله في كتابه العزيز في سور الأنفال والتوبة «الكاشفة» أن النصر من عنده وبفضله، فلا يحسب المجاهد أنه انتصر بفضل تدربه وبفضل حزبه وسلاحه وجهده بالرغم من الأهمية الكبرى لهذه الأمور، فلولا نعمة الله وفضله لما انتصر المجاهد على عدوه يقول سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]، ففي هذه الآية الكريمة ذكر سبحانه «وينصركم»، والمعنى واضح أن النصر يأتي من عنده وليس بجهد المجاهد، وجهد المجاهد ما هو إلا سبب من أسباب النصر، وفي آية أخرى يقول سبحانه ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: 25].

(3) المدد الإلهي:

يقول سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].

لقد أقر الله سبحانه وتعالى المدد في القرآن الكريم حيث أمد جنده المسلم بالملائكة ليحاربوا مع المسلمين، ورغم أن هذا كان في زمن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وفي بدايات الدعوة وفي معارك محددة إلا أنه موجود في زمننا هذا وإن كان بشكل آخر، وشهدنا هذا المدد في حرب (البنيان المرصوص) عام 2014 بين الشعب الفلسطيني وفصائله المجاهدة مع العدو الصهيوني حيث شاهدنا كيف أمد الله جنده داخل النفق الذي أغلق أبوابه جراء القصف الصهيوني على من بداخله من المجاهدين لمدة حوالي 13 يومًا حين اعتاشوا على شق تمرة لكل منهم، وأخرج الله لهم الماء من الأرض بسبب من عنده إلى أن نصرهم، وفتحوا بابًا للنفق ليواصلوا مشوارهم الجهادي، وفي ذات الحرب شهدنا كيف أعزّ الله جنده المجاهدين في الشجاعية بجند من عنده حتى صدوا العدو الصهيوني، وألهمهم الله لخطف جنود صهاينة، ونذكر هنا أن هذه الحرب كانت في شهر رمضان المبارك، فالمدد موجود بشكل أو بآخر حتى يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 26].

(4) تسخير جنود الله تعالى:

والتي لا نعرفها كالريح والمرض والغرق والمطر والتيه وما إلى ذلك، ونذكر هنا كيف عذّب الله فرعون فأهلكه بالغرق وجعله عبرة إلى يوم القيامة، وكيف عذّب الله قوم نوح بالمطر، وعذّب بني إسرائيل بالتيه في صحراء سيناء أربعين عامًا، وأما المشركون الذين كانوا يحاربون الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ في معركة الأحزاب فعذّبهم الله بريح صرصر عاتية، ولنا في المعارك الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني العبرة تلو العبرة فنرى أعتى الطائرات الحربية تقصف المجاهدين بأحدث الصواريخ ولا تنفجر، أما المجاهدون الصادقون يدكوا مغتصبات العدو بصواريخ بدائية محلية الصنع فتصيب أهدافها بدقة، وفي موقع آخر نرى قوة من الجيش الغاصب المدرب بأحدث وأعلى التدريبات يفشل باعتقال أو اغتيال مجاهد واحد لا يمتلك سوى إيمانه الصادق وسلاحه الخفيف فيصيب ويقتل ويفجّر باسم الله فيصبح الجيش الذي لا يقهر جيش لا ينصر.

يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: 9].

(5) السكينة الربانية تثبت الإيمان في قلوب المؤمنين:

قال سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 16].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

فهنا جاءت الآيات الكريمة بالمعنى الواضح والصريح كيف ينزل الله سكينته على المؤمنين ويؤيدهم بجنود من عنده، فالآية الأولى دلالة كيف أنزل الله السكينة على نبيه محمد _صلى الله عليه وسلم_ وصاحبه الصديق رضي الله عنه، وهما في الغار وقت مطاردة الكفار والمشركين لهم حين قال الصديق رضي الله عنه: «لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه»، وهذا الجزع من الصديق لم يكن على نفسه بل كان على رسول الأمة محمد _صلى الله عليه وسلم_، فقال له _صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟».

ثم كانت العاقبة للذين آمنوا نصرًا مؤزرًا من عند الله بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصغار، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا[1].

وفي الآية الثانية أتى المعنى أنه بل ظننتم «أم حسبتم» أن تتركوه «ولما يعلم» علم وقوع ليحصل التمييز بين المجاهد المخلص وغيره، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله والمؤمنين «وليحبه» بطانة وأصحاب سر وأولياء من المشركين يخالطونهم ويوادّونهم.

وأما الآية الثالثة فبشرنا الله سبحانه أنه يكرمنا بنصره إن نصرناه، ومعنى «إن تنصروا الله» إن تنصروا عباده وتقوموا بحفظ حدوده ورعاية عهوده واجتناب نهيه إضافة إلى تثبيت أقدامنا وجاءت المخاطبة للمؤمنين.

(6) مخافة الله تعالى والثقة بنصره والابتعاد عن الظلم:

إن لمخافة الله في الجهاد الأثر البالغ لإحداث النصر، ولقد تحدثت الآيات في سورة الأنفال عن هذا الأثر حيث قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: 25-26].

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن الله تعالى يقول يا عبادي إني

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 3، ص 1656.

حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]. ويقول سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197].

وأما الثقة بالله وبنصره فهي أولوية من أولويات النصر؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 17]، وكلمة «وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ» تعني يجزيهم بالنصر ليظهر كيف يكون حالهم بعد ذلك هل يشكرون فيزيد نعمه عليهم، يقول تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 123].

(7) عدم الغرور بالقوة والكثرة:

يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:25]، حين اغتر المسلمون بعددهم وعتادهم في غزوة حنين بعد 8 أعوام من الهجرة حيث وقعت المعركة والتي كانت في السادس عشر من شوال، وكان الجيش الإسلامي آنذاك قد بلغ عدده 12 ألف رجل، وهذا العدد لم يبلغه جيش المسلمين من ذي قبل وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ليفروا مسرعين مولين ظهورهم للعدو، ولولا ثبات نفر من المؤمنين لما كان النصر الرباني، يقول

(1) رواه مسلم.

سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: 26]، ولم يلتفت المسلمون للكثرة والتفتوا للمعية الربانية لكان النصر حليفهم كبدر والتي كانت تتميز بقلة العدد الإسلامي وزيادة الثقة بنصر الله، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123]، وكان لبدر الوقع الأكبر في نفوس مجاهدي فلسطين الذين فروا من سجن السرايا بغزة في صبيحة 18/ 05/ 1987م حيث كان عددهم ستة مجاهدين[1] فقط وعدوهم يعد بالجيش الجرار، سجنه محصن بأحدث وأعتى التحصينات، ولكن نصر الله كان حليف المجاهدين بعدما نصروه. وهذه ليست هي الحادثة الوحيدة التي نصر الله المجاهدين رغم قلة عددهم، ولنا في السيرة الشريفة العبر الكثيرة، ولنا في تاريخ المجاهدين في فلسطين عبر شتى.

(8) التوكل الحقيقي على الله واعتداله:

يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 42].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب «هم الذين لا يسترقون ولا يتطهرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[2].

(1) الفارون الستة هم: مصباح الصوري، محمد سعيد الجمل، خالد صالح، سامي الشيخ خليل، صالح شتيوي، عماد الصفطاوي، وجميعهم من حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
(2) رواه البخاري (5705)، ومسلم (220) عن ابن عباس.

«والتوكل هو نصف الدين، والنصف الثاني «الإنابة» فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، بل هو محض العبودية وخالص التوحيد إذا قام به صاحبه حقيقة»[1].

وقال الإمام أحمد: «التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي، ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات».

يقول سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: 122].

«وعلى وجه القصر والحصر» على الله وحده فليتوكل المؤمنون. فليس لهم إن كانوا مؤمنين إلا هذا السند المتين.[2] وأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزيئات العالم سفليه وعلويه؟ ولا هو فاعل باختياره؟ ولا له إرادة ومشيئة؟ ولا يوم به صفة؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف كان توكله أصح وأقوى والله أعلم»[3]، والتوكل لا ينفي الأسباب إنه متعلق بقضاء الله وقدره ولا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية[4].

فهذا يعني أنه يتوجب على المجاهد المتوكل أن يأخذ بأسباب التوكل، فيجب عليه التدريب وارتداء لباسه العسكري الذي يكون واقيًا ضد الرصاص أحيانًا إن وجد، وشحذ سلاحه، ورسم خططه العسكرية ليتمكن من هزيمة عدوه.

(1) الإمام ابن القيم الجوزية: «تهذيب مدراج السالكين»، وهذبه عبدالمنعم صالح العسيلي، المجلد الثاني، الطبعة السادسة، 1998م، ص535.
(2) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 1، ص 468.
(3) ابن القيم: «تهذيب مدارج السالكين»، ص 536.
(4) المصدر السابق.

(9) التخطيط والمراوغة والخداع في الهجمات الجهادية:

يقول سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60].

إن الإعداد والتخطيط من المسببات الهامة جدًا في المراحل الجهادية، بل من الحوافز الدافعة لانتصار المجاهد على عدوه، والإعداد ليس مجرد عتاد وعدة بل يتوجب التمرس على الفنون القتالية وإعداد السلاح والسواتر ونقاط الالتقاء وأخذ العبر من أحداث السيرة والصحابة والمجاهدين، فهناك الصواب والنصر وهناك الإخفاق والهزيمة، ويجب أن يكون هناك إسراع في استغلال مضمار الخطط المعدة والضرب المؤلم للعدو قبل إفاقته، وليكن التخطيط يسبق تخطيط العدو بخطوات عدة لكيلا يكون أمامه وقت يكفيه من إفشال ما أعده المجاهد.

فإذا كانت الفرقة مجوقلة بشتى أشكالها اللوجستية وتفتقر للتخطيط بالكاد تنجح بشق خطاها المنشودة وسرعان القضاء عليها، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في معركة بدر أمر المسلمين بالإبقاء على آبار بدر وهذا الإبقاء كان من أسباب النصر، وكذلك في معركة الخندق عام (5ه) حين أشار سلمان الفارسي رضوان الله عليه بحفر الخندق والذي كان بمثابة متراس للمسلمين في الوقت الذي لم يكن العرب يعرفون هذه الخدع.

يقول سبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 109]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «الحرب خدعة»[1].

(1) رواه البخاري (1297)، وأخرجه مسلم (1740-918).

واستخدام الخدع والحيل والأساليب اللاتقليدية هي بحد ذاتها انتصار على العدو، ليس انتصارًا معنويًا بل انتصارًا حقيقيًا وهدرًا لوقت العدو واستنزافًا لعقول استخباراته في محاولاتها الكشف عن تلك الأساليب، فعندما عرض ضابط الشاباك الصهيوني على الفلسطيني ابن سرايا القدس (مراد أبو العسل) من بلدة عنبتا بمحافظة طولكرم العمل معه توجه مراد إلى القائد في سرايا القدس (إياد صوالحة) للتمكن من اختراق الشاباك، فقام إياد بحبك الخطط وراوغ العدو من ثم وجه مراد ضمن خطة محكمة إلى حاجز الطيبة بمحافظة طولكرم، ففجّر نفسه بسيارة الشباك فأصاب اثنين من رجال أمن الشاباك الصهيوني خلال انتفاضة الأقصى المباركة.

(10) التفاني في خدمة الإخوة والإقدام:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خرجت مع رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي _صلى الله عليه وسلم_ راجعًا وبدا له أحدٌ قال: هذا جبل يحبنا ونحبه»[1].

إن خدمة المجاهد لإخوانه وأمته وقيادتها ليس انكسارًا أو تقليل شأن، بل هي من النبل الجهادية، ومن البر والتقوى والتواضع، ومن تواضع لله رفعه، والمجاهد وقائده وجدوا في مكانة الجهاد للدفاع عن الأمة والمحافظة عليها وحمايتها، وإن ما يلمسه العالم اليوم من التفاني والإقدام الفلسطيني في خدمة الأمة خاصة داخل سجون الاحتلال ما هو إلا من الشواهد الحية، فنجد قيادة الأسرى يخدمون إخوانهم حديثي الاعتقال وكذلك الأسيرات الماجدات اللواتي قضين سنوات في الأسر يقارعن السجان ويأخذن على

(1) أخرجه البخاري (1248)، وأخرجه مسلم (1345-1365-1368).

عاتقهن الدفاع عن أخواتهن الأسيرات، وكل أسير أو أسيرة يمتلك من العلم ما يقدمه إلى من يفتقر إليه، فهناك يجود بما في جعبته بكل شجاعة وإقدام، والشجاعة ليست بالأمر السهل امتلاكه، بل تحتاج إلى قوة قوية في القلب للنيل من العدو، والشجاعة هي: "شدة القلب عند البأس».[1]

(11) عدم مخالفة أوامر القيادة واتباع الخطط المرسومة:

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: 59]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ قال: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».[2*]

ومخالفة أوامر القائد عادة لا تعود على المجاهدين إلا بالهزيمة؛ لأن القائد هو من وضع الخطط ورسم حدود المعركة وحبك شباكه على العدو، فعندما خالف المسلمون الرماة قائدهم الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ في معركة أحد، ونزلوا لحصد الغنائم تحولت المعركة من نصر للمسلمين إلى هزيمة بالتفاف خالد بن الوليد قبل إسلامه حول الجبل وتمركزه مكان الرماة الذين عصوا أمر الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ، وجرح الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ.

(1) كما في مختار الصحاح.

(2) رواه البخاري (1269)، وأطرافه في (7144)، وأخرجه مسلم (1839-2735).

* نجد في ميثاق حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ضمن مادة العضوية والمساءلة القسم الحركي، والذي ينص على: «أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصًا لديني ووطني، وأن ألتزم بحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وأن أتقيد بنظمها ولوائحها وتعليماتها، وأن أحافظ على مبادئها ومصالحها وأسرارها، وأن ألتزم السمع والطاعة لقياداتها في المنشط والمكره في غير معصية، والله على ما أقول وكيل». انظر ميثاق حركة الجهاد الإسلامي.

(12) وضع الأهداف الاستراتيجية النهائية والخطط المرحلية بدقة:

هنا تقع المسئولية الكاملة على القيادة في وضع خطط للهجوم، للفر والكر، ولضرب الأهداف بدقة لكي لا تكون المعركة هي مجرد فزعة عرب وتعود بالخسارة على المسلمين، لذلك يجب أن ترسم الخرائط وتحدد نقاط الهجوم والدفاع والاحتياط؛ فالرسول _صلى الله عليه وسلم_ كان يوزع المهام في المعركة، وكان يختار القيادة القديرة وبحال استشهادهم يكون البديل، وكان يختار من يحمل الراية ومن يخلفه بحملها، وفي حال لم ينجح الهجوم يجب أن تكون هناك خطة للانسحاب معدة مسبقًا لكي تعود على المجاهدين بأقل الخسائر المادية والبشرية، فقد ورد أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ قال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».[1]

(13) الجهاد بالمال والنفس:

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: 20].

قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم».[2]

إن هذه الآيات الكريمة لهي دليل واضح على عظم درجة الجهاد

(1) متفق عليه.
(2) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

بالمال والنفس عند الله سبحانه وتعالى، والدرجة عند الله سبحانه ليست بسهلة المنال، و«التفضيل في قوله تعالى: «أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِّ» ليس على وجهه، فالله لا يعني أن للآخرين درجة أقل إنما هو التفضيلَ المطلق»[1] فمثلًا: المجاهد الذي يجاهد نفسه على إيجاد سلاحه وعتاده من ماله ليس كالمجاهد الذي ينتظر من حزبه أن يمده بالسلاح والعتاد. يقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

وفي ظل تكاثف قوى الشر على المجاهدين ومتابعة مصادر تمويلهم يجب على المجاهد الصادق أن يقطع الطريق على هذه القوى ليظفر بعدوه قبل أن يظفر به، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 41].

(14) الأمن مسألة حياة أو موت:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة:120].

توضح لنا الآية المباركة أنه «كلما أصاب المؤمنون عدوهم بالقتل أو الهزيمة كتب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح، إن اللهَّ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»[2]، وهذا الأجر لا يأتي إلا بالجد والصبر، ولا يمكن النيل من العدو أو هزيمته إلا إذا كان هناك إحدى الحلقات المفرغة، والأمن أحد

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 3، ص 1614.
(2) نخبة من العلماء: «التفسير الميسر»، الدار العالمية للتجليد، القاهرة، تفسير سورة التوبة، ص 206.

هـذه الحلقـات ومـن المهـم أن يتبـع المجاهـدون أوامـر الله سـبحانه والتـي أمـر بهـا القـرآن الكريـم، وكذلـك مـا أوصى بـه أنبيـاء الله عليهـم السـلام، ومنهـا:

1. استطلاع أخبار العدو من عدد وعتاد.

2. معرفة مواطن الضعف ومواطن القوة لدى العدو.

3. معرفة نشأة التيه والحيل التي يتبعها العدو.

4. وضع الخطط السليمة المؤدية للظفر بالعدو.

قـال تعـالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: 87]، فسيدنا يعقوب عليه السلام أمر أبناءه بالعودة إلى مصر لاستقصاء أخبار يوسف وأخيه وأن لا يقطعوا الرجاء من رحمة الله[1]، وقـال تعـالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمـل: 22]، فالهدهـد عندمـا عاتبـه سـيدنا سـليمان أجابـه أنـه كان يجمـع المعلومـات وأنـه جـاء بخـبر خطـير الشـأن[2]، فجمـع الاسـتخبارات للأخبـار أمـر يـكاد يعـادل تجهيـز السـلاح؛ لـذا قـال سيدنا سليمان للهدهـد: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النمـل: 27]، وقـال: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ [النمـل: 28].

فهـذا القـول للتأمـل بالخـبر الـذي جـاء بـه الهدهـد إن كان صادقًـا أم كاذبًـا وأمـره بإلقـاء كتابـه لأهـل سـبأ، والتسـمع لكلامهـم ومـا يـتردد بينهـم[3].

(1) مصدر سابق، تفسير سورة يوسف، ص 246.
(2) التفسير الميسر، تفسير سورة النمل، ص 378.
(3) التفسير الميسر، تفسير سورة النمل، ص 379.

فمن قوله تعالى في سورة النمل والحوار بين سيدنا سليمان والهدهد نستلهم :

1. إقرار مبدأ الحصول على المعلومات.

2. عرض المعلومات المجمعة، وتقسيم المعروض إلى:

أ. معلومات أمنية صحيحة ومكذوبة.

ب. معلومات عسكرية.

ج. معلومات عابرة تستخدم للمراوغة والحرب النفسية.

د. وضع تقرير حول مدى صحة المعلومات ومدى مصداقية العين المتقصية.

3. تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النتائج منها:

أ. للمباغتة ومفاجأة العدو.

ب. إمداد القادة بالمعلومات ليتمكنوا من توجيه الجند.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: 18]، فالنحل استفاد من المعلومات وأرسل إنذاره مبكرًا قبل الهلاك.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: 11-12].

فأم موسى استخدمت مبدأ جمع المعلومات وباشرت بجمعها حين قالت لأخته «اتبعي أثر موسى كيف يصنع به»[1]، اختارت أم موسى العنصر الأمين والحريص على جمع المعلومات الصحيحة وكيفية التصرف السليم.

فالعنصر المتوحد «العين» يجب أن تتوافر به عدد من شروط هامة منها:

أ. التتبع دون لفت الأنظار.

ب. دقة الملاحظة وقوة الفراسة في أثناء جمعه للمعلومات.

ت. ضرورة نقل المعلومات بلا نقص.

ولقد وصانا سبحانه تعالى بالحذر والأمن في عدة مواضع قرآنية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: 71]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة: 92]، ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [النساء: 102].

وهنا نستخلص العديد من مظاهر الإعداد الأمني والاستخباراتي:

1. الحذر واليقظة والتي تحول دون مفاجآت الإعداد.
2. السعي للحصول على المعلومات عن العدد الداخلي والخارجي.
3. تباين التخطيط على أساس ثابت من القوة.
4. إيقاظ الحس الأمني لدى المجاهدين.
5. تنشئة الفرق والمؤسسات الأمنية الجهادية على أسس راسخة من العلم والمعرفة والحذر واليقظة.

(1) التفسير الميسر، تفسير سورة القصص، ص 386.

فالرسول الكريم _صلى الله عليه وسلم_ قدّم العديد من المعلومات والمعالم لتكون للمجاهدين جزء من تربيتهم الجهادية.

التربية المحمدية الأمنية، وبعض مظاهرها

1. لقد اختار الرسول _صلى الله عليه وسلم_ دار الأرقم كمقر سري للدعوة وسبب ذلك:

أ. لم يكن الأرقم معروفًا بإسلامه.

ب. الأرقم عمره صغير حيث كان يبلغ 16 عامًا، والصغار دائمًا لا يتم البحث في بيوتهم للدعوة، بل كان يتم البحث في بيوت الصحابة الكبار؛ لأنهم يتمتعون بالحكمة من الناحية الأمنية.

ت. الأرقم من بني مخزوم، والمخزوميون يحملون لواء الحرب والتنافس مع بني هاشم.

ث. سعى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بزرع أتباعه في القبائل مع توصيته بكتم إسلامهم ليتمكن من بناء جهاز أمني.

2. رتب الرسول _صلى الله عليه وسلم_ لبيعة العقبة الثانية ترتيبًا أمنيًا رفيع المستوى، وأخذ كافة احتياطاته الأمنية من حيث الزمان والمكان ليحقق ما يريد.

3. استخدام الرسول _صلى الله عليه وسلم_ الاستخبارات الهجومية حيث بعث أحد الصحابة ومعه اثنا عشر صحابيًا وأمره بأن لا

يفتح الكتاب الذي أمنه معه إلا بعد يومين من السير، فلما فتحه الصحابي بحسب ما أمره _صلى الله عليه وسلم_ وجد فيه: «حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها قريش وتعلم لنا من أخبارهم».

وتلك الوصايا المحمدية لتظل الأمور سرية حتى على من يحمل الرسالة لكي لا يتم تسريب أي معلومة، وهذه تربية أمنية بحد ذاتها لأصحابه، فهو أعطاهم المعلومة بقدر الحاجة[1].

أدبيات جهادية

أولًا: الغنائم وحكمها:

يقول سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

وورد أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين، قال لهم: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنُّ».[2]

ومعنى «يسألونك عن الأنفال» أي يسألونك عن كيفية توزيع الغنائم «غنائم بدر»، «والغنائم هي التي يغتنمها المسلمون في جهادهم

(1) سيرة ابن هاشم، بتصرف.
(2) متفق عليه.

في سبيل الله»[1]، فكل ما يؤخذ من الأموال بشتى أشكالها إثر الحرب وقتال المشركين حكمها أن خمسها لله سبحانه وتعالى ولرسوله، أما الأربعة الأخماس المتبقية فتقسم بين المقاتلين في التساوي.

يقول سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال:41].

وعن ابن عمر قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سريته وأنا فيهم قبل نجد فغنموا إبلًا كثيرة فكانت سهمانهم اثنا عشر بعيرًا أو أحد عشر بعيرًا ونفلوا بعيرًا بعيرًا.[2]

وقال صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلًا له عليه بينه فله سلبه...»[3]، وهذا الجزء من الحديث على خلاف بين العلماء على الغنائم التي تؤخذ بلا قتال، فهناك رأيان، الأول: أنها تعتبر غنائم بكل الأحكام ويجوز للإمام أن يقدر فوائد المجتمع، وأنه إذا واعد مقاتلًا إن فعل كذا وكذا في القتال فله كذا فهذا من حكم الحصة له قبل القسمة؛ لأن الجيش هو الذي حصلها ولو أن أصحابها تركوها هاربين لما غنمت.

والثاني: أنها تعامل كالجزية، وهو الأضعف، والله أعلم.

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 3، ص 1471.
(2) رواه البخاري، «3134، 4338»، ومسلم «1749».
(3) رواه مسلم «1751»، والبخاري «2100، 3142، 4322، 7170».

ثانيًا: الأسرى:

وهم الذين يقعون في قبضة عدوهم أثناء الحرب.

قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا﴾ [الأحزاب: 26]، لقد جعل الله سبحانه وتعالى أحكامًا للأسرى بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: 70].

ووضح الرسول _صلى الله عليه وسلم_ لنا هذه الأحكام من خلال تعامله مع الأسرى، «فقد كان يمن على بعضهم ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة، ففادى أسارى بدر بمال»[1]، وقال: «لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النَّتنى لتركتهم له».[2]

فور أنه هبط على الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في صلح الحديبية ثمانون مسلحًا يريدون غدرته فأسرهم ثم من عليهم»[3]، وأما إن كان الأسرى ذوي حرابة فإنهم يقتلون، فورد أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ «قتل عقبة بن أبي معيط من الأسرى وقتل النضر بن الحارث لشدة عدواتهما لله ورسوله».[4]

وفعلها صلاح الدين الأيوبي مع القائد الصليبي أرناؤوط نتيجة غدره حلفه في معركة طبريا في تموز 1187م.

(1) مصدر سابق، ابن القيم الجوزية: «زاد الميعاد في هدي خير العباد»، ج3، ص 105.
(2) أخرجه البخاري في صحيحة «3139»، وأبو داود «2689».
(3) أخرجه مسلم في صحيحه «1808»، وأبو داود «2688»، والترمذي «3275».
(4) أخرجه أبو داود «2686»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وذكر الإمام أحمد عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى لم[1] يكن لهم مال، فجعل رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، وهذا يدل على جواز الفداء بالعمل كما يجوز بالمال، فورد أيضًا أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_: «استوهب من سلمة بن الأكوع جارية نفله إياها أبو بكر في بعض مغازيه، فوهبها له، فبعث بها إلى مكة، ففدى بها ناسًا من المسلمين»[2]، واستأذنه الأنصار أن يتركوا للعباس عمه فداءه، فقال: «لا تدعوا منه درهمًا»[3]، وإذا كان للمسلمين دولة قادرة على حماية حدودها ولها منعة جاز استرقاق الأسرى وبيعهم سواء النساء أم الرجال، لكن هذا الاسترقاق لم يعد له وجود اليوم وذلك بأمر الله تعالى، ودليله أنه كرم بني آدم يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، فلا يمكن أن تتقاطع هذه الكرامة من الله مع استرقاق العبد، لذلك جعل كفارة كثير من المعاصي إعتاق رقبة، وجعل أقرب القربات إلى الله سبحانه إعتاق رقبة، ويذكر «أنه لما قسم سبايا بني المصطلق وقعت جورية بنت الحارث في السبي لثابت بن قيس بن شماس، فكاتبته على نفسها تقضي الرسول _صلى الله عليه وسلم_ كتابها وتزوجها فأعتق بتزوجه إياها مائة من أهل بني المصطلق إكرامًا لصهر رسول الله _صلى الله عليه وسلم_»[4]، وكان هدية _صلى الله عليه وسلم_ أنه من أسلم قبل الأسر لم يسترق، وكان يسترق سبي العرب كما يسترق غيرهم

(1) أخرجه أحمد «1/ 247».
(2) أخرجه مسلم في صحيحه «1755»، وأبو داود «2697»، وابن حاجة «2846»، وأحمد «4/ 46».
(3) أخرجه البخاري في صحيحه «2537».
(4) أخرجه أبو داود في صحيحه (3931)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

من أهل الكتاب، وكان عند عائشة رضي الله عنها سبية منهم فقال _صلى الله عليه وسلم_ اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل[1]، وهذه الأدلة من منهاج النبوة تدحض حجج الجماعات التي جهلت هذا المنهاج، يقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وإن الذين تجاهلوا منهاج الرسول _صلى الله عليه وسلم_، وأغمضوا أعينهم عن الآيات الكريمة وأولوها لصالح الكفار وباتوا يسبون النساء المسلمات وغير المسلمات، وأقدموا على التمثيل بالجثث في سوريا والعراق وغيرها من الدول ما هو إلا إحياء لسنن الجاهلية بأيدٍ داعشية تنفذ المخططات الصهيوأمريكية بأيدي تنتسب إلى الإسلام، وللأسف يفعلون ما يؤمرون دون تفكر وبلا وعي لمآلات هذه المخططات الدنيوية، والهدف الأساسي منها هو:

1. تشويه الإسلام.

2. تشكيك الناس بالدين الإسلامي.

3. طمس المعالم النبوية.

4. صرف الأنظار عن القضية الفلسطينية.

5. خدمة العدو الصهيوني.

6. نهب الخيرات التي أنعم الله بها على بلاد المسلمين.

7. غسيل تام للعقول حتى تمسي متحجرة لا يكاد تفكيرها يتعدى

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (4758)، ومسلم (2525).

حدود السبايا والغنائم مما قد يؤدي إلى هلاك الأمة.

8. تنفيذ الأجندة الغربية في تقسيم الأمة وتفرقتها ولكن بأيدي المسلمون أنفسهم.

9. تجهيل أجيال المسلمين المتعاقبة.

الجنود الأسرى الصهاينة لدى المقاومة الفلسطينية:

إن الشعب الفلسطيني يئن تحت آلة البطش الصهيونية، فهناك القتل والتعذيب والجرح والأسر، ويقدّر نادي الأسير الفلسطيني أن عدد الفلسطينيين الذين دخلوا الأسر على مدى سنوات الصراع يكاد يتخطى المليون فلسطيني وفلسطينية، والشعب الفلسطيني لا يملك أي قوة لتحرير أسراه من السجون الصهيونية، ولكن فصائل المقاومة الفلسطينية تستدرك قيمة الإنسان وما تعنيه الحرية ودرء الذل والامتهان عن كاهل الإنسان فلجأت إلى خطف الجنود الصهاينة ليتم تبادلهم مع الاحتلال بالأسرى والأسيرات الفلسطينيين مع الفارق المتباين بين طرفي الصراع حيث إن:

الاحتلال:

1. يقدم الاحتلال على استباحة الدماء والأعراض الفلسطينية، ويتم اعتقال الفلسطينيين فقط؛ لأنهم يطالبوا بحريتهم.

2. لا يتم مراعاة أدنى الشروط الحياتية للأسرى الفلسطينيين.

3. يتم الحكم على الأسرى بالأحكام المؤبدة مدى الحياة.

4. يحرم الأسرى من العلاج الطبي والزيارات العائلية.

5. يحرم على الأسرى من إلقاء نظرة الوداع على موتاهم.

6. لا تراعى حرمة الأسيرات، ولا يفرق الاحتلال بين الذكر والأنثى داخل الأسر.

7. يُمنع على الأسرى والأسيرات أي شكل من أشكال الخصوصية.

8. مجمل الأسرى والأسيرات من عامة الناس وليسوا محاربين.

9. يتم اعتقال الفلسطينيين من منازلهم ومن شوارع قراهم ومدنهم.

10. يتم اعتقال الفلسطينيين واستخدامهم كرهائن للامتهان من كرامتهم.

المقاومة الفلسطينية:

1. الفلسطينيون هم في أرضهم، والاحتلال هو من قدم على الأرض الفلسطينية لاحتلالها.

2. فصائل المقاومة الفلسطينية لا تختطف النساء الصهيونيات ولا تنتهك حرمات النساء.

3. يتم خطف الصهاينة المحتلين للتبادل بالأسرى الفلسطينيين.

4. مجمل المخطوفين من الصهاينة هم جنود عسكريون، ويتم خطفهم من ميادين المعركة.

5. تراعي فصائل المقاومة جميع وصايا الرسول _صلى الله عليه

وسلم ـ بالأسرى، وتوفر لهم شتى شروط الحياة كأسرى.

6. لا تهدف فصائل المقاومة بالخطف للإذلال والامتهان، بل لإعادة كرامة الإنسان الفلسطيني.

ثالثًا: الشهداء:

يقول سبحانه: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ [الحديد: 19].

الشهداء هم الذين يقاتلون في سبيل الله[1]، والشهداء هم الذين يقتلون في ساحة المعركة، والشهداء أحياء عند الله سبحانه رغم أنهم فارقوا الدنيا، وخرجت أرواحهم من أجسادهم، وقد ذكر الله سبحانه الشهداء ومدحهم وأعد لهم جنات النعيم، وهم يرزقون منذ لحظة استشهادهم.

يقول سبحانه: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آل عمران: 157].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: 169-171].

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى

(1) كما في مختار الصحاح.

الدنيا، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»[1]، والشهادة ليست بسهلة المنال، يعني أنه ليس كل الناس باستطاعتهم أن ينالوا الشهادة فهناك فرق بمن حدثته نفسه بالجهاد والاستشهاد وبين من حدثته نفسه بالموت، فمن تحدثه نفسه بالموت يستطيع أن يؤدي بنفسه إلى التهلكة بشتى الوسائل، وأما الشهداء هم يتخذهم الله شهداء.

يقول سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: 140].

والقتال في سبيل الله يحتاج إلى الزهد عن الدنيا والسعي للآخرة، فيقول سبحانه: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النساء: 74].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: 111].

ومن هذه الآيات نستدل على مدى أهمية زهد المجاهد عن الدنيا لينال الشهادة في سبيل الله ومن ثم ينال الأجر والنور من الله. يقول سبحانه: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19].

ومن أراد أن يجاهد في سبيل الله وكان صادقًا يبتغي مرضات الله سبحانه لا يتأخر في الإقدام على الجهاد مع الأخذ بالأسباب التي تناولناها فيما سبق، وليتيقن بأن الله سيعينه وييسر له طريق الجهاد. يقول سبحانه:

(1) متفق عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، وجاهدوا فينا تعني جاهدوا في سبيل نصر ديننا.

ومن جاهد في سبيل الله وأقدم على هذا العمل الرباني يجب أن يكون صادقًا مع الله، يقول سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب:23-24].

وقال _صلى الله عليه وسلم_: «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم، والريح ريح المسك»[1]. وقال _صلى الله عليه وسلم_: «الشهداء على بارق نهر باب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية».[2]

وقال _صلى الله عليه وسلم_: «لا تَجِفُّ الأرضُ مِن دَمِ الشهيدِ حتى يبتدِرَهُ زَوْجتاه، كأنَّهما طيرانِ أضَلَّتَا فَصِيلَيْهما بِبَراحٍ مِن الأرضِ، بِيَدِ كلِّ واحدةٍ منهما حُلَّةٌ خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها».[3]

وقال _صلى الله عليه وسلم_ لأم حارثة بنت النعمان[4] وقد قتل ابنها معه يوم بدر فسألته أين هو؟ قال: «إنه في الفردوس الأعلى»[5].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه «2803»، ومسلم «1876»، والترمذي «1663». والنسائي «6/ 28-29»، وأحمد «5/ 431».
(2) حديث حسن، أخرجه أحمد «1/ 266»، والطبراني في الأوسط «123».
(3) أخرجه ابن ماجة «2798» في ضعيف سنن ابن ماجة.
(4) أم حارثة بنت النعمان هي: الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زايد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك، الإصابة (4/ 301).
(5) أخرجه البخاري في صحيحه «2809».

فهذه الأحاديث الشريفة ترصد لنا بعض كرامات الشهداء عند الله سبحانه وتعالى والتي لا ينالها إلا المجاهد الصادق في سبيل الله، وهذا ما نلمسه في فلسطين والتي لا شبهة بالجهاد فيها باتضاح الكرامات الربانية على الشهداء وذويهم حيث الذكر الحسن وفخر العائلة وتوريثها إرث الشهيد لجيل تلو الجيل وعلى درب الجهاد.

رابعًا: الرباط في سبيل الله:

في ظل المتغيرات التي حلت على الأمة والعالم أجمع ما زال المجاهدون الفلسطينيون يحيون سنة الرباط في سبيل الله على الثغور؛ مترصدين لعدو الله على حدود غزة رغم أن هذا النوع من الجهاد ليس موجودًا سوى في فلسطين إلا أنه عظيم الأجر والثواب عند الله سبحانه، وقد ذكره الله في كتابه العزيز وأمرنا به، ولكن غفل عنه من غفل، واستثناه من جهل، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، وأتى فعل الأمر اصبروا، صابروا، ورابطوا بمعنى: احبسوا أنفسكم على العبادة، وجاهدوا أهواءكم، وغالبوا أعداءكم في الصبر، وأقيموا بالحدود متأهبين للجهاد.

وقال _صلى الله عليه وسلم_: «رِبَاطُ يَوم في سَبيلِ اللهِّ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبيلِ اللهِّ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا»[1].

(1) أخرجه مسلم «1345، 1365، 1368».

فالسهر على الثغور والحدود بين غزة والأراضي المحتلة عام 1948م، والسهر (الرباط) داخل المسجد الأقصى المبارك خوفًا من مهاجمة العدو الصهيوني للمسلمين ومقدساتهم لا يقل أجره عن أجر المجاهد في المعركة؛ لأن الله سبحانه فضّل المجاهدين على القاعدين درجة، ونذكر كيف كان فضل المرابطين في المسجد الأقصى المبارك على الأمة الإسلامية يوم استطاع هؤلاء المرابطون صد الهجمات العدوانية آلاف المرات وخاضوا وفجّروا الثورات عدة مرات في سبيل الله. يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: 20]، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آل عمران: 157-158].

وقال سبحانه: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95].

خامسًا: الثأر:

إن كلمة الثأر تعني: القتيل بالقتيل[1]. والثأر موجود قبل الإسلام، وعندما جاء الإسلام حرّم الثأر بين المسلمين، ولكنه جعله موجهًا نحو الكفار والمشركين ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ

(1) كما في مختار الصحاح.

وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45]، وسئل الإمام علي رضي الله عنه: هل خصك رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ بشيء؟ فقال: لا، إلا ما في هذا الكتاب، فإذا فيه «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم وألا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده»[1].

فالله سبحانه أمرنا أن نعاقب بمثل ما عاقبنا الكفار لقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: 126]، فثأرنا من أعداء الله يكون لشهدائنا وأرضنا وجرحانا وأسرانا وأعراضنا ومسرانا.

إن المسلمين هم الموكلون بولاية الدم ككل يعني أننا بحاجة إلى فكر لا يكون مغلقًا وهو بحد ذاته ثورة على الذات والتبعية للكفار وأصحاب النفوس المريضة التي سرعان ما تنهار أمام إغراءات مالية أو دنيوية بشكل عام؛ لذلك يجب على كل مسلم أن يتحد مع أخيه المسلم لتكون ثورة حقيقية على الكفار ويصعب عليهم الاستفراد بالمسلمين واحدًا تلو الآخر، فلا يجوز للمسلمين أن يتركوا نفرًا منهم لقمة سائغة للأعداء ويقفوا متفرجين كأنّ الأمر لا يعنيهم حتى لو وقع هناك مجازر وسفك دماء واغتصاب للأرض واستباحة للمقدسات كما يحدث اليوم في فلسطين.

سادسًا: الجهاد حياة:

يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24].

(1) أخرجه أبو داود وابن ماجة.

إن الله سبحانه يحذر المؤمنين القعود عن الجهاد وعن تلبية دعوة الحياة، والتراخي في تغيير المنكر في أية صورة كان[1]. ومعنى «دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» أي حثكم على ما يورثكم حياة أبدية في نعيم سرمدي، «يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ» يحول بين المرء وبين ما يتمناه قلبه من طول الحياة وفسحة الآمال بأن يميته فجأة، لذلك عليكم ألا تتأخروا عن عمل الخير لحظة فقد يعاجلكم الموت.

قال _صلى الله عليه وسلم_: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه»[2].

في البداية إن الله سبحانه يحذر المؤمنين من القعود عن الجهاد، ويوضح أمرًا هامًا وهو أن الجهاد حياة والمطلوب منه الحياة، ولو نظرنا إلى الجهاد وحقيقته نجده يسعى لهدف واحد منذ البداية هو إدخال الناس في الإسلام سواء اعتقادًا أو تشريعًا، فالرسول _صلى الله عليه وسلم_ كان يرسل الرسائل والسفراء إلى الكفار والمشركين يدعوهم بها إلى الإسلام، فإن امتنعوا يجّهز جيشه لقتالهم.

من لا يُرِدْ الدخول في العقيدة فالإسلام يريده أن يتحاكم للتشريع الإسلامي؛ لأن فيه الحياة الحقيقية الكريمة التي يملؤها العدل والإنصاف والخير وأخذ الحق وإعطاؤه. فالحياة التي لا يأمن فيها الإنسان على نفسه وماله وعرضه ليست حياة.

(1) سيد قطب: «في ظلال القرآن»، ج 3، ص 1495.
(2) أخرجه الإمام أحمد.

إذن ليس الهدف هو القتل والظلم إنما الحياة والعدل، فعندما كان ينطلق المسلمون للجهاد كان الله يعدهم بالنصر أو الشهادة فيقول سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، فالنصر هو المطلب الأول؛ لأن الله سبحانه خلق الإنسان لعبادته وإعمار أرضه، وإعمار الأرض لا يكون إلا بالحياة الكريمة وبالحياة أصلًا لا بالموت.

وإذا نظرنا إلى الشهادة فهي ليست مطلبًا في الأصل؛ فنحن لا نقاتل من أجل الشهادة، بل من أجل تبليغ دين الله وتحكيم شرعه، ولكن الله سبحانه جعل للشهادة والشهيد كرامة ومنازل وجزاء، والحرص عليها جاء من باب أن من خاف الموت خسر النصر والتمكين.

ولأجل الحفاظ على النصر والسعي إليه جعل الله سبحانه الشهداء أحياء يرزقون، ولو كان الموت هدفًا لأجل الله فقط بدون سبب لكانت مسألة قتل النفس قربانًا لله، لكن الإسلام لا يقول ذلك بل يدعو للدخول فيه لتوحيد الله وعبادته، ومن يقتل في سبيل الله هو حي عند الله، وإعمار الأرض هو غاية الوصول إلى الحياة، فمن جاهد حصل عليها وكانت كريمة، ومن قعد لم يحصل عليها وقدّر عليه عدوه دون أن يدري.

سابعًا: الرعب:

يقول سبحانه: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: 2].

وقال _صلى الله عليه وسلم_ في الحديث الذي يرويه أبي هريرة: «بُعِثْتُ بجَوامِعِ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وبيْنا أنا نائِمٌ أُتِيتُ بمَفاتِيحِ خَزائِنِ الأرْضِ، فَوُضِعَتْ في يَدَيَّ. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَذَهَبَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَها».

فالرعب يحدث في نفوس العدو هزائم كبرى والذي هو حرب نفسية، «والحرب النفسية بالمعنى الاصطلاحي المحدود فيشير إلى استخدام أساليب غير الأساليب المسلحة، أو غير أساليب الحرب التقليدية للتأثير في الخصم وإرغامه على الاعتراف بالهزيمة، أو التسليم بمطالب الخصم، والتوقف عن المقاومة»[1].

وحدث عبر التاريخ الإسلامي عدة معارك وحسم النصر للمسلمين بسبب أساليب الرعب والحرب النفسية التي كانت متواجدة، فسيدنا خالد بن الوليد كان يستخدم استبدال جند الميمنة محل الميسرة ليلًا ونهارًا يستبدل القلب محل الميسرة، وهكذا ليظن العدو أن الإمداد والجند ما زالت تصل رغم اشتعال الحرب، وهناك الكثير الكثير من العبر وليس آخرها في معركة صيحة الفجر التي خاضتها سرايا القدس في غزة بتاريخ 11/ 11/ 2019م التي جاءت إثر اغتيال الاحتلال لقائدها بهاء أبو العطا، والتي خرج الناطق باسمها ليهدد العدو ويتحداه بعد إطلاق عدة صواريخ على المدن المحتلة، وكان لصورة صاروخ البراق (120) الذي أدخلته إلى الخدمة العسكرية الأثر البالغ في إرعاب قلوب المستوطنين مما أجبر العدو على طلب وقف إطلاق النار ورضخ لشروط حركة الجهاد الإسلامي على

(1) عبد الرحمن محمد العيسوي: «علم النفس العسكري»، ص 44.

إثر الظهور الخاطف للناطق (أبو حمزة)، الناطق باسم سرايا القدس.

«فإذا كانت الحرب تشن بمواعيد محددة وتنتهي بمواعيد محددة، إلا أن الحرب النفسية تنطلق قبل المعركة للتمهيد لها، وتشن في أثناء المعركة لتحفيز الجند ورفع الروح المعنوية وترسيخ الإيمان في النصر، وإثارة جو الفزع والرعب والهزيمة في نفس الخصم، كما أنها تستمر بعد أن تتوقف الحرب، وذلك لتثبيت نتائجها وتدعيم ما حققه أطراف النزاع من انتصارات».[1]

أما الهدف الحقيقي من الحرب النفسية «فهو للنيل من الروح المعنوية للخصم وإضعاف الروح القتالية لدى الخصم والنيل من استعداده النفسي لخوض غمار الحرب»[2].

حرف البوصلة الجهادية في فلسطين سبب في تفريق الأمة

لقد خص الله سبحانه وتعالى فلسطين بالبركة حيث كانت المشيئة الربانية أن يكون المسجد الأقصى في فلسطين، فالمسجد الأقصى هو المكان الذي أسري بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه إلى السموات العلا، وقد أنزل سبحانه سورة الإسراء وفيها الدلالة الكافية على طهر هذا المكان وبركته، يقول سبحانه: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، فمن هنا ننطلق متيقنين أن فلسطين وهي مكان وجود المسجد الأقصى هي آية من القرآن الكريم كما وصفها الشهيد

(1) المصدر السابق، ص 44-45.
(2) المصدر السابق، ص 46.

الدكتور فتحي الشقاقي، فعندما كانت فلسطين هي قبلة المسلمين في الجهاد كانت الأمة الإسلامية في أوج وحدتها وشدتها وحدّتها على الكفار، فعندما قدم القائد صلاح الدين الأيوبي لتحرير فلسطين استسلم الكفار صاغرين للمسلمين الموحدين في بوصلتهم، وهذه المعركة سنذكرها لاحقًا إن شاء الله، ولكن عندما تفرقت الأمة بعد أن أعزّها الله بالنصر وحرفت بوصلتها عن فلسطين أصبح للكفار كلمة يدلى بها على مسامع المسلمين، وأصبح الكفار اليهود والنصارى يصنعون كل ما يؤدي إلى تشويه الإسلام وصورته الحقيقية حيث إن بعض الدول العربية والإسلامية تهرول لما يسمى بالتطبيع مع كيان العدو الصهيوني، وهذا التطبيع هو ما وصفه الله سبحانه وتعالى حيث قال ناهيًا عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 51]، فلما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود «آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر»، فقال مالك بن الصيف غرّكم أن أصبتم رهطًا من قريش لا علم لهم بالقتال، أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقاتلونا، فقال عبادة: يا رسول الله إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم، كثيرًا سلاحهم، شديدة شوكتهم، وإني ابرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله، فقال عبدالله بن أبي: لكني لا أبرأ من ولاء يهود، إني رجل لابد لي منهم، فقال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: يا أبا حباب أرأيت الذي نفست به من ولاء يهود على عباده فهو لك دونه، إذن أقبل. فأنزل سبحانه قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

أثر الجهاد في فلسطين على وحدة الأمة

حين ندرك طبيعة النشأة الجهادية المتوجهة إلى فلسطين وأسرارها ندرك معها طبيعة هذا الدين ومنهجه الحركي، ندرك معه مدلولات النصوص والأحكام التي وجّهت للأمة لتبقى أمة متماسكة مجتمعة تنظم علاقتها على أسس إسلامية، هكذا أوجد الإسلام متمثلًا في قاعدة نظرية مجملة، ولكنها شاملة تقوم عليها الأمة لنصرة الله؛ لنظفر بالنصر والعزة. يقول سبحانه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160].

«لا غرابة أن نربط ضخامة نصر أهل بدر بالأثر على الأمة إن توحدت للجهاد في فلسطين؛ فلقد كان القرآن حريصًا في بدر على أن يخفف من غلواء الثقة بالنفس والاعتداد بها، لقد ركز القرآن الكريم على كل جوانب العجز والنقص والوهن لدى جيل بدر، وبمقدار ما كان القرآن يقوي الثقة المحطمة في النفوس لأهل بدر إلا أن آياته ما زالت هي المختارة للتحفيز على الجهاد والمرشحة للنصر والمهيئة للتمكين في الأرض»[1].

إن منزل هذه الآيات الكريمة ليثبت بها قلوب أهل بدر أنزل سورة الإسراء وجعل للمسجد الأقصى مكانة عليا لتبقى الأرض الحاضنة للمسجد الأقصى (القدس)، أرض فلسطين هي قبلة المجاهدين للقتال. ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139].

(1) منير الغضبان: «المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجهادية»، مكتبة المنار، ج 1، ص 336.

إن أسوأ أنواع الهدم هو الهدم الذي يبدأ من الداخل، فينخر الجسد حتى يصبح الجسد خاويًا هزيلًا فارغًا لا يملك أي مقومات للثبات والصمود أمام أبسط الهزات، فالواجب على كل مجاهد مسلم أن ينتصر على ذاته وعلى الوهن الذي حلّ بهذه الأمة، فلا يلتفت لما آلت إليه أمورها وأمست تخاف كيانًا محتلًا هشًا من الناحية المنطقية، ولكن الاستكانة والوهن جعلت منه هالة كبيرة تخيف أصحاب النفوس المريضة، والذين خيّم عليهم الذل، وجعلهم يتهافتون بإسراع نحو التطبيع مع هذا الكيان ظانين بولايتهم لهذا المحتل نجاتهم من المآزق التي صنعها العدو للأمة.

إن المحتل الذليل لن يرضى عن كل المطبعين حتى يصبحوا كفارًا متصهينين؛ لأنه يدرك أكاذيبه حول أحقيته بأرض فلسطين والقصص والأساطير التي يصّدرها لأذهان العالم، وأن اليهود هم أمة موحدة، وأن الأمة الإسلامية أمة متفرقة، لكن الله سبحانه يقول: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: 14].

وهنا يجب أن نذكر من ضّل السبيل واتخذ من الكيان الصهيوني وحلفائه أولياء أن اليهود وعلى مدار الأزمنة لم يؤمن جانبهم، وهم بطبيعة فلسفتهم الحياتية الغدر والمكيدة، وأول فريسة لهم هم أولياؤهم؛ لذا أنزل الله سبحانه آيات تتلى إلى يوم القيامة موضحًا ما يفعله هؤلاء القوم فقال: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 2].

والتاريخ الحديث حافل بالمشاهد الحية على غدر اليهود بأوليائهم، فلماذا ما زال البعض يرضى بالخنوع والذل وبين يديه الأدلة من الكتاب والسنة والتاريخ؟ لماذا يرضون على أنفسهم الإمعان بقتل المسلمين والأبرياء ويوجهون طاقاتهم ضد الإسلام والمسلمين ليرضوا الكفار؟ فالقدس كاشفة العورات والقول للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي.

نعم إن ما شهدته بلاد المسلمين من مجازر ودماء وتحريف وتشويه للإسلام بأيدٍ إسلامية موجهة بسلاح الكفار النصارى المحاربين للإسلام (حلف الناتو) برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية واليهود المحتلين «الكيان الصهيوني»، كانت هذه المجازر تهدف لحرف البوصلة الجهادية عن فلسطين أرض الطهارة، وكان من يوالي هؤلاء الكفرة هم من ظنوا أن بولاية الكفار يستطيعون أن يطفئوا نور الله، ولكن الله يتم نوره ولو كره الكافرون، ففلسطين تعني الإنسان، الجغرافيا، الحضارة، اللغة، التراث، الدين، الوجدان، وإن جغرافيا الصراع تمتد على مساحة الأمة، أما مركزية الصراع وجوهره فهي فلسطين، وهذه حقيقة ثابتة، وفي الفصل القادم إن شاء الله سنتعرف على فلسطين وجذورها وما آلت إليه الأحداث التاريخية، ولماذا فلسطين؟ وكيف تنتصر الثورة على الذات وتسقط التبعية البائسة.

ملخص الفصل الأول

إن أهم ما يمكن استخلاصه من دراسة الفصل الأول الأهمية والمكانة التي جعلها الله منصبًا رفيعًا للمسلمين، وفي مطلع حديثنا تبين لنا أن الإسلام حركة جامعة في رقي الإنسان وسموه، وكذلك عرّفنا الجهاد، وتدرجنا بكيفية المجاهدة بدءًا من مجاهدة النفس على ترك المعاصي والترفع عن صغار الذنوب وصولًا إلى الجهاد بالمال والنفس، ومتى أذن للمسلمين بالقتال بعدما عرفناه وبيّنا كيف تكون وطرقه، مستشهدين بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة معرجين على بعض الأحداث الواقعية، ومن خلال توضيح كيف يكون الجهاد في سبيل الله، وكيفية رص الصفوف.

كذلك شرح هذا الفصل جانبًا مهمًا من جوانبه ألا وهو ذكر وشرح مقتضب لبعض صور الجهاد في الإسلام، ومتى يجب مقاتلة الكفار، ومتى يفرض القتال، مع تعريف الجهاد الخاص وجهاد الدفاع «الدفع» والجهاد ضد الشيطان، وجهاد الكلمة وجهاد الطلب، أما بالنسبة للضعف والوهن والاستكانة فقد توسعنا قليلًا في كيفية البعد عن الوهن والضعف.

وكما يلاحظ ذكرنا الإعداد الجهادي الذي يقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الإعداد الإيماني.

القسم الثاني: الإعداد العسكري.

وتعرفنا على كيفية إعداد كل منهما بالمعلومة المطلوبة المدعمة بالشرح والأدلة.

ومن خلال دراسة الجهاد في سبيل الله كان لابد من تناول آفة زماننا المعاصر، وهي التولي يوم الزحف، وحذرنا من خلال الآيات والحديث ما هي العواقب الوخيمة للتولي يوم الزحف، مستحضرين كيف يكون الجهاد في فلسطين، وكيف يرص مجاهدوها صفوفهم فيما يقابلهم أعراب ومسلمون يوالون الصهاينة ويتولون يوم الزحف.

أدى هذا التدرج إلى تناول الهدنة من منظورها الشرعي الذي تعتمد عليه فصائل المقاومة الإسلامية في فلسطين (حركتا حماس والجهاد الإسلامي)، وفرقنا ما بين الهدنة والتهدئة غير متجاهلين نظرة العدو للهدنة والتي تقوم على حفاظه على أمنه بالدرجة الأولى.

لقد صمد الشعب الفلسطيني وفصائل المقاومة في وجه الاحتلال، وكان أحد أسباب هذا الصمود هو السر والكتمان الجهادي، وذلك من خلال استفادته من الأوامر الربانية وأخذ العبر من السير الجهادية للمسلمين. أما دراسة أهم مسببات النصر في الجهاد فإنها تكشف عن أهمية إخلاص نية الجهاد لله تعالى لتحقيق منهجه، وكيف يكون الفضل من الله وأن المدد الإلهي لا يمكن رؤيته، ولكن يمكن ملامسة آثاره في إهلاك العدو، وأن الله سبحانه يسخر جنودًا لقتال العدو كالريح والمرض والغرق والتيه وما إلى ذلك، وعلمنا أن السكينة الربانية تثبت الإيمان في قلوب المؤمنين مع إدراك أهمية مخافة الله تعالى والثقة بنصره والابتعاد عن الظلم.

وتناولنا أهمية عدم الغرور بالقوة والكثرة، والتوكل الحقيقي على الله مع التخطيط والمراوغة والخداع في الهجمات الجهادية، وذكرنا من حياتنا

المعاصرة كيف يكون التفاني في خدمة الإخوة والإقدام من واقع الأسرى والأسيرات الفلسطينيين وصولًا إلى عدم مخالفة أوامر القيادة واتباع الخطط المرسومة شارحين كيف تعود مخالفة أوامر القيادة على المجاهد بالهزيمة؛ لأن القائد يكون قد وضع أهدافًا استراتيجية نهائية وخططًا مرحلية دقيقة؛ لذلك كان لابد أن يقدم المجاهد على الجهاد بالمال والنفس لينالوا الدرجات من الله وصولًا إلى الأهمية البالغة للأمن في حياة المجاهد؛ لأن الأمن مسألة حياة أو موت.

أما الأدبيات الجهادية فانطوت على الغنائم وحكمها، والأسرى وكيفية معاملتهم من قبل الرسول الكريم والصحابة وكذلك مجاهدو فلسطين، فيما يترأس العدو الصهيوني عرش الظلم والإمعان في كسر الإنسانية للأسرى الفلسطينيين، مع تعريف من هم الشهداء وما هو الثواب الذي وعد الله به الشهداء في سبيله، وكيف يكون الرباط الذي لا يكاد موجودًا في عصرنا سوى في فلسطين على حدود غزة وفي ساحات المسجد الأقصى، وما هو الثأر ولماذا حرم الإسلام الثأر، متوجهًا أن يكون الثأر فقط من أعداء الله، أي أن الجهاد يعني الحياة؛ لأن الله سبحانه حذر عباده من القعود عن الجهاد؛ لأن في الجهاد اجتثاثًا للمنكر وإشاعة للحق في أوساط الأمة، وأن الرعب نصر الرسول _صلى الله عليه وسلم_ به، وأنه يحدث في نفوس العدو هزائم كبرى.

وفي النهاية كان لابد من تبيان كيف يكون حرف البوصلة عن فلسطين سببًا في تفريق الأمة، وكيف يكون أثر الجهاد في فلسطين واضحًا على وحدة الأمة.

وهـذا الفصـل يؤكـد مـدى صوابيـة الفرضيتـين الأولى والثانيـة مـن فرضيـات الدراسـة وهـي أن فلسـطين مهـد للجهـاد في سـبيل الله، وأن السـبيل الوحيـد للقضـاء عـلى العـدو الصهيـوني الـذي احتـل فلسـطين هـو الجهـاد الذي أمـر بـه الله سـبحانه.

الفصل الثاني

لماذا فلسطين؟

تشكل فلسطين مركزية هامة جعلت منها محط أنظار العالم ومطمعًا للاحتلال والاستعمار قديمًا وحديثًا، ففلسطين تعتبر قلب الوطن العربي وواسطة عقده وقبلة أنظاره، وملتقى الحضارات، وهي بلاد خيرة وجميلة، ومن أهم بقاع الأرض قاطبة من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية»[1].

بقيت فلسطين تعرف باسم سوريا الجنوبية، ولم تكن كيانًا جغرافيًا تاريخيًا قائمًا بذاته، ولم تكرس الحدود الفاصلة بين المناطق التي احتلها البريطانيون والمناطق التي احتلها الفرنسيون تكريسًا نهائيًا إلا سنة 1923م مع اتفاقية سايكس بيكو الموقعة بين الطرفين، وتلك الاتفاقية لم تبرز نتائجها قطريًا إلا في فترة متأخرة مع نشوء دول الاستقلال[2]، وفلسطين من حيث جغرافيتها تقع في الغرب من قارة آسيا بين خطي عرض 29.30 و33.15، وبين خطي طول 34.15 و36.4 شرقي جرينتش، وتتوسط مفارق الطريق بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتصل بين البحر الأبيض المتوسط

(1) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 11.

(2) موسى البديري: «الفلسطينيون بين الهوية القومية والهوية الدينية»، المركز العربي للمعلومات، بيروت، ص9.

(الموصول بالمحيط الأطلنطي) والبحر الأحمر وجزء من المحيط الهندي[1].

ولم يكن مفهوم الاستقلال السياسي واضحًا في أذهان المفكرين ورجال السياسة العرب في فلسطين مطلع القرن الماضي ضمن الخصوصية الوطنية في ظل التعامل مع فلسطين كجزء من سوريا الطبيعية هذا، كما أن مفهوم الاستقلال ذاته تشكل كرد فعل على اتفاقية سايكس بيكو الرامية إلى تجزئة الوطن العربي»[2].

وفلسطين من حيث جغرافيتها وتاريخها جزء طبيعي من بلاد الشام التي تضم سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، كما أنها قلب العالم العربي؛ لأنها صلة الوصل بين جزئيه الآسيوي والأفريقي[3].

والحديث عن فلسطين وحبها يعني الحب للإسلام، فالإسلام لا يتعارض مع حب الأرض وبخاصة فلسطين، فهي أرض مقدسة إسلامية وآية من القرآن الكريم كما وصفها الشهيد الدكتور المفكر فتحي الشقاقي، فهي قلب سورة الإسراء ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، وأي دراسة لتاريخ فلسطين وأهميتها تؤدي إلى توجيه الطاقات الإسلامية المجاهدة والثورية النضالية نحو جوهر الصراع (فلسطين)، وإن حبنا لفلسطين منصب على قدسيتها والتي هي قدسية

(1) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 11.

(2) مركز الكتاب الأردني: «المحافظة على الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني»، عمان، الطبعة الأولى، ص +27ص 31.

(3) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 3.

القرآن الكريم ومن وصايا الرسول _صلى الله عليه وسلم_، ومن فهمنا للإسلام وإيماننا العميق وعقيدتنا السليمة، يقول _صلى الله عليه وسلم_: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ولعدوهم قاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا ما أصابهم من لأواء إلا أن يأتي أمر الله وهم كذلك». وفي رواية «قيل أين هم يا رسول الله؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[1].

إن فهمنا السياسي للحدث التاريخي أو تحليلنا السياسي يعني دائمًا التوظيف للتاريخ وأهميته بالنسبة للأجيال الناشئة التي ما فتئ العدو الصهيوني إلا واختلق الأكاذيب ومزجها مع أوهامه ليزوّر هذا التاريخ الذي يثبت على مضض زيفه بأحقية الوجود فوق أرض فلسطين؛ مهرولًا نحو استعطاف العالم بأن اليهود أظهروا على مدار التاريخ، وأن فلسطين هي أرض الميعاد، فالحديث عن فلسطين يعني أننا نتحدث عن جزء من بلاد الشام أو الهلال الخصيب، وهي البقعة الواقعة على الحفرة الانهدامية بين آسيا وأفريقيا والتي يبلغ مساحتها حوالي 27009 كم²، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو 430 كم، وعرضها يتراوح في الشمال بين 51 كم و70 كم، وفي الوسط يتراوح العرض بين 72 كم و95 كم، بينما يتسع في الجنوب حتى يصل إلى نحو 117 كم[2].

ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سوريا والأردن، ومن الشمال لبنان وسوريا، ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء،

(1) رواه أحمد، ورواته ثقات.

(2) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 11.

وخليج العقبة، وتتميز فلسطين عبر التاريخ باحتضانها لبيت المقدس مما جعل منها ولاية أو مقاطعة أو دويلة حسب المرحلة التاريخية التي مرت بها، وبعد انهيار الخلافة الإسلامية، وهذا الحدث العالمي أدى إلى فرز فلسطين من بلاد الشام، وإيقاع هذه البقعة الإسلامية تحت الاحتلال.

إن فلسطين التاريخية تحتوي على العديد من المعالم التاريخية الإسلامية مثل:

1. المسجد الأقصى المبارك الذي من أهم معالمه المسجد القبلي ومسجد قبة الصخرة.

2. قصر هشام الأموي في أريحا.

وكذلك المعالم المسيحية مثل:

1. كنيسة القيامة في القدس وكنيسة الجثمانية.

2. كنيسة المهد في بيت لحم.

3. كنيسة البشارة في الناصرة.

علمًا أن فلسطين تحتوي على العشرات من هذه المعالم الإسلامية المسيحية، ولم يتم العثور على أي معلم تاريخي يهودي؛ لهذا السبب لجأت قوى طمس المعالم الإسلامية والمعالم التاريخية إلى سرقة الآثار من سوريا

والعراق وبيعها للحركة الصهيونية ليتم تزييفها لصالح الاحتلال، وحرق ما بقي من شواهد تاريخية وتثيرها لتكون خالصة للصهاينة.

أما بالنسبة للمعالم والشواهد الحقيقية الفلسطينية فدائمًا ما لجأ الاحتلال للاستيلاء عليها من خلال قوانين المصادرة وسرقتها من القرى العربية ومنع تجمعها في متاحف فلسطينية.

خروج الكنعانيين من فلسطين

«يعتبر الكنعانيون[1] من أكبر الموجات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، وكانت هجرتهم قبل الميلاد بـ (3-4 آلاف سنة)، وهم في الأصل عرب، فكلمة كنعان مشابهة باللفظ لكلمة: عدنان، غسان، قحطان، ويعتبرهم مؤرخو العرب _بالعرب البائدة_ كما أن في ساحل عمان منطقة تعرف حاليًا باسم كنعان، وقد استقر الكنعانيون في فلسطين وسيطروا عليها سيطرة تامة حتى إنها عرفت باسم أرض كنعان أو بلاد كنعان كما ورد في العهد القديم من التوراة»[2].

دخول العبرانيين لفلسطين

إن فلسطين تجمع الكثير من الآثار والأماكن الأثرية التي تدل

(1) الكنعانيون والفنيقيون شعب واحد نسبًا ولقمةً ودينًا وحضارة، انقسموا إلى قسمين الأول سكن فلسطين والثاني سكن الساحل الشامي من مصب نهر العاصي إلى جنوبي الكرمل، انظر: أمين الريحاني، «قلب لبنان»، بيروت، 1958، ص483. وانظر أيضًا: مصطفى مراد الدباغ: «بلادنا فلسطين»، بيروت، 1965، الجزء الأول، ص 387 - 390.

(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 4.

على عمارتها منذ فجر التاريخ، فهناك شواهد مثل مجدو مثلًا وأريحا وهي أقدم مدينة في العالم والمعروفة بالاسم الكنعاني «بمدينة القمر» وهي تشير إلى عراقة التاريخ إضافة إلى المسجد الأقصى المبارك، وبين سنين (1400 ق.م–1200 ق.م) دخل فلسطين جماعات قبلية يطلق عليها الباحثون اسم عبريوا (عبيرو) أو العبرانيون، وهي جماعات مختلطة ذات أصول متنوعة سامية وغير سامية، وقد احتل العبرانيون أريحا سنة (1186 ق.م) وذبحوا كل ما فيها حتى البهائم، ونهبوا ما وصلت إليه أيديهم وتم لهم الاستيلاء على بيت المقدس بعد نحو قرنين، وفي الفترة التي كانوا يقاتلون فيها سكان البلاد الأصليين (أي الكنعانيين) الفلسطينيون وكانوا يتعلمون منهم طرق الحياة المدنية والثقافية وأساليب الحكم، دخل العبرانيون في دور التنظيم الصحيح لما تولى المملكة داود (1016 ق.م–976 ق.م)، ثم ابنه سليمان (976 ق.م–936 ق.م)، فالأول قام بفتح القدس التي اتخذها عاصمة لملكه بينما اهتم الثاني بالصناعة والتجارة، وملك سليمان يمثل أكبر اتساع للدولة العبرانية في فلسطين»[1]، وكلمة عبيرو هي كلمة مرادفة لكلمة ابن البادية. وسموا بهذا الاسم نسبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام لعبوره النهر وسيدنا إبراهيم لم يكن يهوديًا أصلًا يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

وأثبت الباحثون بأن الذي جاءت به التوراة حول فلسطين قد تم سرقته من كتب الآثار التاريخية، هذا بالإضافة إلى أنها تحوي بأسفارها العديد من الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة في تلك

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 6.

العصور، ولا يعقل بأن عيزرا الذي كتب التوراة ونسخها بعد حوالي ألف عام من تلاشي التوراة الأصلية أن يكتب حقائق دينية أوحيت لسيدنا موسى ليتم اعتمادها من قبل الحركة الصهيونية.

علمًا أن اليهود لا يتعبدون بتلاوة التوراة بصلواتهم وهم يقومون بتنقيحها بفترات متتالية ويكتبونها ويقولون هي من عند الله، يقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 78].

والفكر الديني اليهودي يتخذ التوراة لتحقيق وخدمة مآرب سياسية، يأخذون منه ما يشاؤون ويطرحون ما يشاؤون، لتكون التوراة بالنسبة لليهود كتابًا مسيّسًا باسم الدين.

«ودرج المؤرخون واللاهوتيون على اعتبار أن الشعب اليهودي كله قد انحدر من الجد الأول، وأن الديانة اليهودية قد بدأت بموسى عليه السلام»[1]، واعتمدوا من هذا على التوراة مصدرًا تاريخيًا وحيدًا مسلمًا به وأخذوا يدونون تاريخ اليهود كحقيقة ثابتة لا جدال فيها»[2]، ولا شك أن المؤرخين اعتمدوا على أسفار العهد القديم (التوراة) دون غيرها وهذا من شأنه الخروج بتاريخ مبتور مشوه لفلسطين وغيرها من مناطق بلاد

(1) David J. Gold berg John D.Rayner. The Jewish people- Ther History & Thir Religion. Middesex-England, viking HarMond sworth,1987.P.3.

(2) يوسف أيوب حداد: «هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين»، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ج 10، ص 9.

الشام[1]، علمًا أن مؤلفي التوراة ومؤرخيها لم يزامنوا الأحداث المسرودة فيها، كما أن هؤلاء المؤلفين غالبًا ما تبعوا للمملكة الجنوبية (مملكة يهوذا)، وكانوا متحيزين لها ضد مملكة الشمال والممالك المجاورة أي أنها كانت من وجهة نظر معينة[2].

«والتوراة تعرف بأنها الهداية والإرشاد أو التعلم، وهي كتاب اليهود المقدس الذي يتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم وأسفارًا أدبية وشعرية»[3]، وتقول المصادر إن أقدم قراءة للتوراة العبرية جرت حوالي عام 444 ق.م عندما دعي عيزرا اليهودي إلى سماع بعض منها[4]، أما أسفار التوراة المنسوبة إلى النبي موسى عليه السلام فقام عيزرا بتسجيلها بعده بألف سنة[5]، ومما يدل على أن التوراة وضعت بعد موسى بقرون هو تحدثه فيها بصيغة الماضي في أمور وقعت بعد مواراته في ثرى رمسه بزمن مديد، وفي أشياء ليس من الطبيعي أن يعمل فيها فكره وهو تائه في صحراء سيناء، والأكثر أدلة على أن التوراة وضعت بعد وفاة موسى هو الحديث والوصف لجنازة موسى والتي لا يمكن أن يكون هو كاتبها أو أنها أوحيت إليه[6]. هذا الذي أسلفناه يدحض الافتراءات الدينية التي تروّج لها الحركة الصهيونية العالمية بالأحقية الدينية والتاريخية في فلسطين، وبالرغم من هذا كله نجد أن بعض الآذان الصاغية لهذه الأكاذيب أصبحت تتغنى بهذه الأحقية الدينية وتتخذها مبررًا لاتفاقيات الغدر والخيانة للشعب

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني، بيروت 1995، ص 111.
(2) المصدر السابق، مقتطفات.
(3) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دمشق، ص 589.
(4) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دمشق، ص 336.
(5) عصام الدين حنفي: «موسى وفرعون بين الأسطورية التاريخية»، دار العلم الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى، 1975م، ص 8.
(6) المصدر السابق، ص 1.

الفلسطيني، علمًا أن كل الشواهد التي أسلفناها تؤكد أن هذا التاريخ الذي كتب بعد سيدنا موسى بالتوراة يكون قد اعتراه التحريف»[1].

«ويرى بعض الباحثين أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة لم تكتب أصلًا بقلم واحد، بل منها ثلاثة أسفار من بينها التكوين والخروج والعدد؛ لم يكتب أي منها بقلم واحد، وما هذه الأسفار إلا مجموعة من الأقاصيص الصادرة عن تقاليد مختلفة ربما كان بعضها مكتوبًا، وقد تم جمعها وتنسيقها في وقت متأخر نسبيًا، وأضيف إليها ما أضيف، فأصبحت تشكل جزءًا لا يتجزأ من تصور بني إسرائيل لتاريخهم»[2]، إن سيدنا إبراهيم عليه السلام والذي يعتبره اليهود الجد الأول لهم قد خرج من العراق بعد أن حاول قومه إحراقه ووصل إلى مدينة الخليل الفلسطينية التي سميت باسمه؛ لأنه خليل الله تعالى، ويوجد فيها مسجده الإبراهيمي، وأنجب سيدنا إسماعيل ثم أمره الله تعالى بأن يذهب به إلى مكة المكرمة مع أمه هاجر المصرية التي أهديت من المصريين لامرأته سارة ابنة عمه وبقي مع زوجته سارة والتي أنجبت له ابنه إسحاق على الكبر بأمر من الله تعالى، وإسحاق رزق بيعقوب عليه السلام والذي لقب بإسرائيل، ومن هنا يأتي الرد أن لا وجود للأكذوبة الصهيونية أن أرض فلسطين هي التي لإسرائيل وهي أرض ميعاده، وكثيرة هي الأساطير التي يرددها الحاخامات اليوم ويورثونها للأجيال بأن إسرائيل هو صاحب هذه الأرض، مع التأكيد أن سيدنا يعقوب دخل أرض فلسطين وصحراءها وعاش فيها هو وأبناؤه،

(1) كمال الصليبي: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، ترجمة عفيف الرزاز، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1985م، ص 15.
(2) كمال الصليبي: «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل»، دار الساقي، لندن، 1988م، ص 13.

وبعد أن أصبح لسيدنا يعقوب 12 ولدًا حدثت قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي ذكرت في سورة يوسف في القرآن الكريم، وهو ابن سيدنا يعقوب، وحدث القحط في فلسطين، فخرج سيدنا يعقوب هو وعائلته قاطبة إلى مصر، وحصل أن الفراعنة اضطهدوهم بأشكال عدة، فأرسل الله سيدنا موسى ليهديهم وينقذهم، وحصلت قصة فلق البحر وهلك فرعون وجنوده، وعبر بني إسرائيل إلى صحراء سيناء فأمرهم سيدنا موسى بالدخول إلى فلسطين فرفضوا، يقول سبحانه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: 21-22].

يقول سبحانه: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، فحرّم الله الأرض المقدسة على من رفض أوامره فتاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة، وتوفي سيدنا موسى عليه السلام دون أن يدخل فلسطين.

إن علماء الآثار والذين ما زالوا يبحثون في فلسطين «لم يتوصلوا إلى دليل تاريخي بشأن إسحاق ويعقوب، وفي مجمل القصص التوراتية مغالطات وتضارب ومفارقات، فتدوينها جاء متأخرًا في زمن الأسر البابلي، قصد به مدونوها تأريخ غزوهم لأرض كنعان»[1]، «كل ذلك يقودنا بعدم الركون إلى السجل التوراتي كمستند تاريخي موضوعي ما دام الأركيولوجيا بحفرياتهم، رغم تعددهم واهتماماتهم، لم يتوصلوا لمكتشفات تطابق هذا

(1) Roberta straus feuerliecht, the fate of the Jewish, New York times Books, 1983.P 7.

السجل تنقلت فصوله أجيالًا مديدة»[1]، وأما الحفريات الصهيونية تحت المسجد الأقصى أيضًا لم يتم العثور على سجل منذ عام 67، لقد عاش بنو إسرائيل في فلسطين وبنوا فيها مملكتهم الأولى وكانت عاصمتها بيت المقدس وسميت يهودا نسبة إلى سبط من أسباط سيدنا يعقوب، أي أحد أبنائه الاثني عشر لاعتقاد موجود لدى اليهود أن الملك في سبط يهود، لذلك يعتبرون سيدنا داوود الذي أسس هذه المملكة ملكًا وليس نبيًا، «وفي هذه المملكة كثرت الحروب بينها وبين مملكة الشمال «السامرة» واشتدت الفتن وتناوبت مصر ودمشق الآرامية النفوذ فيهما»[2]، وهذه الممالك كانت ممالك عابرة ولم يكن لها حضارات شاهدة.

«أما المملكة الثانية التي كانت في الشمال سميت بالسامرة، وكانت عاصمتها السامرة بجوار نابلس ومملكة داوود وسليمان لم تعمر سوى ثمانين عامًا، وانتهى الأمر بدويلة إسرائيل إلى أن استولى عليها الآشوريون (722 ق.م)، واقتادوا الكثير من أهلها إلى آشور وأحلوا محلهم قبائل نقلت من بلاد الامبراطورية الآشورية، ويظهر أنه كان بين هذه القبائل آرامية وأخرى عربية الأصل[3]، أما دويلة يهودا الجنوبية فقد حاصر الآشوريون عاصمتها القدس سنة (701 ق.م) وحصلوا فيها على الحرية، لكن الذي قضى على دويلة يهودا هو ملك الكلدانيين نبوخذ نصر، وذلك سنة (586 ق.م) فدمّر العاصمة تدميرًا تامًا، وأحرق الهيكل وساق الكثير من حكامها ورؤسائها وجنودها مع الآلاف من سكان البلاد إلى بابل وأصبحت فلسطين كلها

(1) يفغيني يفسيف: «الصهيونية في الاتحاد السوفياتي»، دراسة هاني مندس، بيروت، 1991، ص 102، ص103.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 7.
(3) المصدر السابق.

ولاية كلدانية بابلية[1]، مع الأخذ بالاعتبار أن كلمة هيكل هي كلمة كنعانية، وفي دويلة يهودا لم يكن هيكلًا بل كان قصر لسليمان عليه السلام بني على الطراز الكنعاني بأيدي فينيقية.

«وتذكر المصادر المقدسة أن موسى عليه السلام بعد تلقيه أوامر ربه في سيناء _الأوامر التوراتية_ وسلمها إلى اللاويين لحفظها في تابوت العهد في شيلوه، وأمرهم بقراءتها أمام كل بني اسرائيل بعد سبع سنوات، وفي عهد المظال قام خليفته يشوع بتنفيذ ذلك الأمر، ومن ثم حفظ نسخة التوراة وأثناء الحرب مع الفلستيين اصطحب اليهود توراتهم المحفوظة في تابوت العهد للتبرك بها والحفاظ عليها، ونتيجة الحرب استولى الفلستيون على التابوت والتوراة واحتفظوا بها سبعة أشهر ضاع فيها أي ذكر للتوراة، ثم وردت أخبار عن استعادة اليهود التابوت الذي فقد مرة أخرى أثناء حصار القائد البابلي نبوخذ نصر بيت المقدس (588-586 ق.م)، وبعد الخراب بسبعين عامًا خرج المدعو عزرا يزعم عثوره على الأسفار التي تمسك بها اليهود»[2].

ويعتقد بعض المؤرخين أن عزرا (وكان يهوديًا متحمسًا) جمع من أحبار اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي عددًا من الكتب والروايات المقدسة التي سمعها واطلع عليها، وأنه قام بإعداد أول نسخ التوراة المكتوبة رتب فيها الأسفار وقسمها ثلاثة أقسام[3].

هذا قول المصادر المقدسة، ولكن إن ذهبنا للقرآن الكريم وتفسير

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 7.
(2) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دمشق، مقتطفات.
(3) المصدر السابق، ص 590.

قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: 248]، أي علامة ملكه واصطفائه عليكم)أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ(، أي يرد الله إليكم التابوت الذي أخذ منكم، وهو كما قال الزمخشري: صندوق التوراة الذي كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون)فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ(، أي في التابوت السكون والطمأنينة والوقار، وفيه أيضًا من آثار)وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ(، وهي عصا موسى وثيابه وبعض الألواح التي كتبت فيها التوراة)تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ(، قال ابن عباس: «جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون». ويكمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي إن في نزول التابوت لعلامة واضحة أن الله اختاره ليكون ملكًا عليكم إن كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر[1].

وكما تم تحريف كلمة هيكل تم أيضًا تحريف الكثير من الأسماء والأماكن وهنا نؤكد أن أسماء الأماكن التوراتية لا وجود لها في فلسطين والأقلية الضئيلة منها لا تتطابق من ناحية الإحداثيات مع تلك الموجودة بالأسماء ذاتها في التوراة وأرض فلسطين، وما زال علماء الآثار يبحثون في فلسطين عن دليل واحد قاطع على أن البلاد التوراتية كانت هناك، والأمر ذاته ينطبق على العراق وبلاد الشام وسيناء ومصر، أي على الأرض من النيل إلى الفرات والتي من المفترض أن يكون التاريخ التوراتي له شأن مباشر بها[2].

(1) محمد علي الصابوني: «صفوة التفاسير»، دار الصابوني، المجلد الأول، ص 158.
(2) كمال الصليبي: «خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل»، دار الساقي، لندن، 1988م، ص 9.

وذات الأمر والسرقة تنطبق على الكثير من المسميات الصهيونية كعملة الشيقل التي يتخذها الكيان الصهيوني كعملة رسمية له هي بالأصل عملة كنعانية، فسرقة الأسماء الكنعانية والعربية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسرقة الأرض والمقدسات لا ينفك إحداهما عن الآخر.

«ويشار هنا أنه حين قضى قورش الفارسي على بابل وأصبحت فلسطين جزءًا من إمبراطورية قورش سمح (539 ق.م) لمن أراد من اليهود بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل فيها، فعادت جماعة منهم وبنت الهيكل من جديد، ولكن الكثيرين آثروا البقاء حيث هم، وزوجة قورش آستر كانت تؤثر في قراره حتى يساعد اليهود في فتح بابل. وفي سنة (332 ق.م) احتل الإسكندر القدس وخضعت فلسطين له بأكملها، كما خضعت المنطقة بأسرها؛ لكن بعد وفاة الاسكندر وانقسام مملكته الواسعة كانت فلسطين حجري رحى حلفاء الإسكندر: (البطالمة في مصر، والسلوقيون في سوريا، وانتهى الأمر بفلسطين إلى أن وقعت في نهاية القرن الثالث ق.م بيد السلوقيين)»[1].

ويذكر إن «أهم حدث في التاريخ اليهودي ليس الخروج من مصر أو عبور سيناء، ولا نزول الشريعة على موسى، ولا إقامة المملكة العبرية، وإنما هو سقوط القدس على يد نبوخذ نصر، فكل شيء في التاريخ اليهودي يدور حول هذا الحدث أو ينطلق منه أو يترتب عليه، فبعد سنين من الوجود القلق المحاط بالنكبات، وبعد تحذير أنبياء إسرائيل من شبح الكارثة، حلت المأساة عام (586 ق.م) بتدمير البابليين للهيكل واقتياد

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 7-8.

الفئات الاجتماعية العليا إلى بابل من المجتمع اليهودي بما في ذلك ملك يهودا يهويا قيم، والأمراء وجمهور غفير من الحرفين والصناع والكتبة. وفي منفاهم ببابل تأمل اليهود في مصيرهم الديني»[1].

«ومنذ زمن السبي فيما بعد، إلى قبيل العهد المسيحي وضعت كتب دينية عديدة لم تكن لتنتهي إلى مجموعة أسفار العهد القديم، وإنما اتخذت طريقها فيما بعد إلى التلموذ، وقالوا إن هذا هو شريعة موسى الشفوية لقنها أخاه هارون، وهارون لقنها الكهنة»[2].

«وبعد أن فتح الاسكندر بابل تطوع اليهود لخدمة الإغريق، وشكلوا كتيبة يهودية حاربت للدفاع عن مدينة بابل سنة 220 ق.م، وفي هذا العهد أسقطوا التقويم العبري وراحوا يستعملون التقويم السلوقي الذي جاء به الإغريق»[3].

«كانت بلاد بابل مركز الثقل الاقتصادي والتجاري للعالم القديم، وفيها نشط اليهود في ميادين التجارة والصناعة، وأنشأوا مستعمرات تجارية في أماكن كثيرة من الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط، وساعد ذلك على نشر اليهودية من ناحية، واتساع أفقها الإنساني وتشربها لأفكار الشعوب الأخرى من ناحية ثانية، ومن هذه المستعمرات ما أقامته الطائفة اليهودية في اليمن، أما أبناء الطائفة اليمنية أنفسهم فكانوا يعتقدون أنهم أحفاد 75.000 شخص خرجوا من فلسطين بناء على نصيحة أرميا، قبل

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، الطبعة الأولى، دمشق، ص 719.
(2) مارتن لوثر: «نفاق اليهود»، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، دار الفكر، ط١، 1974م، ص 328-329.
(3) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، الطبعة الأولى، دمشق، ص 221.

سقوط الهيكل بنحو 42 سنة، وعندما ظهر عزرا ودعا يهود الشتات إلى العودة إلى فلسطين ورفض يهود اليمن الاستماع إليه أصدر لعنته عليهم وتحريمهم إلى آخر الزمان، وعندما توفى عزرا رد اليهود على لعنته بحرمانه من الدفن في فلسطين انتقامًا منه، وامتنعوا عن تسمية أبنائهم باسم عزرا»[1].

ونستدل من كل هذا أن معظم اليهود في بابل واليمن لم يكونوا يأخذون بأقوال «عزرا»، ونحميا بشأن العودة إلى القدس، بل بقوا في الشتات، وتأثروا بثقافات السكان والبلدان التي تواجدوا فيها بالشتات، حتى أنهم استغنوا عن لغتهم.

اليهود فيما بعد العصر اليوناني

« أحرز الإسكندر المقدوني انتصارًا ساحقًا على ملك فارس، دارا الثالث، في معركة أيسوس بيكيليكا عام 334 ق.م، واجتاز جبال طوروس فانبسط سلطانه نتيجة لذلك على مملكة الفرس، ثم على بلاد الشام ومصر بغير عناء كبير، باستثناء صور[2] وغزة اللتين استطاعتا المقاومة فترة من الزمن»[3].

«كانت وفاة الإسكندر المفاجئة سببًا في تنافس قوي بين قادته وخلفائه، ولقد تولى سلوقس الأجزاء الآسيوية من إمبراطورية الإسكندر، كما احتفظ بطليموس بولاية مصر إلا أنه استبد أيضًا بالأجزاء الشامية

(1) المصدر السابق، ص 722.
(2) صور صمدت 6 شهور، وغزة صمدت 3 شهور، بمساعدة الأنباط العرب الذين كانوا ذو بأس.
(3) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، الطبعة الأولى، دمشق، ص 142 – 143.

الواقعة إلى الجنوب من خط يمتد جنوبي دمشق تقريبًا إلى الساحل غربًا على مقربة من اللاذقية، وقد ذاقت فلسطين خلال هذه السنوات الاثنتين والعشرين التي مرت بين وفاة الاسكندر ومعركة إيسوس الأمرين من الحروب المتكررة؛ فقد عبرتها الجيوش المتحاربة سبع مرات، واحتلت بعض أجزائها ولو مؤقتًا، واقتحمت بيت المقدس مرة واحدة على الأقل، وقامت سلسلة من الحروب بين من تبقى من قادة الإسكندر ومن خلفهم استمرت إلى سنة 277 ق.م[1].

«ويعنينا من هذا كله دولتان: السلوقيون في بلاد الشام، والبطالسة في مصر، وقد نشبت خمس حروب بين الدولتين في القرن الثالث ق.م وذلك رغبة في الانفراد بالسيطرة على جنوبي بلاد الشام»[2].

«دخلت بلاد الشام في حكم القائد أرميدن أولًا، ثم نشأ لقاء قتال بين كوادر الإسكندر، وتمسك اليهود بولائهم لهذا القائد، فما كان من بطليموس إلا التوجه للقدس والاستيلاء عليها، ومعاملة اليهود فيها بقسوة، واقتياد أكثر من مائة ألف أسير منهم إلى مصر، وكان ذلك أول تشتيت للتجمع اليهودي الجديد»[3]، «تساجلت دولتا البطالسة والسلوقيين الحكم على البلاد المتنازع عليها مرة بعد أخرى، وكان حكم السلوقيين أطول زمنًا، وكان أهل البلاد والإسرائيليون بخاصة يتعرضون للمحن من جراء تقلب الحكم من دولة إلى دولة لأنهم كانوا يندمجون في الدسائس

(1) يوسف أيوب حداد: «هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين؟»، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ج 1، ص 221.
(2) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، الطبعة الأولى، دمشق، ص 143.
(3) محمد عزت دروزة: «العرب والعربية من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجري»، ص 217.

والمؤامرات، ولقد كان من نتائج ذلك ومظاهره أن تحزب فريق من اليهود للسلوقيين وآخر للبطالسة، فكان السلوقيون حينما يستولون على البلاد ينكلون بالفريق المضاد لهم ويساعدهم في ذلك الفريق المناصر لهم، وحينما كان البطالسة يستولون يفعلون الشيء نفسه، ويساعدهم أنصارهم على الفريق المضاد لهم أيضًا، وقد استتب السلطان لأنطيو خوس الثالث السلوقي ثم لابنه سلوقوس الرابع فترة طويلة فاشتد تنكيلهم بالحزب المضاد، وانبرى حزبهم لمساعدتهم على الحزب المضاد لهم بالدسائس والوشايات حيث اضطر فريق من الحزب البطلسي للفرار إلى مصر، فكان ذلك الشتات الثاني لليهود، ثم بدا للسلوقيين أن يبذلوا جهودهم لتحويل اليهود عن التقاليد اليهودية الدينية والاجتماعية إلى التقاليد اليونانية واشتدوا بذلك حتى أنهم نصبوا تمثالًا لإلههم زيوس في معبد اليهود، وأمروا بإقامة الطقوس عنده وتقديم القرابين له، وصاروا يشتدون في التنكيل بمن يتمسك بالتقاليد اليهودية، ولقد استجاب كثير من اليهود إلى ذلك»[1].

وهنا نود التنويه لأمر هام، «وهو أن اليهود لم يكن لهم كيان سياسي مستقل خاص بهم، ولم يتمتعوا باستقلال داخلي، أما الأدب اليهودي فقد دوّن هذه الأمور بتفصيل كبير، وهو لم يدوّن للتاريخ والحقيقة، بل كانت الغاية من ذلك إظهار هذه الأمور بأنها إتمام لعناية «يهوه» بالشعب اليهودي، فقد خلق العبرانيون قضية العهد الذي قطعه يهوه لشعبه؛ إذ اختاره دون الشعوب الأخرى، ووعده بأمور كثيرة منها أرض الميعاد، وهذه القضية التي خلقها العبرانيون القدامى واعتبروها عهدًا من يهوه

(1) المصدر السابق، ص 218.

يترتب عليهم المحافظة عليه، تبناها اليهود فيما بعد، وأكدوا عهد يهوه لشعبه المختار، ومن الواضح أن جميع هذه الأمور ادعاءات ومختلقات، وقد أصبحت هذه العقيدة اليهودية عقدة في تاريخ الشعب اليهودي، وتاريخ علاقاته بالشعوب الأخرى على مدى الأجيال»[1]. لذا يلجأ الحاخامات إلى تنقيح التوراة بين الفينة والأخرى.

وفي سنة (170 ق.م) ذهب أنطيوخوس إلى مصر محاولًا ضمها إلى ملكه، ولكن ذلك لم يتم له، وعاد واحتل بيت المقدس (169 ق.م)، ونهب الهيكل، وكان ذلك بالاتفاق مع منلاوس وإرشاده، واضطر للسير إلى مصر ثانية سنة (168) ق.م.

محطات هامة في فلسطين

أولًا: الثورة المكابية:

لقد حاول زعماء اليهود في القدس في ظل الأسرة المكابية[2] اليهودية أوائل القرن الثاني ق.م أن يثوروا على الحكام إلا أن الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع أخضع الأسرة المكابية واستولى على القدس، وتردى وضع المكابيين بسبب الخلافات الكثيرة بينهم[3]، وتمرد على السلطات السلوقية اليونانية فريق من اليهود، وساعدهم على ذلك النزاع بين

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص 150-151.
(2) كلمة مكابي تعني بالعبرية (المطرقة)، نسبة لمتتنيا وابنه يهوذا.
(3) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 8.

البطالسة والسلوقيين، والنزاع بين السلوقيين أنفسهم[1]،وكانت محاولات للتمرد على حكام فلسطين كان آخرها التمرد والعصيان ضد حكام فلسطين من اليونان والرومان بقيادة باركوخبا (132 ق.م-135 ق.م) في أيام الامبراطور هدريان الروماني والذي قضى على ذلك العصيان، والذي قام بتغيير اسم القدس إلى اسم ايليا كبيتولينا، ومنع اليهود من دخولها علمًا أن اليهود كانوا قد أخذوا بالهجرة خارج فلسطين[2].

ثانيًا: الأسرة الحشمونية:

تزعمت الأسرة الحشمونية بقيادة متيتا الأب الثورة فكانت في البداية كهانية، ثم أضاف كهانها إليها لقب الملك، واستمرت هذه الأسرة إلى أوائل الحكم الروماني أي إلى سنة 25 ق.م.

وتولى الزعامة والحكم عشرة منها، ثم برز زعيم مشتبه في أصله اسمه هيرودوس، واستطاع أن يزيح آخر ملوك الأسرة الحشمونية، ويتولى حكم اليهود[3]، وتذكر بعض الروايات أنه تهود لأهداف سياسية.

ثالثًا: الحكم الروماني وفلسطين:

أخذت روما تتدخل في شؤون المشرق العربي منذ مطلع القرن الثاني ق.م الذي مكنها من ضعضعة الدولة السلوقية وحرب المكابيين، ثم انتصر الرومان على انطيوخس الثالث (195 ق.م)، وكان المكابيون قد أقاموا

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، الطبعة الأولى، دمشق، ص 152.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 8.
(3) محمد عزة دروزة: «العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاوزها»، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1979م، ص 219.

صلات مع روما قبل أن تصل جيوشها إلى سوريا حتى دخلت الجيوش الرومانية سوريا وفلسطين سنة (65 ق.م) بقيادة بومبي الذي اعتزم تصفية الدولة السلوقية من جهة وتنظيم غرب آسيا على الطريقة الرومانية، وفي بيت المقدس تعرضت الأسرة الحشمونية للانحلال ودار صراع بعد وفاة الكسندر سلوقة (76-67 ق.م) على منصب الكاهن الأعظم[1].

وفي عام (63 ق.م) دخل بومبي بيت المقدس بعد استسلام الكاهن الأعظم له، وبعد معارك بين القائد الروماني وأتباعه، وبذلك تمت تصفية الأسرة الحشمونية، واحتفظ الكاهن الأعظم بمنصبه الديني فقط وأصبح تابعًا للوالي الروماني، ومنحت الكهانة حق التصرف بأمورها الخاصة في بيت المقدس، ومنح انتيباتر الأدومي حق الرعوية الرومانية، فكان أول حاكم لبيت المقدس ويافا وعدد من قرى مرج بن عامر، وعهد إلى ابنيه الأول برعاية بيت المقدس وهو فعايل، والثاني هيرودوس بإدارة الجليل، وبعد مقتل أبيهم تمكن هيرودوس من كسب ثقة روما فعين ملكًا لبيت المقدس، ومن ثم على فلسطين بأكملها وحكمها من (37 ق.م-4 ق.م) وهو أدومي الأصل والآدوميون عرب، وقد فرضت عليهم اليهودية بحد السيف، وما لبثت فلسطين بعد خلافات بين أبنائه وأحفاده حتى أصبحت ولاية رومانية وهو الوضع الذي استمر حتى سنة 66م[2].

«وفي هذه السنة اندلعت في فلسطين حركة عصيان عنيفة ضد الحكم الروماني كان من بواعثها الضرائب المرتفعة ومقاومة الحضارة الهلينستية، واستمر هذا الصدام حتى 74م»[3].

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دمشق، ص 174-176.
(2) المصدر السابق، ص 176-180.
(3) المصدر السابق، ص 181.

وخلال استعراضنا للحكم الروماني نجد أن من اللافت الانتقال من التأريخ قبل الميلاد إلى التأريخ الميلادي، أي الحدث الأبرز هو ميلاد سيدنا عيسى ابن مريم.

رابعًا: موقف اليهود من المسيحية:

في أيام أغسطس الروماني ولد السيد المسيح عليه السلام في مدينة بيت لحم الفلسطينية، ثم انتقل مع والدته مريم العذراء إلى مدينة الناصرة حيث قضى طفولته وصباه، وبدأ ينشر تعاليمه الداعية إلى المحبة والتسامح والسلام. وانطلق أتباعه ينشرون مبادئ الديانة الجديدة، ولكنهم تعرضوا للاضطهاد والتعذيب على أيدي كهنة اليهود الذين رأوا في الديانة المسيحية خطرًا يتهدد سيطرتهم الدينية والسياسية والاقتصادية على البلاد، وأخذوا يدبرون المكائد والدسائس لدى الحكام من الرومان إلى أن حكم على السيد المسيح بالصلب في جبل الزيتون[1] بعدما وشى به أحد حواريه مقابل مبلغ من المال يدعى يهوذا الإسخريوطي، ولم يصلب سيدنا عيسى، ولكن الله سبحانه وتعالى وضع لهم شبيهًا ورفعه إلى السماء يقول سبحانه ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 157] وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 158].

والجدير بالذكر أن فلسطين في أيام المسيح كانت تتكلم باللغة الآرامية، وكان المسيح يعظ الناس بالآرامية ويتكلم بها، وعرفت فلسطين حتى تلك اللحظة ثلاث لغات فقط هي الكنعانية والعربية والآرامية.

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 8+9.

«ولم يكن اليهود وحدهم هم الذين خاصموا المسيحيين في نشأتهم الأولى، فقد خاصمتهم السلطة الرومانية بأمر من الامبراطور الروماني، واستمر هذا الخصام الى زمن الامبراطور قسطنطين الذي اعتنق المسيحية»[1].

خامسًا: نهاية الإمبراطورية الرومانية:

«منذ أوائل القرن الرابع للميلاد كان للجزء الشرقي من الامبراطورية الرومانية عاصمة خاصة بها هي القسطنطينية، وقد تم انقسام الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية في نهاية القرن الرابع، وأصبحت الشرقية تسمى بيزنطة، وكانت فلسطين من ولايات الامبراطورية الشرقية، وقد زارت الملكة هيلانا، أم الإمبراطور قسطنطين فلسطين (326م)، وبنت كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم»[2].

«إن الامبراطورية الرومانية لم يحدث تقسيمها رسميًا إلى شرقية وغربية إلا سنة 395م حين أورث تيودوسيوس (379-395) أحد ابنيه أركاديوس، الجزء الشرقي منها، وأوصى أن يكون حاكمًا مستقلًا (395-408) وأورث الابن الثاني هنوريوس الجزء الغربي فحكمه مستقلًا كذلك (395-423)، بيد أن سقوط روما (476) أنهى الامبراطورية الغربية، لكنه لم يؤثر على الامبراطورية الشرقية التي عاشت نحو ألف سنة بعد ذلك[3].

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دمشق، ص 185.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 9.
3) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دمشق، ص 201-202.

«وهـذه الإمبراطوريـة كانـت في حـروب متواصلـة مـع الساسـانيين تعنـف وتهـدأ، ممـا أدى إلى إنهـاك الدولتـين البيزنطيـة والفارسـية، وهكـذا وجـد الفاتحـون العـرب أن الدولتـين المذكورتـين قـد أصبحتـا منهوكتـي القـوى _مـا سـهل عليهـم الانتصـار الحاسـم عـلى الدولتـين_ الفارسـية والبيزنطيـة»[1].

(1) المصدر السابق، ص 238+239.

ملخص الفصل الثاني

لقد تناولنا في هذا الفصل موقع فلسطين الجغرافي وأهميته الاستراتيجية؛ الأمر الذي جعلها محل مطامع الاحتلال والاستعمار العالمي، وكذلك تناولنا حضارة فلسطين القديمة منذ العصور القديمة الحجرية حتى نهاية الامبراطورية الرومانية، وكذلك تناولنا أهمية حب فلسطين في فكر المفكرين الإسلاميين وأهميتها الدينية الإسلامية، وذكرنا بعض الشواهد الإسلامية المسيحية.

كما وضحنا أكذوبة الأحقية التاريخية الدينية اليهودية في فلسطين، وبينا كيف تم تزييف التوراة.

لقد شرح هذا الفصل أهمية فلسطين من حيث موقعها التوسط بين الحضارات، وكذلك التحركات البشرية وتفاعلها مع العناصر المحلية سواء سلبًا أو إيجابًا بخاصة الكنعانيين والفلستيين الذين تركوا بصمات واضحة في الحضارات الفلسطينية التي تمثلت في المدن والقرى مثل مجدو وأريحا وبيسان، وبينا بماذا تميزت كل حضارة.

ثم عرضنا أحوال اليهود خلال العصور التي حطت رحالها في فلسطين مثل العصر اليوناني. وفيما بعد عرضنا بإيجاز بعض المحطات الهامة في فلسطين كالثورة المكابية والأسرة الحشمونية والحكم الروماني

لفلسطين وموقف اليهود من المسيحية، وكيفية ملاحقتهم المسيحيين.

ثم تحدثنا في نهاية الفصل عن فترة الحكم البيزنطي حيث انقسام الامبراطورية الرومانية وكيفية تعرض هذه الامبراطورية للحروب المتواصلة التي كانت تعنف وتهدأ مع الساسانيين حتى تم إنهاك الدولتين الفارسية والبيزنطية، ودخول العرب فاتحين لهاتين الدولتين والانتصار الحاسم عليهما.

وهذا الفصل أثبت للناظر والتاريخ والدين اليهودي صحة الفرضية الثالثة من فرضيات الدراسة أن اليهود ليس لهم أي حق ديني أو تاريخي في فلسطين.

الفصل الثالث

فلسطين في ظلال الإسلام

«انتشرت اليهودية في شبه الجزيرة العربية بفعل البعثات التبشيرية قبل ظهور الإسلام بقرون، وتكونت فيها تجمعات يهودية، كان أشهرها في يثرب، وهي التي سميت فيما بعد بالمدينة، وكان بعضهم من اليهود الذين نزحوا و بعضهم من العرب الذين تهودوا- وكان يهود يثرب ثلاث قبائل:- (بنو النضير، وبنو قينقاع وبنو قريظة)، وكانت العلاقة ما بين اليهود وبين قبيلتي الأوس والخزرج حسنة، لكنها ساءت فيما بعد، ولقد مارس اليهود في شبه الجزيرة العربية الزراعة والتجارة والصناعة المعدنية كالحدادة والصباغة وصنع الأسلحة وكانت أسماؤهم عربية»[1].

وكان ظهور الإسلام في الحجاز نقطة انطلاق جديدة بالنسبة إلى العالم بأسره والمنطقة بخاصة، أما فيما يتعلق بفلسطين بالذات، فلنذكر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تطلع إلى شمالي الجزيرة العربية، وكانت معركة مؤتة أول معركة بين العرب والبيزنطيين، وجهز النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك جيشًا بقيادة أسامة بن زيد لإنفاذه إلى الشمال، لكنه انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل سير الجيش، فنفذه أبو بكر، وقد وصل أسامة إلى حدود شرق الأردن، وأحرز نصرًا هناك، ثم عاد لنجدة الخليفة في حروب الردة.

(1) أحمد أمين: «فجر الإسلام»، مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة الثامنة، 1961م، ص 23 – 24.

كان الجيش المتجه إلى جنوبي فلسطين بقيادة عمر بن العاص، وقد انتصر في معارك متعددة، أهمها معركة أجنادين (13ه -634م) فأخذ جنوبي البلاد، ولما أسرع هرقل إمبراطور بيزنطة، إلى إرسال جيش ضخم أمر أبو بكر خالد بن الوليد الذي كان يقاتل في العراق أن يشخص إلى الجبهة الشامية لنجدة إخوانه في المعركة الفاصلة في اليرموك (15هـ/ 636م) التي انتصر فيها العرب وأتموا فتح فلسطين، ومن ثم فتح ما تبقى من بلاد الشام.

أما القدس فقد اشترط بطريركها صفرونيوس أن يتسلمها الخليفة نفسه، فجاءها عمر بن الخطاب وأعطى سكانها الأمان على أنفسهم ودينهم وكنائسهم، وقد استقبل البطريرك الخليفة ودخلا المدينة معًا (16هـ/ 137م)، وصلى الخليفة عمر على درجة عند باب كنيسة القيامة، وكتب للبطريرك صفرونيوس أنه لا يجمع على هذه الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها، وقد بُني فيما بعد مسجد صغير ما زال قائمًا أمام الكنيسة بالقرب من المكان الذي صلى فيه عمر.

ولا غرابة في أن يذهب عمر بنفسه إلى القدس لتسلمها، فالمدينة كانت قد أصبحت مقدسة عند المسلمين؛ إذ إنها كانت أولى القبلتين، وإليها أسري بالنبي ـصلى الله عليه وسلمـ، ومنها عرج به إلى السماء[1].

«وفي ظلال الإسلام شارك اليهود المسلمين في مناصبة أوروبا المسيحية العداء، وسمح لهم المسلمون بالسكن في القدس التي حرم البيزنطيون عليهم دخولها، ورغم العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 10+11.

لبطريرك القدس صفرونيوس لعدم السماح لهم بذلك، فإن الحكام العرب غضوا النظر عن المنع فتركوا اليهود يقيمون لأنفسهم حيًا فيها»[1]، ومع ذلك فقد كان توجههم إلى بغداد وقرطبة ودمشق وغرناطة متجاهلين فلسطين، وخلافًا للتدخلات البيزنطية في شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية؛ لم يتدخل المسلمون في هذه الشؤون، وفي بغداد وصل اليهود إلى مناصب ذات تأثير ونفوذ»[2].

«وفي العهد الأموي بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة والمسجد الأقصى على مقربة من كنيسة القيامة، فتألف منهما ومن الساحة المحيطة بهما الحرم الشريف، وهو ثالث الأماكن المقدسة عند المسلمين بعد المسجد الحرام في مكة، والمسجد النبوي في المدينة، وقد أضيفت إلى الساحة على توالي العصور أبنية دينية وعلمية كثيرة (مدارس وأربطة وزوايا)، وكان مما تم في أيام الأمويين في فلسطين، بناء مدينة الرملة والجامع الأبيض فيها، ويجدر بالذكر أن الأمويين عرّبوا الإدارة والدواوين والنقود، وفي كل ذلك كانت لفلسطين حصتها.

ومع أن فلسطين أصبحت بعيدة عن عاصمة الخلافة لما انتقلت هذه إلى العباسيين في العراق، فإن العباسيين لم يهملوا هذه البقعة المقدسة، وقد زارها الخليفة المنصور وابنه المهدي، كما عني بها هارون الرشيد، وخصوصًا مدينة القدس»[3].

(1) Khalid Kishtaing, Palestine in perspetine, Beirut, Palestine Research, center, 1971, p31.

(2) Isidore Epsteine, Judaism, London, penguins Book, 1958, p181.

(3) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 10+11.

فلسطين في العهد الصليبي والمملوكي وأحوال اليهود

«أصاب الخلافة العباسية الضعف منذ أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقامت دولة السلاجقة الأتراك بتسيير أمور الحكم نيابة عن الخليفة في سائر مناطق الخلافة، وجاء الفاطميون مصر في القرن نفسه، فانتزع هؤلاء فلسطين من السلاجقة، واشتدت الخصومات بين المقاتلين، فلما جاء الصليبيون البلاد كان حكامها منهكي القوى متفرقين والحروب الصليبية سلسلة من الحملات أرسلت إلى فلسطين والمشرق بقصد احتلال ما يمكن احتلاله منها، ومع أن الحماسة الدينية في أوروبا لعبت دورًا، فقد كان هناك عوامل مختلفة أدت إلى هذه الحروب التي استمرت قرنين، منها طموح الأمراء الأوروبيين إلى انتزاع إمارات لهم في الشرق، ومنها اهتمام التجار بالأسواق التي يمكن أن تفتح أمامهم، ومنها ازدياد عدد السكان في أوروبا الغربية فاعتبرت الحملات منفذًا لهذه الزيادة»[1].

جاء الصليبيون برًا من الشمال، وبعد احتلالهم مدنًا مختلفة بينها الرملة حاصروا القدس شهرًا حتى استسلمت الحامية الفاطمية في المدينة (15 يوليو/ تموز 1099م) فاحتلوها وأمعنوا في السكان تقتيلًا، وتولى جودفري الحكم متخذًا لقب حامي القبر المقدس، ولما مات في السنة التالية، خلفه بلدوين ملكًا على مملكة القدس اللاتينية، كما قامت في باقي بلاد الشام ثلاث إمارات (أوكونتيات) هي: (الرها، وأنطاكيا، وطرابلس)، وكان الانتصار الصليبي سهلًا بسبب ما كانت تعانيه البلاد العربية من

(1) سعيد عبدالله البيشاوي، محمد مؤنس عوض: «تاريخ الحروب الصليبية فصول مختارة»، تحرير: إشراف كيث سينتون، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الأول، 2004م، بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، مقتطفات، ص 63.

تفرقة وفوضى ونزاع، لكن الأمر ما لبث أن تبدل، «فقد استولى صاحب الموصل عماد الدين زنكي على الرها (539هـ/ 1144م)، وجاء بعد ابنه نور الدين (وفي أيامه كانت الحملة الصليبية الثانية) فاسترد بعض المدن من الصليبيين، وضم دمشق إلى دولته، وبذلك اقترب من مملكة القدس اللاتينية[1]، «وكان أن استنجد به الخليفة الفاطمي العاضد، فأنجده بجيش تحت إمرة أسد الدين شيركوه الذي اصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وولي شيركوه الوزارة الفاطمية التي انتهت بوفاة العاضد (567هـ/ 1171م)»[2].

«أدرك صلاح الدين أن القضاء على الصليبيين لا يتم إلا بتوحيد مصر وسوريا، فما أن استتب له الأمر في مصر، حتى ضم إليها سورية بعد وفاة نور الدين، وعندها بدأ بحملة ضد الصليبيين، فسار إلى طبريا واستولى عليها، وفيها (غي) ملك القدس و(رينالد) أرناط، أمير الكرك في سهل حطين، حيث نشبت المعركة الكبرى (583هـ/ 1187م)، في يومي (3 و4 تموز/ يوليو) التي انتصر فيها صلاح الدين انتصارًا كبيرًا، وقد عفا صلاح الدين عن الملك، لكنه قتل رينالد بيده؛ ذلك لأن رينالد كان قد خرق عهدًا سابقًا مع صلاح الدين، واعتدى على قوافل الحجاج والتجار، وأعد حملة للهجوم على الحجاز، وأقسم أن ينبش قبر الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وهذا كنا قد ذكرناه في حكم الأسرى في الفصل الأول»[3]،

(1) هاملتون جيب: «سيرة نور الدين زنكي»، ترجمة: محمد مونس عوض، ص 1-2.
(2) المصدر السابق، ص 12.
(3) سعيد عبدالله البيشاوي، محمد مؤنس عوض: «تاريخ الحروب الصليبية فصول مختارة»، تحرير: إشراف كيث سينتون، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الأول، 2004م، بيت المقدس للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ص 268.

«وبعد المعركة توالت الفتوح، فشملت الكرك والشوبك والشقيف وعكا والناصرة وقيسارية وحيفا ونابلس»[1]، وأخيرًا حوصرت القدس حتى استسلمت في خريف السنة نفسها، وقد ترك صلاح الدين للمسيحيين العرب أملاكهم، وسمح لهم بأن يشتروا متاع الفرنج، أما الفرنج أنفسهم فقد سمح لهم بمغادرة المدينة بعد دفع فدية من دون حمل سلاحهم، فانتقل كثير منهم إلى صور»[2].

«ولقي اليهود من تسامح الخلافة الفاطمية ما لقوه من تسامح الخلافة العباسية، ففي القدس كانت مدرسة للقرائين يشرف عليها (رئيس) له سلطة في الشؤون الدينية على اليهود، وكان الخلفاء الفاطميون يمنحونها نفقة سنوية ثابتة، كما كانوا يمنحون مدرسة أخرى في القاهرة مثل ذلك، ويشتركون في مواسم اليهود واحتفالاتهم اشتراكهم في أعياد المسيحيين، ولم يلحق اليهود اضطهاد أيام دمر (الحاكم) كنائس المسيحيين، ورغم تعاطفهم مع الفاطميين ومشاركتهم في التآمر على صلاح الدين الأيوبي، فإن تسامحه أتاح لليهود السكن لمن يشاء منهم بالقدس بعد أن حرمهم الصليبيون من ذلك وأمعنوا باضطهادهم»[3].

«وفي القاهرة أصبح موسى بن ميمون طبيب البلاط عند صلاح الدين الأيوبي وعند ابنه الملك العزيز، وأسند إليه منذ عام 1177م رئاسة الملة اليهودية في القاهرة، وظل عليها حتى مماته في القاهرة نفسها عام

(1) المصدر السابق، ص 269.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 14.
(3) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دمشق، ص 498.

1204[1]. وهكذا إنزاح عن كاهل اليهود، بعد انتصاراته على الصليبيين، ما لا قوة من اضطهاد في الحملات الصليبية التي جعلت أوضاع اليهود الأمنية تتدهور إلى أبعد الحدود[2].

«وفيما كان اليهود ينعمون بالتسامح في ظل الخلافة الإسلامية، كما يؤكد الدكتور أورين روزينتال، وهو مؤرخ مستشرق في كامبريدج، بأنه ما عدا الحقبة التلمودية، ليس من فترة كانت أكثر حلفًا وإيجابية في تاريخنا المضطرب، من العصور التي فيها مد الإسلام امبراطورية من المتوسط إلى المحيط الهندي»[3] كانوا في المقابل يلقون اضطهادًا في إسبانيا على أيدي ملوك القوط الذين حاولوا تنصيرهم قسرًا، فقد بلغ بأحد هؤلاء الملوك، عام 612م أن أصدر أمرًا يقضي على كاهل يهودي بالمعمودية وإلا صودرت أمواله وتعرض للنفي، ولم يكن غريبًا أن يتعاون يهود إسبانيا مع الفاتحين العرب لبلاد الأندلس بعد أن وجدوا في ظلال الإسلام تسامحًا إلى حد بعيد[4].

«انتقل مركز الثقل الديني اليهودي من العراق إلى الأندلس بعد انهيار الخلافة العباسية في بغداد، وبعد وفاة سعدي بن يوسف، وقد ارتحل أقطاب المدرستين الدينيتين إلى الأندلس حاملين معهم كتبهم وآثارهم وتراثهم، ومعهم موجات كثيرة من يهود العراق إلى الأندلس لينعموا في ظلال الحكم الإسلامي فيها كما نعموا في بغداد، حيث رحب بهم الخلفاء

(1) د. فيليب حتى، إدوارد جرجي، جبرائيل جبور: «تاريخ العرب»، بيروت، دار الكشاف، 1965م، ج 1، ص 693-694.

(2) coldterg & Rayner op- cit, p103.

(3) مركز الأبحاث: «من الفكر الصهيوني المعاصر»، بيروت، 1968م، ص 310.

(4) د. فيليب حتى، إدوارد جرجي، جبرائيل جبور: «تاريخ العرب»، بيروت، دار الكشاف، 1965م، ج 1، ص 694.

الأمويون وأعطوهم حرية ومساواة، وفتحت أمامهم الفرص، فساهموا في الحياة الثقافية بفروعها كافة ووصل كثيرون منهم إلى مناصب عالية في الدولة متخلين عن العزلة»[1].

«وقد أثار فتح القدس أوروبا، فكانت الحملة الصليبية الثالثة التي اشترك فيها ثلاثة ملوك (ريكاردوس قلب الأسد ملك إنجلترا، وفيليب أغسطس ملك فرنسا، وفردريك إمبراطور ألمانيا)، وقد مات هذا الأخير غرقًا في كليكية وهو في طريقه إلى المشرق، والتقى الآخرون على حصار عكا، وكان (غي) يقود المعركة ناقضًا عهده لصلاح الدين في ألا يحارب ضده، وضرب صلاح الدين خيامه قبالة العدو، واستمر القتال والحصار عامي (585هـ-1189م/ 587-1191م). ومع أن صلاح الدين أحرز انتصارات باهرة فإن الحامية في داخل المدينة اضطرت إلى الاتفاق على التسليم، بسبب نفاد القوت والعتاد، وبعد مشاورات هنا وهناك، تم عقد صلح بين صلاح الدين وريكاردوس، كان فيليب أغسطس قد عاد إلى بلاده قبل ذلك، وهو المعروف باسم صلح الرملة (588هـ-1192م).

وقد مضى الاتفاق بترك القدس للمسلمين على أن يسمح للمسيحيين بالحج إليها، وباحتفاظ الفرنج بالجزء الساحلي بين يافا وعكا، أما الساحل من عسقلان إلى الجنوب، فيكون لصلاح الدين، وغادر صلاح الدين بعد ذلك فلسطين إلى دمشق، حيث توفي في العام التالية (589هـ-1193م)، ودفن قرب الجامع الأموي هناك[2]، وهذا الاتفاق يعطينا وجهة نظر شرعية للهدنة مع الكفار.

(1) مركز الأبحاث: «من الفكر الصهيوني المعاصر»، بيروت، 1968م، ص 391.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 14.

ساد أوروبا بعد القرن الحادي عشر اضطهادات لليهود في فرنسا وانجلترا في دول الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولعبت الكنيسة دورًا بارزًا في التحريض ضد اليهود، وتطبيقًا لأوامر البابا غوريغري السابع، ذي النفوذ الواسع، تم فرض قيود صارمة على اليهود، وكذلك فعل البابا أنيوشت الثالث الذي كان شديد العداء لهم، فقد كان يؤمن أن اليهود شعب ملعون لرفضهم المسيح، ولذلك يتوجب عدم تمتعهم بالسلامة أو الراحة، ولتحقيق ذلك انعقد مؤتمر لاتيران (1215)، واتخذ قرارات في غير صالح اليهود[1]، «وقام بتشجيع الدومنيكان والفرنسيسكان ضد اليهود، فكانوا مسؤولين عن حرق التلمود في باريس (1240) على اعتباره تشويهًا للمسيحية[2]»، وفعل الشيء نفسه البابا غريغوري التاسع في مضايقته لليهود الذي أمر رؤساء الكنائس في أوروبا بحرق التلمود، وجاراه البابا يوجينيس في منتصف القرن الخامس عشر[3].

وفي فرنسا مارس ملكها لويس الرابع عشر اضطهاد اليهود، وتم إيذاء وتعذيب من يرفض منهم تعميد أبنائه، وعندما اجتاح المغول أوروبا (1241م) ووصلوا إلى حدود ألمانيا انتشرت إشاعة أنه بين المهاجمين من هم من سلالة القبيلة الإسرائيلية العاشرة التي احتجزها الإسكندر في جبال كامبيان، وأنهم كانوا في تحالف مع اليهود الألمان، هذا الاضطهاد يدل على مدى تسامح الإسلام مع اليهود وفي المقابل غدرهم الذي تسبب في اضطهادهم من قبل المسيحيين في أوروبا.

(1) Rtra M leon& nehar, op.city, p184– 1194.
(2) Gold berg & Rayner, op.city, p104.
(3) sech, op.city, p196, 202.

فيما بعد قام شقاق بين خلفاء صلاح الدين، وجاءت في ذلك الوقت حملة صليبية جديدة تمكنت من استرداد بعض الأماكن ومنها القدس، ولكن ملك مصر الصالح أيوب ما لبث أن استرد القدس وغزة، وفي عام (648هـ-1250م) قامت في مصر دولة المماليك التي شمل سلطانها بلاد الشام أيضًا، واستمر حكم المماليك لبلاد الشام حتى عام (922هـ-1516م)، ومصر حتى عام (923هـ-1517م) وهو تابع قيام الدولة العثمانية[1].

وهنا نلاحظ في الفترة الممتدة على نحو تسعة قرون من الفتح العمري إلى الفتح العثماني أن فلسطين شهدت مساهمة في الحضارة العربية الإسلامية من علم وفن وأدب وفقه، وكذلك شهدنا مدى التسامح الإسلامي مع غير المسلمين وكيف اقتص صلاح الدين من الغادر به، وعفا عمن التزم بالاتفاق، وذلك العفو نابع من نبل أخلاق صلاح الدين الإسلامية.

وبالطبع أن هذا التاريخ الحافل _المعارك والانتصارات والتطورات_ لا نستطيع أن نعرضه في كتاب واحد.

العصر العثماني ودخول اليهود فلسطين

«في عام (922هـ/ 1516م) فتح السلطان سليم العثماني بلاد الشام، وفي العام التالي استولى على مصر»[2]، وهنا نذكر بعض الأحداث المهمة منها:

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 14، 15.
(2) المصدر السابق، ص 17.

«قيام الشيخ ظاهر العمر في فلسطين، الذي امتد حكمه على مدن صفد وطبريا والناصرة ونابلس وعكا (1749م-1775م) واتخذ عكا مقرًا له وحصنها، وكان يطمع بالسيطرة على فلسطين بكاملها، وعلى دمشق معها، لكن الدولة العثمانية تعقبته، فقتل على مقربة من عكا، وخلفه أحمد باشا الجزار الذي زاد في تحصين عكا وتقويتها»[1] وقبلها كان قد «أخذ العصر الذهبي لليهود في الأندلس بالأموال مع بدايات انهيار السلطان العربي في تلك الديار، وكان اليهود قد احتجوا على الاضطهاد المسيحي بالادعاء بأنهم رعايا عثمانيون، وتقدم السلطان العثماني لحمايتهم في عام 1556م، ودخل في مفاوضات مع الفاتيكان انتهت بإقرار الحماية العثمانية عليهم»[2].

«ومن الأحداث المهمة أيضًا مجيء نابليون إلى فلسطين بعد أن احتل مصر، وقد احتل جنوب فلسطين، وحاصر يافا فاستسلمت الحامية بسبب المجاعة، لكن نابليون أمر بقتل الجنود بعد استسلامهم مع أنه أمّنهم، ولكن حصار نابليون لعكا انتهى إلى الفشل، ودافع عنها الجزار برًا، وكان يساعده في ذلك أسطول بريطانيا من البحر».

«وأيضًا من أهم ما شهدت فلسطين في القرن التاسع عشر حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام (1831م). وقد احتل إبراهيم باشا بلاد الشام، وظلت البلاد بما في ذلك فلسطين تابعة لمحمد علي باشا، إلى سنة 1840م حين استعادتها الدولة العثمانية»[3].

(1) المصدر السابق، ص 18.
(2) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد السادس، بيروت 1995، ص 727.
(3) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 18.

«وبعدها ازداد نفوذ يهود الدونمة في الدولة العثمانية، والدونمة تعني الردة، في عهد الخليفة سليمان القانوني بدعم من زوجته روكسلان، وأخذ اليهود يخططون لزيادة نفوذهم في الدولة والعمل على تدميرها برغم الخدمات التي قدمتها إليهم الدولة»[1]، وزوجة الخليفة سليمان القانوني روكسلان والملقبة بالأفعى هي الفتاة الجميلة التي وقعت في أسر التتار المسلمين في إحدى غاراتهم على القرم في روسيا، فأهدوها إلى الخليفة الذي اتخذها زوجة له، وقيل إنها كانت يهودية روسية فعكفت على التدخل في شؤون الحكم فطلبت من الخليفة أن يسمح لليهود الذين طردوا من الأندلس بالاستيطان في أرجاء الدولة العثمانية والذين يطلق عليهم يهود الدونمة، ولم تكتفِ روكسلان بذلك بل اجتهدت لتولي ابنها من السلطان سليمان والذي سمي سليم الخلافة بعد أبيه برغم وجود أخيه الأكبر مصطفى الذي حظي بحب الجيش والشعب له، وقامت بعمل دسيسة نفذها الصدر الأعظم رستم باشا (المعين) بواسطتها وهو في نفس الوقت (زوج ابنتها من السلطان)، فحرّض رستم باشا الخليفة ضد ابنه وكتب إليه ليحذره أن ابنه مصطفى يريد عزله وتنصيب نفسه على السلطة فخرج إليه الخليفة، وكان مصطفى يحارب الدولة الصفوية فاستدعاه أبوه إلى خيمته، فما أن جاء ابنه حتى انقض عليه بعض الخدم فخنقوه، ولم تكتف الأفعى بقتل مصطفى فأرسلت من يقتل ابنه الرضيع، ثم توفي الخليفة سليمان عام (947هـ/ 1562م)»[2].

والجدير بالذكر أنه كان لفلسطين نواب في البرلمان العثماني (لما أعلن

(1) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، فريق البحوث والدراسات الإسلامية، فيينا، ج2، ص 202.

(2) المصدر السابق، ص 161 – 162.

الدستور عام 1876م)، ولما أعيد عام 1908م، أما من الناحية العسكرية فقد كانت فلسطين جزءًا من القيادة العامة السورية، وفي العهود الأخيرة من الحكم العثماني وضعت فلسطين مثل باقي أجزاء المنطقة على خريطة المطامع الأوروبية، ولذلك فقد تدفق عليها سيل من الحجاج والسياح ورجال السياسة كما أقام العديد من المؤسسات الغربية، التبشيرية منها وغير التبشيرية بفتح المدارس المختلفة، أما العناية الرسمية بالتعليم فجاءت في أواخر العهد العثماني وكانت ابتدائية ومتوسطة فقط»[1].

"وفي هذه الفترة كان قد برز من يهود الدونمة فتى يدعى ساباتات في إزمير، وادعى أنه المسيح فأراد اليهود (رجال الدين منهم) قتله فرحل في أنحاء الدولة العثمانية حتى عاد مرة أخرى إلى أزمير، فقبض عليه ونقل إلى أدرنة فخاف أن يصاب بأذى فادعى الإسلام، وأوهم العثمانيين أنه سيعمل على نشر الإسلام بين اليهود، وفي الحقيقة يدعوهم لإظهار الإسلام ليدخلوا بين صفوف المسلمين، ويصلوا إلى المراكز العليا في الدولة، فرحب اليهود بهذه الفكرة وأخذوا يواصلون العمل بها، وفي عهد عبدالحميد الثاني ظهر هرتزل صاحب فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين»[2].

«ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ودخلتها تركيا، لمس جمال باشا قوة الحركة العربية فقبض على عدد وافر في أركانها في سوريا ولبنان وفلسطين، وحكم على الكثير منهم بالإعدام، وكان سليم عبد الهادي أول شهداء حركة الإعدام التي نفذها الأتراك، وحكم على علي عمر النشاشيبي بالإعدام بتهمة اللامركزية، ونفذ فيهم الحكم علي أحمد الحسيني وولده»[3].

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 18 – 20.
(2) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، فريق البحوث والدراسات الإسلامية، فيينا، ج2، ص 203.
(3) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م.

الحرب العالمية الأولى

«في أثناء الحرب العالمية الأولى، وقعت أحداث ذات صلة وثيقة بفلسطين، وهي:

أولًا: المفاوضات التي جرت بين الشريف حسين (الحسين بن علي) شريف مكة، ومكماهون (المندوب السامي البريطاني) والتي انتهت بوعود قطعتها بريطانيا للعرب نيابة عن الحلفاء بالاعتراف باستقلالهم، ونتيجة هذه الوعود أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك (9 شعبان، 1334هـ/ 10 حزيران (يونيو) 1916م)، وقد انضم إلى هذه الثورة ضباط وجنود عرب من سائر البلاد العربية بما فيها فلسطين[1].

ثانيًا: اتفاقية سايكس بيكو (1916) والتي تمخض بموجبها تقسيم البلاد العربية بين الدول المستعمرة ورسم حدودها، فاحتلت فرنسا سوريا وجنوب الأناضول ومنطقة الموصل في العراق، وبريطانيا شملت الأراضي الواقعة من أقصى جنوب سوريا إلى العراق شاملة بغداد والبصرة والمناطق الواقعة بين الخليج العربي والأراضي الممنوحة لفرنسا، كما شملت مينائي عكا وحيفا[2].

ثالثًا: وعد بلفور، والذي سنتناول تفاصيله لاحقًا.

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 22.
(2) مذكرة من أورمسبي فلسطين غور الأردن، تقرير سياسي، 12/ 01/ 1917م، ص 4 – 5.

الصهيونية حركة سياسية تحت راية دينية

ما هي الصهيونية؟

«الصهيونية هي فكرة استعمارية عدوانية ظهرت في أوروبا في عصر صعود حركة الاستعمار العالمي والاستيطاني الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتبلورت في حركة سياسية منظمة في أواخر ذلك القرن، وقامت الصهيونية على مزج الدين بالقومية محولة اليهودية من مجرد ديانة سماوية إلى رابطة سياسية دينية تهدف إلى جمع يهود العالم فوق أرض شعب آخر في دولة يهودية خاصة بهم»[1].

«وبقيت الصهيونية فكرة معزولة عن جماهير اليهود حتى عام 1881م عندما اضطرت أعداد منهم إلى النزوح عن روسيا إثر المجازر التي وقعت ضدهم إثر اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني»[2]، وكان من نتائج طرح الفكرة الصهيونية تولد الكثير من المصطلحات المرادفة «فهي الحركة التي تدعو إلى نقل اليهود إلى فلسطين لتأسيس دولة فيها الذي يتضمن قمع الفلسطينيين واستبعاد العرب عن طريق إبادتهم بأكبر قدر ممكن من العنف؛ لأن النقل لا يتم بالطرق السلمية؛ لأن البشر بطبيعتهم لا يتركون أرضهم دون تهديد وبلا استخدام للقوة، وبالعمل يتم تصدير رؤية الإنسان اليهودي للإنسان العربي، والنقل يتم باسم نظرية في الحقوق تجسد المفاهيم الصهيونية»[3].

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 26.
(2) المصدر السابق.
(3) يوسف أيوب حداد: «هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين؟»، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ج 1، ص 1.

«وبقيت الصهيونية مبعثرة تفتقر للتنظيم الشامل والخطة الواضحة والجهاز القادر على تنفيذ الخطة إلى أن ظهر ثيودور هرتزل وتمكن من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في 27 آب 1897م، وكان هرتزل ضعيف الصلة بالدين اليهودي، وكانت الهجرات اليهودية المتدفقة من أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية هي العامل الرئيس وراء تبنيه الجارف للفكرة الصهيونية، ولم يكن هناك إصرار على فلسطين كاحتمال وحيد، ولكي يحقق اليهود هدفهم اقترح هرتزل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وبتعبئتهم، وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوروبية في آسيا وافريقيا تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها[1].

ونذكر هنا أن هناك الكثير من التعريفات للصهيونية على لسان العديد من المفكرين اليهود وغير اليهود، ولكن إذ تناولنا الصهيونية بحد ذاتها نجدها أنها عرفت نفسها بنفسها، بأنها:

«عقيدة سياسية منذ 1896م، ارتبطت الصهيونية بالحركة السياسية التي أسسها في ثيودور هرتزل»[2]، وكذلك إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية، بل من القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر، علمًا أن مؤسس الصهيونية هرتزل لم ينتسب إلى الدين، لقوله: «إنني لا أنقاد لأي دافع ديني»[3]، ونشير هنا أن هرتزل لا تهمه الأرض المقدسة (فلسطين) بوجه خاص، بل إنه يتقبل أيضًا من أجل أهدافه القومية بالقبول بأوغندا

(1) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 28-29.

(2) موسوعة الصهيونية وإسرائيل، دار هرتزل، نيويورك 1971م، المجلد الثاني، ص 1262.

(3) يوميات ثيودور هرتزل، طبعة فيكتور جولانسيز، 1958م.

أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو[1]، وبسبب معارضة أصدقائه من اليهود فإنه يعي أهمية الأسطورة القومية كما قال[2]. ولكنه صرح بتحويل الأسطورة (العودة القومية) إلى حقيقة تاريخية «إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى، وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لم الشمل القوية لشعبنا»[3].

والصهيونية أيضًا هي شركة ذات امتيازات تحت حماية بريطانيا أو أي قوى أخرى في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية كما وصفها هرتزل[4]، وقد وضع هرتزل أربع رسائل أساسية لتحقيق هدف إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين:

(1) العمل على استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

(2) تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

(3) تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته.

(4) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على المواقف الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية»[5].

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق، نفسه ص 560.
(3) يوميات ثيودور هرتزل، طبعة فيكتور جولانسيز، ص 209.
(4) يوميات ثيودور هرتزل، طبعة فيكتور جولانسيز، 1958م، المجلد الثالث، ص105.
(5) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، فريق البحوث والدراسات الإسلامية، فيينا، ج2، ص 403.

«ولم يكن من قبيل المصادفة أن يأتي نشوء الحركة الصهيونية ونموها مترافقين مع ذلك العصر؛ ذلك بأن الحركة الصهيونية كانت بدورها أحد نماذج حركة الاستعمار الاستيطاني الأوروبي هذه وإحدى موجاتها لاغتصاب أجزاء من فلسطين وجوارها وتوطين المستعمرين اليهود الأوروبيين فيها[1].

«وقد قدمت الحركة الصهيونية نفسها كحل جذري عالمي لهذه الأوضاع التي يعيشها اليهود في بلاد أوروبا، وذلك عن طريق تحويل الديانة اليهودية إلى رابطة قومية تتجسد في وطن يهودي خاص، ودولة يهودية خاصة، مع الرفض القاطع لفكرة اندماج اليهود كمواطنين في المجتمعات التي يعيشون فيها، وطرحت مقابلها فكرة القومية اليهودية، ونظرًا لافتقار اليهود لعناصر هذه الوحدة، أي وحدة اللغة والتاريخ والأرض وبحكم انتماءاتهم التاريخية المتعددة إلى مجتمعات وبيئات مختلفة، فلم تجد الصهيونية أمامها سبيلًا للنمو إلا سبيل تغذية نزعة التعصب اليهودي العرقي العنصري، وهكذا طرحت الصهيونية أساسًا للوحدة القومية المفقودة»[2].

والجدير بالذكر أن فرنسا هي أول من طرح بشكل جدي فكرة توطين اليهود في فلسطين؛ فقد أعدت حكومة الإدارة الفرنسية عام (1798م) خطة سرية لإقامة (كومنولث يهودي) في فلسطين حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي (بما فيه فلسطين)، وذلك بمقابل تمويل الممولين اليهود قروضًا مالية للحكومة الفرنسية التي كانت

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 30.
(2) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 28.

تمر آنذاك في ضائقة اقتصادية خانقة، والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية المتجهة صوب الشرق بقيادة نابليون بونابرت، وأن يتعهد اليهود ببث الفوضى وإشعال الفتن وإحلال الأزمات في المناطق التي سيرتادها الجيش الفرنسي لتسهيل أمر احتلالها»[1].

«وكان نابليون أول رجل يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين قبل وعد بلفور بمائة وثماني عشر سنة، بل إن وايزمان وصف نابليون بأنه (أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود)، وفي ربيع عام (1799م) أصدر بيانًا طلب فيه من يهود افريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة[2]، ومن المعروف أن نابليون كان ابن الثورة الفرنسية (1789م) العلمانية، ولم يكن اهتمامه بعودة اليهود إلى فلسطين نابعًا من تدينه، فلقد كانت له أهداف خاصة لعل أهمها تهديد مصالح بريطانيا من خلال إغلاق طريق مواصلاتها المؤدي إلى الهند، ولكن دعوة نابليون هذه سرعان ما فقدت أهميتها بمجرد أن لحقت الهزيمة بالحملة الفرنسية أمام أسوار عكا، فهنا نشير أنه لم يبد اهتمامًا جديًا بدعوة نابليون المتضمنة وعدًا بإقامة وطن لليهود في فلسطين، وهذا يؤكد أن التفكير اليهودي باستيطان فلسطين لم يكن قد تبلور بعد، وأن جل اهتمام اليهود في هذه الفترة كان يرتكز على تثبيت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التي كانوا يعيشون فيها من دون الانسياق وراء مغامرات قد تعرض وجودهم للخطر[3].

(1) د. أيمن عبد الله محمود: «مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى»، عالم المعرفة، الكويت، ص 14.

(2) ريجينا الشريف: «الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي»، ترجمة عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، ص 107-108.

(3) د. أمين عبدالله محمود: «مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى»، عالم المعرفة، الكويت، 1948م، ص 16.

لم تتمخض فكرة الحركة الصهيونية فعليًا حتى أتت الدعوة التي تعيد للأذهان بيان بونابرت عام 1799م، عن نتائج سياسية آنية ومع ذلك فإن جيل الصهيونيين اليهود الجديد الذي كان آخذًا في الظهور على مسرح التاريخ اليهودي تبني تلك الأفكار، ففي عام 1862م نشر موسى هس كتابه «روما والقدس»، وكان واثقًا من أن فرنسا ستدعم المساعي الصهيونية في فلسطين»[1].

يتضح لنا مما تقدم أنه كان هناك عدة أزمات أهمها:

(1) أن اليهود كانوا متشتتين في أصقاع الأرض، وكان هذا التشتت بحاجة إلى التجميع فوق أرض واحدة.

(2) كان هناك فساد ينخر في عظم الدولة العثمانية، وهذا الفساد أفسح طريقًا ضيقًا آخذًا بالتوسع لتجميع اليهود في فلسطين.

(3) كانت الدعوات منذ عهد نابليون لتجميع اليهود في فلسطين، وبقيت تتنامى حتى مؤتمر بازل الأول والذي حضره بعض عتاة الصهيونية كمر حبين.

(4) في ظل الأوضاع السيئة التي كان يعيشها اليهود في الشتات وجدوا أنفسهم فوق أرض فلسطين يحاولون إقامة دولة بحجة أنها أرض الميعاد.

(5) كانت اتفاقية سايكس بيكو التي قطعت أوصال الوطن العربي العامل الأكبر الذي سهل دخول اليهود إلى فلسطين، وذلك عن طريق

(1) ريجينا الشريف: «الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي»، ترجمة عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، ص 110-113.

تسهيل الحكومات المستعمرة للأراضي العربية بتسيير القوافل اليهودية وتوريثها أرض فلسطين والذي نستدرج في تفصيله لاحقًا.

(6) عملت الحركة الصهيونية على تحريك المشاعر الدينية حتى تضمن تقبل أتباعها للاستيطان في فلسطين ليكونوا رأس حربة المشروع الصهيوني الاستعماري في المنطقة، وخاصة بعد فشلهم بالاندماج في المجتمعات الغربية.

(7) نجحت الحركة الصهيونية في استقطاب بعض اليهود غير السعداء للمجيء إلى فلسطين؛ إذ لم يقتنع الكثير منهم بهذه الدعوات والأفكار التي صنعها العقل الاستعماري الغربي.

كيف أصبح اليهود أمة بسبع وستين كلمة؟!

«لقد أدى التقاء المصالح البريطانية الاستعمارية المشبعة بنفحات توراتية بالمصالح اليهودية الصهيونية إلى إصدار وزير الخارجية البريطاني تصريحه المعروف بوعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام 1917م[1]، ولقد أتاحت ظروف الحرب العالمية الأولى إصدار هذا الوعد الذي بدأ التصميم البريطاني على العمل لتحقيق عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة فيها منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر، ولقد اعترف هذا الوعد المكون من سبع وستين كلمة بوجود «الشعب اليهودي» كأمة ثم أصبح هذا الشعب (كيانًا قوميًا)، يعترف به القانون الدولي بعد أن تم دمج الوعد

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 50.

في صك الانتداب الذي حظي بموافقة عصبة الأمم عليه، والصهيونية غير اليهودية التي وافقت على وعد بلفور أنكرت وجود الشعب العربي الفلسطيني في الوقت الذي اعترفت فيه باليهود كأمة، وقد أشار الوعد إلى 95 ٪ من سكان فلسطين في ذلك الوقت بأنهم (الجاليات غير اليهودية الموجودة في فلسطين)، وهذه التسمية المنافية للعقل والقانون والتي تتجنب ذكر كلمة (عرب) كانت تهدف إلى إخفاء حقيقة أن فلسطين بلد عربي، وكانت مبادئ الصهيونية غير اليهودية كما انبثقت من الثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر، تصور فلسطين على أنها أرض غير عربية، أي الوطن اليهودي، أما السكان العرب فهم بين أمرين: إما أنه لم يرد لهم ذكر أو أنهم اعتبروا بقايا الأجناس الأخرى التي تاهت في الأراضي المقدسة، ويمكن القول إن الوعد يضمن (الحقوق المدنية والدينية) لغير اليهود، وإذا كان تعبير الحقوق المدنية يعني شيئًا فإنه يشير إلى حقوق الغرباء في أرض غريبة، وبذلك أصبحت الأسطورة القائلة إن فلسطين وطن الأجداد لكل اليهود مقبولة على أعلى المستويات لصانعي القرار السياسي، ولم تعد فلسطين جزءًا من الوطن العربي، وممن عبر عن هذا الزيف اللورد ميلر وروبرت سيل، ومع أن وعد بلفور أشار إلى تعهد بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولم يشير إلى إنشاء دولة يهودية، إلا أن النوايا البريطانية كانت ترمي إلى إنشاء دولة غير أن الإفصاح عن تلك النوايا آنذاك لم يكن مناسبًا»[1].

ومن الضروري أن نشير هنا لماذا كانت الأطماع البريطانية تزداد للسيطرة على فلسطين، وهو أن السياسية أدركت مبكرًا ضرورة السيطرة على

(1) ريجينا الشريف: «الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي»، ترجمة عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، ص 172-174.

فلسطين، وازداد هذا الهدف باندلاع الحرب العالمية بحيث أصبح الأساس الأول في سياستها تجاه المشرق العربي، وفي إطار تخطيطها الاستعماري توصلت إلى قيام دولة صهيونية مرتبطة بها في فلسطين ملتقى القارات الثلاث وقلب الوطن العربي، يحقق لها عدة أغراض استراتيجية، فهذه الدولة:

(1) تشكل مركزًا استراتيجيًا مهمًا لحماية طرق المواصلات للإمبراطورية إلى الهند وأفريقيا، وللسيطرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

(2) تؤمن حماية الوجود البريطاني في مصر، وفيها قناة السويس أهم ممر مائي في العالم اقتصاديًا وعسكريًا.

(3) تكون جوارًا عازلًا أمام الأطماع المتزايدة للدول الأوروبية المنافسة، ونقطة وثوب إلى باقي بلاد المشرق العربي.

(4) تشكل قوة تعتمد على بريطانيا وتدين لها بالولاء، تشطر الوطن العربي وتمنع الاتصال البري بين مشرقه ومغربه، ويمكن استخدامها لمجابهة حركة التحرير في الوطن العربي عامة حين تدعو الحاجة إلى ذلك في المستقبل»[1].

ومن الجدير بالذكر أن نص تصريح بلفور كان قد عرض على الرئيس الأمريكي ولسون ووافق على محتواه قبل نشره، ووافقت عليه فرنسا وإيطاليا رسميًا عام (1918م)، ثم تبعهما الرئيس الأمريكي ولسون رسميًا وعلنيًا عام (1919م) وكذلك اليابان، وفي عام (1920م)

(1) مؤسسة الدراسات الفلسطينية: «فلسطين تاريخها وقضيتها»، 2003م، ص 51.

وافق عليه مؤتمر سان ريمو الذي عقده الحلفاء لوضع الخريطة السياسية الجديدة لما بعد الحرب، وضمنه قرار بانتداب بريطانيا على فلسطين، وفي عام (1922م) وافقت عليه عصبة الأمم وضمن صك الانتداب على فلسطين، وكان تصريح بلفور وليد التقاء المصالح الاستعمارية البريطانية بالأهداف الاستعمارية الصهيونية، وقد حقق لهذه الحركة (البراءة الدولية) التي هدفت إليها النقطة الرابعة في برنامج بازل، وقد جاء هذا التصريح سواء في كيفية ولادته أو في مضمونه ومترتباته وثيقة من أفدح وثائق الاستعمار الاستيطاني في التاريخ المعاصر وحمل عدة التزامات متناقضة لا يمكن التوافق بينها:

(1) وضع هذا التصريح وصدر في لندن نتيجة مفاوضات تمت بين الأوروبيين؛ فقد أُعطي التصريح من قبل بريطانيا التي لا تملك فلسطين إلى الصهيونيين الذين لا حق لهم في فلسطين بتجاهل تام لواقع شعبها التاريخي والقوي، ومن دون استشارته، ومن دون أي اعتبار لحقه في تقرير المصير.

(2) كان تصريح بلفور يتناقض كل التناقض للتعهدات التي قطعتها بريطانيا للعرب بالاستقلال بعد الحرب بموجب مراسلات حسين-مكماهون، التي سبقت إعلان الحسين للثورة العربية ضد الأتراك كحليف لبريطانيا، وصدر بموافقة مجلس الحرب البريطاني حتى قبل أن تحيل الجيش البريطاني فلسطين، ويدعي وصايته الاستعمارية عليها وفي الوقت الذي كانت فيه القوات العربية تقاتل إلى جانب بريطانيا، ولعبت دورًا عسكريًا مهمًا في تمكين القوات البريطانية من دحر الجيوش العثمانية والوصول إلى فلسطين.

(3) تجاهل التصريح وجود شعب عربي فلسطيني على أرضه، واكتفى بالإشارة إليه باسم الطوائف غير اليهودية، بينما جعل الأقلية اليهودية الطارئة أساس السكان في فلسطين (أي اعتبر الأصل فرعًا والفرع أصلًا).

(4) تجاهل تصريح بلفور الحقوق السياسية لعرب فلسطين مشيرًا فقط إلى الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية، وفي نفس الوقت أكد على الحقوق السياسية لليهود في فلسطين وغير فلسطين.

(5) مهد التصريح لاستخدام التعبير الغامض بعبارة (الوطن القومي لليهود) للإيحاء بوجود قطعة صلة قومية تاريخية بين اليهود وفلسطين، بينما كان واضحًا أن اليهود المعاصرين الموزعين تاريخيًا في أقطار وبيئات وثقافات مختلفة لا ينتمون إلى قومية واحدة، كما استخدم التصريح تعبير «الوطن القومي لليهود» للتهرب من النص صراحة على الدولة الدولية اليهودية، وهي النية المبنية أساسًا وراء التصريح.

(6) تضمن تصريح بلفور التزامات متضاربة لا يمكن التوفيق بينهما، فهناك تناقض حتمي بين تأييد فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وبين اشتراط عدم الإجحاف بحقوق سكانها العرب، وتبدو هنا مرة أخرى الصيغة الدبلوماسية الماكرة التي تستهدف إخفاء النوايا الاستعمارية البريطانية الحقيقية المبيتة للصهيونية أساسًا»[1].

(1) المصدر السابق، ص 52-53.

الاحتلال البريطاني، تطبيق لوعد بلفور

«تم احتلال فلسطين من قبل الجيوش البريطانية في سبتمبر/ أيلول (1918م)، وأقيمت فيها إدارة عسكرية باسم (الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة)، أما في سورية الداخلية فقد قامت حكومة عربية على رأسها الأمير فيصل بينما جعلت إدارة لبنان والساحل السوري بيد فرنسا، في إبريل/ نيسان (1918م)، أي قبل إتمام احتلال بريطانيا لفلسطين وصلت اللجنة الصهيونية إلى فلسطين برئاسة وايزمان، وكانت غايتها إرساء الأسس الكفيلة بإقامة الوطن اليهودي تنفيذًا لتصريح بلفور، وقد لقيت هذه اللجنة كل مساعدة من الإدارة العسكرية، وكان من أهم أعمالها أن حملت اليهود على تأليف شعبة تأسيسية في مؤتمر يافا اليهودي (كانون الأول/ ديسمبر 1918م) تمهيدًا لرفع مطالب الصهيونيين إلى مؤتمر السلم»[1]، وعلى الرغم من جميع الامتيازات والتسهيلات التي قدمها البريطانيون للحركة الصهيونية حاولت الإدارة العسكرية البريطانية التي حكمت فلسطين طيلة تلك الفترة تهدئة الفلسطينيين وإخفاء حقيقة النوايا الخبيثة لفصل فلسطين عن سوريا، ومحاولة التقريب بين الزعماء العرب والصهاينة لفرض السيطرة الاستعمارية، بيد أن محاولات فرض الصهيونية على العرب الفلسطينيين كشفت وجه بريطانيا الحقيقي، كما كشفت طبيعة وسائل الحركة الصهيونية في فرض أهدافها العدوانية الأمر الذي أدى إلى الثورة (لانتفاضة) الفلسطينية عام 1920[2].

(1) المصدر السابق، ص 54.

(2) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 86.

ومن الجلي ذكره أنه هيمنت على فلسطين أحداث الحرب العالمية الأولى بين صيف 1914م وخريف 1917م إلا أن تلك الأحداث العالمية لم تصرف أنظار الفلسطينيين عن مخاطر الصهيونية رغم الإنهاك الشديد الذي حل بالشعب الفلسطيني طيلة الحرب[1]، ولقد كانت الحكومة البريطانية تدرك طبيعة المشاعر العربية بشأن مستقبل فلسطين وعلم سايكس من خلال زيارة قام بها للقاهرة عام 1960م مطلع مارس (آذار) علم من السياسيين العرب المتعاونين مع بريطانيا أن العرب مسلمين ومسيحيين على حد سواء على استعداد لمقاومة بسط السيطرة اليهودية على فلسطين حتى آخر رجل، وحاولت بريطانيا دون أن تحول بأي إجراء يبحث موضوع الصهيونية في أثناء سني الحرب، ووجه الجنرال كلايتون رئيس الاستخبارات البريطانية إلى رئيس الشعبة السياسية في البعثة العسكرية المصرية ورئيس المكتب العربي بأن يوجه إلى شريف مكة إنذارًا جديًا وشخصيًا وأن يحثه على بذل أقصى جهد للحيلولة دون بحث هذا الموضوع الخطر»[2]، وبعد أن حالت الجهود البريطانية دون فقدان حسن النية لدى العرب «استقبلت الجيوش البريطانية بالترحيب بوصفها جيوشًا للتحرير»[3]، وهكذا دخل الجنرال اللنبي وبعثته العسكرية المصرية للقدس في الحادي عشر من كانون الأول 1917م بعد أقل من ستة أسابيع من إعلان الوعد المشؤوم.

(1) مذكرة حول المسألة اليهودية الفلسطينية، المكتب العربي، 05/ 02/ 1917م، ص 160.

(2) سايكس إلى بوكنان 14/ 05/ 1916، وج.371.2767، ماكدونان إلى كلامينون 21.11.1906، وج. 882-14.

(3) من أجل الاطلاع على ما جاء في المصادر البريطانية عن هذا الدور راجع تقرير «لجنة بيل الملكية»، الصادرة في لندن عن الحكومة البريطانية، وكتاب أ.ف. ويقل ثملات فلسطين –The Pales tine cam paigns –لندن– 1928.و.ت. أي لورانس ثورة في الصحراء –Reralt in the Desert – لندن 1927–، ص208.

وبعد هذا الإسهاب يتضح لنا:

إن وعد بلفور هو من أغرب الوعود والوثائق حيث منح بموجبه من قبل بريطانيا أرض فلسطين والتي يسكنها الشعب الفلسطيني الكنعاني ذو اللغة والتاريخ والحضارة لليهود الصهاينة الذين لا يمتلكون حضارة ولا لغة ولا تاريخًا وليسوا بشعب أصلًا، بل فئات مشتتة في أصقاع العالم، وذلك ليس شفقة على اليهود بل لتحقيق مكاسب سياسية استعمارية تنافسية بين بريطانيا وباقي الدول الاستعمارية واليهود وجدوا بذاك الوعد ضالتهم، وأصبحوا يروجون بالادعاءات والأحقية الدينية والتاريخية في أرض فلسطين رغم عدم وجود أي دليل حقيقي على هذه الأكاذيب الزائفة.

ملخص الفصل الثالث

لقد عرضنا في هذا الفصل لواقع الحال في فلسطين عشية الفتح الإسلامي لها حيث كانت تغزوها البعثات التبشيرية اليهودية قبل ظهور الإسلام في الحجاز الذي شكّل يقظة انطلاق جديدة بالنسبة إلى العالم بأسره وفلسطين خاصة، وكيف ناصب اليهود أوروبا المسيحية بالاشتراك مع المسلمين الذين سمحوا لليهود السكن في القدس التي حرّم البيزنطيون عليهم سكناها.

وكذلك استعرضنا أحوال اليهود في العهد الصليبي والمملوكي، وكيف شكّل موقع فلسطين مركزية الصراع الحضاري وما رافق ذلك قيم إسلامية وكيفية احترام المسلمين المنشآت الحضارية والمعايير المسيحية، وكيف باشروا بنشر العدل والمساواة بين المواطنين كافة.

وما استعرضناه أيضًا باقتضاب احترام صلاح الدين الأيوبي للاتفاقيات ونقضها من قبل الصليبيين.

وكان للعصر العثماني وفتح بلاد الشام أهمية قصوى في صلب الحديث عن العصر الإسلامي وكيفية دخول اليهود فلسطين، إلى ذلك أضفنا كيفية صرف الأنظار العثمانية عن اليهود واهتمامهم بالطورانية (التتريك) وإعدامها لعدد من الفلسطينيين.

كما كان للحرب العالمية الأولى الأهمية البالغة في هذا الفصل حيث كانت بداية نهاية الحكم الإسلامي لفلسطين ودخول فلسطين تحت احتلال بريطاني يؤسس لتسليمها كوطن قومي لليهود الصهاينة، ووضحنا معرفين للصهيونية ومؤسسها وكيف تم الحشد لها وتجميعها بعد بعثرتها وكيف كان الهدف منها التخلص من اليهود المشتتين في العالم بغير الاشتراط على فلسطين.

وكان الحدث الأهم في هذا الفصل تنفيذ التقاء المصالح البريطانية بالمصالح الصهيونية، وإعطاء الوعد المتهالك والجائر «وعد بلفور»، وكيف قامت بريطانيا بتطبيقه.

فالفصل الثالث أثبت بفحواه الفرضية الرابعة من فرضيات الدراسة، وهو أن جوهر الصراع فلسطين، وقلب الصراع البقعة المباركة في الأرض المقدسة.

الفصل الرابع

الصراع مستمر حتى التحرير

صراع وجود لا صراع حدود

«شرع اليهود منذ أواخر القرن التاسع عشر بتأسيس مستعمرات ومراكز خاصة بهم، فقد افتتحوا عام 1870م أول مدرسة زراعية في فلسطين، كما أسسوا بعد عامين مستعمرة «ملبس»، وكان أكثر يهود فلسطين حتى ذاك الوقت من «السفارديم» وهم من يهود الشرق وتتابع تأسيس المستعمرات، فتأسست مستعمرات «بتاح تكفا» _أي بوابة الأمل_، و «مشمار هيردان» _حراسة الأردن_، والخضيرة ورحوبوت والشجرة، وأسس مهاجرون من رومانيا عام 1883م مستعمرة زمارين أو زخرون يعقوب قرب قيسارية»[1]، «وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت الهجرة إلى فلسطين مقتصرة على المتدينين والمسنين الذين لم تكن فكرة الصهيونية واضحة في أذهانهم، واستمر هذا الوضع حتى عام 1882م»[2].

«وقد شكل انعقاد المؤتمر الصهيوني الخامس في مدينة بال بسويسرا في الفترة الممتدة من 16 إلى 20 ديسمبر (كانون الأول) عام 1901م نقطة تحول

(1) عبدالكريم غرايبة: «سورية في القرن التاسع عشر (1840-1876)»، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، 1962م، ص 128.
(2) رفيق القبحي ومحمد بهجت: «ولاية بيروت»، دار لحد خاطر، بيروت، 1979م، ص 31.

مهمة حيث اتخذت فيه مقررات هامة على الصعيد الصهيوني، وكان أهم قرار في هذا المؤتمر على صعيد مستقبل فلسطين إنشاء (الكيرن كايميت) لشراء الأراضي في فلسطين وجعلها أراضي ذات ملكية جماعية وليست خاصة، وتشغيل العمال اليهود دون غيرهم، وتهويد الأرض المقدسة من جديد، فقد أوضح الصندوق أن الشروط التفضيلية تمنح للفلاح اليهودي الذي يستخدم العامل اليهودي فقط في أرضه»[1].

وفي ذلك الوقت أدرك الفلسطينيون الخطر الصهيوني، وأصبحت العائلات والقرى تثور وتخوض المعارك ضد الصهاينة، «ففي عام 1886م وقع الصدام الأول بين فلاحي قرية الخضيرة ومستوطني مستعمرة (بتاح تكفا) الناشئة بجوارهم على خلفية خسارة العرب عملهم ومصادرة رزقهم في الأراضي التي بيعت للصهاينة. وبمبادرة عفوية وشجاعة خط الفلاحون في الخضيرة أول خطوات اعتماد المقاومة كخيار استراتيجي للشعب وتحدي الصهيونية باعتبار المقاومة بجميع وسائلها بما فيها السلاح الحربي هي حق الشعوب في مقاومة الاحتلال مشروعة»[2].

وما أن بدأت الوصاية البريطانية وباشر الاحتلال البريطاني همجيته على الأراضي الفلسطينية اشتعلت الثورات والصدامات على الاحتلال البريطاني وسياسته الداعمة للصهيونية ومع الصهاينة أنفسهم؛ إذ كان برنامج الصهيونية ملازمًا ضروريًا للانتداب، «والفلسطينيون يرغبون أن

(1) سميح شبيب: «الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948»، وزارة الثقافة الفلسطينية، مؤسسة الأسوار، عكا، الطبعة الأولى، 1999م، ص 29.

(2) «الثورة والانتقال الديموغرافي في الوطن العربي»، المعهد السويدي بالإسكندرية، الطبعة الأولى، بيروت، 2012. ص 764.

تكون بلادهم لهم وسيقاومون أية هجرة يهودية عامة مهما كانت تدريجية بكل ما لديهم من وسائل بما في ذلك العنف»[1].

«أما الحركة الصهيونية فقد كانت تعمل وفق خطة مدروسة واضحة المعالم، وصاية بريطانية قائمة على تنفيذ وعد بلفور على أن يشمل امتداد فلسطين الجغرافي»[2]، وعلى الرغم من جميع الامتيازات والتسهيلات التي قدّمها البريطانيون للحركة الصهيونية؛ حاولت الإدارة العسكرية البريطانية، تهدئة عرب فلسطين عن طريق إخفاء الحقائق عنهم والتوفيق ما أمكن بين الزعماء العرب وبين الصهاينة، بيد أن محاولات فرض الصهيونية على عرف فلسطين كشفت وجه بريطانيا الحقيقي كما كشفت طبيعة وسائل الحركة الصهيونية في فرض أهدافها العدوانية، الأمر الذي أدى إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1920م، «وهذه الانتفاضة حدثت في مناسبة الاحتفال بموسم النبي موسى، وجاء الفلسطينيون من كل مكان إلى القدس في ذلك العام للاحتفال، وكما جرت العادة على ذلك واستغل بعض الشبان القياديين هذه المناسبة لتحقيق أهداف سياسية وقاموا بحملة توعية اشترك فيها الحاج أمين الحسيني وعارف العارف حول مسألة استقلال فلسطين وضرورة وحدة سوريا»[3].

أثار اليهود العرب بمظاهرات مضادة، وكذلك فعل البريطانيون بإطلاق الرصاص فحصلت الصدامات الدامية، وعلى الرغم من أن

(1) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 109.
(2) المصدر السابق، ص 112.
(3) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 30.

الانتفاضة لم تتطور إلى ثورة إلا أنها أفرزت قيادة لها.[1] وفي اليوم الأول من مارس (آذار) شنّت مجموعتان فلسطينيتان مسلحتان[2] هجومًا على اثنتين من المستوطنات اليهودية الواقعة قرب الحدود السورية[3]، وقد قتل في هذين الهجومين جوزيف ترامبلدور وهو صهيوني بارز وستة يهود آخرين[4]، وعلى عكس انتفاضة 1920م، التي كانت بمثابة بلورة إطار قيادي للبلاد، وقد أثبتت انتفاضة 1929م أن القيادة التي أفرزت سابقًا لم تكن على قدر المسئولية، وأن الشعب متقدم على قيادته قامت هذه الانتفاضة إثر محاولة اليهود الاستيلاء على حائط البراق، وجرت اشتباكات دامية ما بين الفلسطينيين الذين يدافعون عن مقدساتهم والصهاينة في مختلف المدن، وسقط فيها مئات القتلى والجرحى، واستمرت الانتفاضة أسبوعًا صبّ فيها العرب غضبهم على الصهاينة والبريطانيين، وأظهروا جزءًا من الطاقة الثورية التي تتفجر في عروقهم[5]، وقد برز في هذه الانتفاضة ثلاثة أسماء حكمت عليهم بريطانيا بالإعدام، وهم: عطا الزير، فؤاد حجازي، محمد جمجوم[6].

وهؤلاء الشهداء خلّدهم التاريخ، وما زالت الأجيال تتغنى ببطولاتهم حتى يومنا هذا، وهؤلاء الشهداء جسّدت أرواحهم روح

(1) بيان نويهض الحوت: «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948»، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1981م.
(2) انظر: وايزمن، ص 317 – 318، كريستوفر سايكس، لندن، 965، ص 21.
(3) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 121.
(4) المصدر السابق.
(5) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 30–31.
(6) المصدر السابق، ص 45.

المقاومة لسالكي طريق الجهاد والمقاومة والاستشهاد. وتكمن أهمية انتفاضة عام 1929م في:

الحقيقة الأولى: أن الصهيونية والوطن القومي اليهودي كانا يعقدان في النهاية على الحرب البريطانية، ومن ثم فمن الضروري محاربة بريطانيا إذا كان للصراع ضد الصهيوني أن يحقق أهدافه[1].

الحقيقة الثانية: هي عدم قدرة الوجهاء الفلسطينيين على قيادة الجماهير في الصراع ضد الصهيونية والسياسة البريطانية في فلسطين[2].

«هذا وفي ظل تعاظم الهجرة الصهيونية إلى فلسطين احتشد أكثر من سبعة آلاف متظاهر غاضب مسلحين بالعصي والهروات واستشهد 12 فلسطينيًا وجرح 78 آخرون في عام 1933م[3]، ومن ثم في التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين الأول) قذفت الجماهير العربية القنابل اليدوية على أفراد البوليس البريطاني[4].

القسام، فلسطين الاختبار والاختيار

«إن فلسطين التي بوركت في القرآن الكريم خمس مرات، وقدّست مرة _أي طهرت_ لا يعمر فيها ظالم، والبركة تعني الثبات والاستقرار والاستمرار والملازمة»[5]، فهنا كان الاختيار لهذه البقعة المباركة ربانيًا؛ لذا

(1) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 206.

(2) المصدر السابق، ص 207.

(3) المصدر السابق، ص 241.

(4) كامبل إلى السكرتير الأول، ملخص أحداث منطقة القدس بين 27 أكتوبر (تشرين الأول) و4 نوفمبر (تشرين الثاني) 06/ 11/ 1933م، ص 4.

(5) بسام جرار: «سياحة الفكر، مقالات في التفسير»، نون للأبحاث والدراسات القرآنية، البيرة، الطبعة الأولى، 2013م ص140.

سيكون الاختبار للمجاهدين أجمعين سواء من فلسطين أو من خارجها، وفلسطين بهذه القداسة والبركة لها وقع جسيم في نفوس الصادقين «في الوقت الذي كانت تتزاحم فيه القيادات العشائرية على ولائم المندوب السامي»[1]، «كان الشيخ القسام السوري المولد قد هاجر إلى حيفا عام 1920 بعد انهيار الثورة السورية ضد الاحتلال الفرنسي والذي كان فيها قائدًا بارزًا، ولم يجد الشيخ القسام بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة صعوبة في الانضمام إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا، ثم انضم بعد ذلك إلى جمعية الشبان المسلمين»[2] التي تولى في عام 1926م رئاستها[3]، وكان القسام يعد الرجال من أجل معركة شعبية مسلحة ضد البريطانيين والصهاينة. كانوا يقومون بتحركاتهم السياسية ضمن مواكب البيانات والخطابات، وكان هو يقوم بعمله بصمت وتركيز[4]. وأخذ يتجول في قرى شمال فلسطين في عام 1929م بوصفه موظفًا في المحكمة الشرعية بحيفا، واستطاع بفضل اتصالاته هذه بالفلاحين في القرى وبالمصلين في مسجد الاستقلال بحيفا أن يجند بعض العناصر الثورية التي نظمها في خلايا سرية لا يتجاوز عدد أفراد الخلية الواحدة منها خمسة أفراد، ثم أخذ ينشر بينهم الدعوة إلى الثورة ضد العبودية وضد الأجانب الكفار يهودًا كانوا أو بريطانيين[5].

«كانت شخصية القسام تشكل ظاهرة فريدة في تاريخ فلسطين تحت

(1) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 46.

(2) للاطلاع على دستور جمعية الشبان المسلمين، راجع وثائق المقاومة الفلسطينية، ص 101-111.

(3) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 250.

(4) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 46.

(5) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 250.

الانتداب، وقد حاز الشيخ على احترام عامة الناس وإعجابهم وأخذوا عنه روح المقاومة والإعداد»[1].

«وبحلول عام 1935م كان القسام قد نظّم خمس لجان لتحقيق الأهداف التالية: (الدعوة أو الرعاية، التدريب العسكري، التموين، الاستخبارات، العلاقات الخارجية»[2]، وليس من المستبعد أن يكون القسام قد جمع التبرعات لشراء كميات صغيرة من الأسلحة استعدادًا للقيام بثورة ضد الحكومة التي اعتبرها الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين[3]، وتكونت خلايا الجهاد السرية في أول تكويناتها على نمط حلقات الأرقم بن أبي الأرقم، أي خمسة أشخاص على الأكثر، من بينهم نقيب مسؤول عن القيادة والتوجيه[4]، وركزت الحركة في نهجها الإسلام كمنهج شامل للتحرك والعمل والتربية والتعبئة والجهاد[5].

«إن حركة القسام الجهادية تميزت عن الاتجاه السائد في الحركة الوطنية لجهة الموقف من البريطانيين وأسلوب النضال الأمثل للحركة

(1) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 47.

(2) راجع ناجي علوش: «المقاومة العربية في فلسطين، 1917-1948م»، بيروت، 1967م، ص 102. وانظر، جعفر عبدالرازق: «الإسلاميون والقضية الفلسطينية»، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ط 1، 1989م، ص 41-42.

(3) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 250.

(4) بيان نويهض الحوت: «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948»، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1981م، ص 323. سميح حمودة: «الوعي، الثورة، دراسة حياة وجهاد الشيخ عزالدين القسام، «1928-1935»، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1986م، ص59. محسن صالح: «التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، 1917-1948»، دار الفلاح، الكويت، ط2، 1989م، ص 278.

(5) محسن صالح: «التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، 1917-1948»، دار الفلاح، الكويت، ط2، 1989م، ص 270.

الصهيونية والانتداب البريطاني، ففي حين كانت قوى وطنية تنظر إلى البريطانيين كأصدقاء يمكن الاعتماد عليهم في تحصيل الحقوق فإن القسام اعتبر بريطانيا أصل الداء وسبب البلاء، وهي عدو العرب والمسلمين الأول، والحركة الصهيونية وليدة الاستعمار البريطاني، وبريطانيا هي الرأس والصهيونية هي الذيل»[1].

«أيقن القسام أن عملية صهينة البلاد ليست نكتة، وإنما عبارة عن عملية تسير بطريقة مبرمجة ووفق خطط جاهزة، وأيقن أن كل محاولات بريطانيا لتهدئة العرب ليست إلا محاولات للتستر على ما يجري بالخفاء بشكل منظم كتسريب اليهود وتسهيل انتقال الأراضي لهم وتسهيل عملية تنظيمهم وتدريبهم وتسليحهم»[2].

كيف ثار القسام؟

«توالى الحوادث في عام 1935م أجبر القسام وأتباعه من المجاهدين على البدء بثورة مسلحة ضد البريطانيين والصهيونيين خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من ذلك العام»[3]، بينما كان السياسيون الفلسطينيون يكشفون عن مواقفهم المتساهلة الهزيلة نحو الحكومة[4]؛ لذلك اعتمد القسام المواجهة المسلحة ضد السلطات البريطانية لاقتناعه بأن الزعماء السياسيين للبلاد لن يصلوا إلى أية نتيجة محسومة بالطرق السلمية، فلم

(1) سميح حمودة: «الوعي، الثورة، دراسة حياة وجهاد الشيخ عزالدين القسام، «1928-1935»، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1986م، ص59.

(2) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 47-48.

(3) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 251.

(4) المصدر السابق.

ينخرط في سياسة المؤتمرات والوفود المعارضة السلبية، إنما دعا بوضوح إلى الجهاد بإعداد تنظيم عسكري مدرب ومؤهل للثورة العسكرية والشعبية ضد اليهود والبريطانيين[1].

«لاحظ القسام أن البريطانيين يراقبون حركة جماعته وعلى وشك اعتقال النخبة الصالحة من جماعته، وبالتالي سيقيدون جميع مخططات الثورة، فقرر إعلان الثورة وتكثيف العمليات العسكرية في ظل أجواء تصعيد في الموقف البريطاني والصهيوني كاشتداد الهجرة اليهودية واكتشاف حادثة تهريب الأسلحة إلى اليهود في يافا»[2]، فغادر القسام يرافقه 25 رجلًا من أنصاره المسلحين في الثاني عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) قاصدين ضواحي جنين لدعوة الفلاحين في تلك المنطقة لحمل السلاح في وجه اليهود والبريطانيين[3]، لكن البريطانيين تتبعوهم بواسطة عملائهم إلى أحراش يعبد[4]، بيد أن القسام مدفوعًا بإيمانه وحماسته وإخلاصه، رفض الاستسلام وحث أتباعه على القتال والاستشهاد في سبيل الله[5]، في 19 نوفمبر (تشرين الثاني) دارت في أحراش يعبد معركة ساخنة استشهد فيها القسام وبعض رفاقه، وبذلك تعلم الناس درسًا في المقاومة وحرصوا على العمل به في المستقبل[6].

(1) محسن صالح: «التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، 1917-1948»، دار الفلاح، الكويت، ط2، 1989م، ص 244-304.

(2) محسن صالح: «التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، 1917-1948»، دار الفلاح، الكويت، ط2، 1989م، ص 299-304.

(3) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 252.

(4) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 49.

(5) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 252.

(6) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 49.

ما الذي يعنيه استشهاد القسام؟

لقد كان لاستشهاد القسام البطولي الأثر العميق في نفوس الأمة العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة حيث أصبح القسام:

(1) رمز للتضحية والفداء حيث شيع جثمانه في حيفا بتظاهرة وطنية كبرى نادت بسقوط الإنجليز والوطن القومي اليهودي[1].

(2) جعلت الثورة القسامية من الزعماء السياسيين خوالف الشعب كما ظهر جليًا في الجنازة[2].

(3) الثورة القسامية أجبرت الزعماء الفلسطينيين لتقليل انتهاج سياسة التقرب من بريطانيا[3].

(4) أثبت القسام للجميع أنه لا يعظ قط ولا ينظّر، وإنما يعمل أيضًا في الخفاء[4].

(5) قدّم القسام البديل العملي لكل النشاطات السياسية التي لم ترتكز على أي منطق غير الاستجداء واستدرار الشفقة[5].

(1) عبدالوهاب الكيالي: «تاريخ فلسطين الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 9، ص 253.
(2) المصدر السابق.
(3) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 49.
(4) المصدر السابق.
(5) المصدر السابق.

اتساع الثورة

إن ثـورة القسـام لا تقـاس بعـدد القتـلى مـن الأعـداء أو عـلى مـدى نشـاطاتها السياسـية والعسـكرية؛ لـذا كتـب عجـاج نويهـض مقيمًا حركـة القسـام قائـلًا إن الحركـة هـزت كل العـرب، فهـذا الشـيخ أرشـد العـرب عـلى الطريـق القويـم الـذي يجـب أن يتبعـوه في سـبيل إنقـاذ بلادهـم[1].

فهنـا نجـد أنـه قـال هـزت كل العـرب، وأرشـد العـرب، ولم يقـل الفلسـطينيين، هـذا للأثـر البالـغ الـذي أحدثـه القسـام وبـدا واضحًـا اتسـاع الثـورة في البـلاد العربيـة ضـد المحتلين متبعين نهـج القسـام، «فالقسـام لم يكـن مغفـلًا يـوم ذهـب إلى يعبـد بعـدد قليـل مـن الرجـال ومقدار يسـير من السـلاح، ولكـن الأثـر نبـع مـن استشـهاده عـن يقـين وعقيـدة ليحيـي في النفـوس هـذه الـروح عمليًـا لا نظريًـا منبريًـا»[2].

إن القسـام شـكّل صحـوة للأمـة «فلـم يقتـصر رفـاق القسـام عـلى الذيـن حـضروا معركـة يعبـد، بـل كانـوا منتشريـن في عـدد مـن القـرى والمـدن الفلسـطينية، وحمـل هـؤلاء الرجـال السـلاح اسـتمرارًا لخـروج القسـام للجهـاد وامتـدادًا لـه، وحاولـوا تجنيـد العديـد مـن الراغبين في الجهـاد عـلى أمـل منهـم أن تكـون ثـورة عارمـة في البـلاد»[3]، «وقـد خلـق القسـاميون جـوًا مـن الثـورة لم تشـهده البـلاد مـن قبـل ممـا هيـأ البـلاد لوثبـة ثوريـة كبـيرة أربكـت البريطانيـين فوضعـت الزعامـات التقليديـة في موقـف صعـب[4].

(1) عجاج نويهض: «رجال من فلسطين»، ص 118.
(2) المصدر السابق.
(3) د. عبدالستار قاسم: «القيادة الفلسطينية قبل عام 1948م، وأثرها في النكبة»، مكتبة الرسالة، نابلس، الطبعة الأولى، 1992م، ص 55.
(4) صبحي ياسين: «الثورة العربية الكبرى»، ص 30.

فلسطين الاختبار

إن ما أحدثه القسام من جهاد حقيقي في ضمائر الأمة ورغم محدودية العمل والزمن إلا أن فلسطين كانت هي الاختبار الحقيقي للصادقين بجهادهم لربهم ولأمتهم ولأوطانهم، والذين اتخذوا من العدو صديق وركنوا إلى الولائم والحوارات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فسيل القسام الجهادي امتد أثره حتى في نفوس المفكرين المعاصرين، فالشهيد الدكتور فتحي الشقاقي حين نهض للجهاد ضد الصهاينة كان يرى في القسام وثورته بمثابة الشعلة الثورية، وقدم إلى جنين ليرى مكان الاشتباك القسامي، فيقول الشقاقي رحمه الله: «إذن هنا كان محط رحاله ومهراق دمه، مولانا الشيخ عز الدين القسام، القادم من (جبلة) حتى دميت قدماه إلى (يعبد)، ما بين جبلة ويعبد كانت تحولات التاريخ تدور تلقي بنا إلى مزيد الغربة والمعاناة والألم، ما بين جبلة ويعبد كان القسام يحمل في قلبه آلامه ويمضي، يتوقف في الطرقات، الحوانيت في البيوت، كان الشامي القادم من جبلة يرسم لفلسطين خارطة جديدة ضد التحولات وضد الرحلة، القسام ذهب إلى خوابي الماء، امتزج بكل طمي فلسطين وآن لنا أن نلملمه، مولانا الشيخ في زمن الردة، تناديك باسمك فانهض وامسح على قلوب الأمة دون الأيام المتسخة»[1].

فبعدما اختبرت فلسطين مجاهدي القسام توالت الاختبارات، فكان الدكتور فتحي الشقاقي رمزه الذي يمتد جهاده القسامي في أعماق فلسطين

(1) القول للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، نشر في مجلة الطليعة الإسلامية، العدد 29، السنة الثالثة،، يونيو 1985م.

حتى أحاط الأقصى بالسياج الصدري، ولف فلسطين بحزام النار المشتعل بدماء القسام، وأنار قلوب الأمة بصدق القسام ووفائه.

امتداد الصراع على مساحة الأمة وارتكازه في فلسطين

بعد الذي تناولته أيدينا من موجز مقتطف لفلسطين ومحاولة سرقتها من قبل الطامعين بها وعلى رأسهم بريطانيا والحركة الصهيونية؛ اشتدت الهجرات الصهيونية إلى فلسطين بالرغم من المقاومة واندلاع الثورات والانتفاضات وإعلان الإضراب عام 1936م إلا أن الحركة الصهيونية وبريطانيا كانت تخفي الإجرام الأكبر ألا وهو اجتثاث العرب، وإبادة الشعب الفلسطيني، وتحقيق التفوق الديموغرافي اليهودي في فلسطين.

«استطاعت الحركة الصهيونية بالتحالف مع بريطانيا والغرب إنشاء الكيان الصهيوني في مايو (أيار) عام 1948م أي بعد واحد وخمسين عامًا من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية[1]، ولكن كيف أعلن إنشاء الكيان الصهيوني؟ تم إعلان قيام الكيان الصهيوني عن طريق:

(1) شكّلت الهجرة المورد الأساسي المطلوب فورًا بهدف توفير القاعدة السكانية الضرورية لإقامة الكيان الصهيوني عند الشروع في تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين، وقد بلغ عدد اليهود في 15 أيار 1948م 650 ألف يهودي[2]، علمًا أن اليهود لم يستطيعوا سوى الحصول على 6 ٪

(1) نبيل عمود السهلي: «حق العودة المقدس»، مركز باحث للدارسات، 2003م، ص 84.
(2) عبدالرحمن أبو عرفة: «الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الجليل، عمان، 1981م، ص 10-11.

من مساحة فلسطين كان معظمها أراضي حكومية أو أراضي باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يسكنون في سوريا ولبنان، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي 291 مستوطنة.

(2) سبقت هذه الأحداث بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29/ 11/ 1947م برقم 181، ويقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وحاز أغلبية الثلثين بضغط أمريكي ودعم روسي قوي، وأعطى القرار 54.7 ٪ من أراضي فلسطين للدولة اليهودية أي (144.000) كم² و44.8 ٪ للدولة العربية (11780 كم²) ونحو 0.5 ٪ لمنطقة القدس[1].

ويقول رون ديفيد: «أريد عددًا قليلًا من اليهود الأمريكيين المشهورين خصوصًا أولئك الذين أحترمهم والذين علموني كل شيء، أريدهم أن يقفوا ويقولوا لنترك الكذب على العالم وعلى أنفسنا، لقد سرقنا فلسطين، لقد سرقناها»[2].

(3) بعد قرار التقسيم، اندلعت الحرب، وتحمل أبناء فلسطين أعباءها في الأشهر الستة الأولى، بمساعدة عدد محدود من المتطوعين؛ إذ رفضت الدول العربية إرسال جيوشها إلى أن وصل 18/ 05/ 1948م تجرأت بريطانيا على الحقوق الفلسطينية، وشكّل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربية جيش الإنقاذ من متطوعي البلاد العربية والإسلامية، وقد عانى أبناء فلسطين من هزالة الدعم العربي بالسلاح والعتاد لدرجة مأساوية ومع ذلك تمكنوا من إثارة قلق اليهود.

(1) راجع قرار الأمم المتحدة (١٨٨) المعروف بقرار التقسيم.

(2) الكاتب اليهودي رون ديفيد: «العرب وإسرائيل للمبتدئين». عبدالرحمن أبو عرفة: «الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الجليل، عمان، 1981م، ص 11-12.

(4) تعاون البريطانيين مع اليهود حيث تم إمداد اليهود بالعتاد العسكري المتقدم، وانسحاب القوات البريطانية مع تأمين حماية اليهود، وغدر بريطانيا بالعرب.

(5) مثّل دخول الجيوش العربية السبعة قصة مأساوية فلم يزد عدد مقاتليها عن 24 ألفًا مقابل أكثر من 70 ألف يهودي، وعانت تلك الجيوش من ضعف التنسيق بينها وجهلها بالأرض، وسلاحها الفاسد.

والجدير بالذكر أن أبناء فلسطين وأبناء الشعوب العربية والإسلامية كانت لديهم حماسة هائلة بالجهاد والبذل، ولكن القيادات السياسية كانت عامل إحباط وفشل كبير.

(6) اعتماد الحركة الصهيونية سياسة الأرض المحروقة حيث قامت الميليشيات الصهيونية بارتكاب المجازر الجماعية وهدم وتهجير القرى الفلسطينية وبث الرعب والإشاعات حول تلك المجازر والبشاعة.

النتائج:

أولًا: مساء 14/ 05/ 1948م تمكن الحركة الصهيونية وبريطانيا من هزيمة القوات العربية المقاتلة في فلسطين فأصبح هذا التاريخ هو إعلان استقلال دولة العدو الصهيوني، وإقامة كيانها، وبالنسبة لهذا التاريخ الأليم للشعب الفلسطيني أصبح له مسمى شائع بالنكبة، وهذه النكبة تعني تشريد حوالي 85 ٪ من الشعب الفلسطيني من أرضهم (شرد بالقوة 800

ألف من أصل مليون و390 ألفًا) إلى خارج الأراضي التي أقام اليهود عليها كيانهم، بينما شرّد (30 ألفًا) إلى داخل الأراضي المحتلة نفسها، وارتكبوا (34) مجزرة خلال نكبة 1948م بمدنيين فلسطينيين في أثناء عملية التهجير.

ثانيًا: «افتقاد الشعب الفلسطيني وحدة نسيجه المجتمعي وصيرورته (أجزاء مجتمع)، فكل جزء واجه ظروفًا سياسية واجتماعية وخضع لقوانين وأنظمة وإجراءات متمايزة عما واجهته بقية الأجزاء وخضعت له[1].

ثالثًا: خسارة الشعب الفلسطيني معظم أراضي وطنه، خاصة الخصبة منها[2].

رابعًا: خسارة الشعب الفلسطيني قاعدته الاقتصادية، واحتفاظه بقاعدته البشرية من خلال مواجهاته للجائحة التي ألمت به باستثمار العنصر البشري من خلال التعليم[3].

خامسًا: تشتيت الفلسطينيين في أرجاء الأرض (الدول العربية والعالمية)، وإنشاء مخيمات للاجئين بعد ما كانوا ملاك أرض ووطن.

سادسًا: تجميع الآلاف من اليهود المهجرين من حول العالم فوق بحر دماء الفلسطينيين وآلامهم، وبخصوص هذا قال موشيه ديان[4]: «ليست هناك قرية يهودية واحدة في هذه البلاد لم يتم بناؤها فوق موقع القرية العربية».

(1) بشارة خضر: «أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية إلى اليوم»، ترجمة منصور القاضي، مراجعة جورج أبي صالح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003م، ص 267.

(2) مركز دراسات الوحدة العربية: «الثورة والانتقال الديموغرافي في الوطن، 2003م، ص 262.

(3) المصدر السابق.

(4) موشي ديان: تولى مناصبه كرئاسة أركان الجيش الصهيوني، ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وهو عالم آثار، قال كلامه متفاخرًا بالجرائم التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني.

سابعًا: نهاية الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، وتوريث الاحتلال لليهود الصهاينة.

وهنا نلاحظ أن الشعب الفلسطيني قد وزّع على العديد من الدول، وهذا يعني أنه بدأ يوسع دائرة الصراع في سائر الأماكن التي تواجد بها، ولكن هذا الصراع نقطة ارتكازه هي فلسطين حيث ما زال يتصّدر الصراع حق العودة وتحرير الأرض والإنسان بالرغم من كل ما ألم به من مجازر، ولكن الثورة لن تتوقف بالنسبة للشعب الفلسطيني؛ لأن طعم الغربة يؤلم أكثر من المجازر، واحتلال الأرض يعني اغتصاب العرض.

«أما المشروع الصهيوني فيركز على مسألة اللاجئين الفلسطينيين منذ عام 1955م التالية لاغتصاب فلسطين وتشريد أهلها عام 1948م على تحميل مسئولية حل تلك المسألة للأطراف العربية من خلال ربط مشكلة اللاجئين العرب بما يسميه اللاجئين اليهود من الأقطار العربية»[1]، وأن مسؤولية اللاجئين الفلسطينيين يتحملها أولئك الذين شنوا حرب 1948م (الجيوش العربية) ضد وجود العدو الصهيوني وأنهم خسروا الحرب، وأن اليهود الذين قدموا إلى فلسطين تركوا ممتلكاتهم في الدول العربية والإسلامية[2]، وبالإضافة إلى قاموس الكلمات المؤلمة للشعب الفلسطيني دخلت كلمة الخط الأخضر، وهذا المصطلح أطلق نسبة إلى استعمال القلم الأخضر الذي به تم ترسيم حدود وقف إطلاق النار على الخريطة التي عالجت موضوع النزاع العربي الصهيوني، والتي دفعت فلسطين وأهلها ثمنًا باهظًا لها.

(1) تصريح لرئيس الوزراء الصهيوني المقتول إسحاق رابين قبيل توقيع اتفاق القاهرة يوم 04/ 05/ 1994م

(2) صحيفة الحياة اللبنانية بتاريخ 04/ 05/ 1994م.

وتشير الوثائق التاريخية الموثوقة والمعتمدة أنه في أعقاب هزيمة الجيوش العربية في حرب النكبة الفلسطينية عام 1948م تم تدشين مفاوضات وقف إطلاق النار بين العرب والصهاينة في شهر يناير (كانون الثاني) عام 1949م، والتي أجريت في جزيرة رودوس اليونانية، وقد تم ذلك بمبادرة الأمم المتحدة التي بعثت وسيطًا بين الأطراف المتنازعة في الحرب، وهو الدبلوماسي الأمريكي والأكاديمي في جامعة هارفارد والف بانش، والذي حاز لذلك جائزة نوبل للسلام رغم أنه لا يستحق هذا اللقب لكونه أدار المفاوضات، وأملى على ممثلي كل من الأردن ومصر ولبنان وسوريا التوقيع على بنود الاتفاقية الجائرة في ظل تغييب وتهميش للفلسطينيين.

وهنا إذا أمعنا النظر وأجرينا دراسة عميقة في بنود الاتفاقية (بنود وثائق المفاوضات) والتي تحتاج إلى بحث أوسع من الذي بين أيدينا كونه يختص بالقضية الفلسطينية؛ نجد بأن بانش والصهاينة لم يذكروا كلمة فلسطين أو مشتقات الجمل التي تحوي (أرض فلسطين)، فقد استخدموا كلمة «إسرائيل» للتعبير والإشارة إلى ما بعد 1948م، ولم يكتفوا بذلك؛ إذ ركزوا على ذكر أرض «إسرائيل» بدلًا من فلسطين التاريخية.

فالناظر المتأمل والباحث المتعمق لوثائق الهدنة التي وقعت بين الصهاينة والدول العربية يرى أن كل دولة من الدول الموقعة كانت قد فاوضت على حدة، وأسفرت هذه المفاوضات عن اعتراف الدول العربية بـ«إسرائيل»، وتحديد حدود الدولة العبرية، وقد عرفت هذه الخطوط الحدودية بمصطلح الخط الأخضر.

فبعد توقيع الاتفاقية مع مصر بشهر فبراير (شباط) 1949م تم وضع منطقة النقب والتي تقع جنوب فلسطين والمشكلة 50 ٪ من مجمل أراضي فلسطين التاريخية، ضمن نطاق «دولة إسرائيل»، وتم استثناء قطاع غزة، فيما تم اعتبار نيتسانا الواقعة على الحدود المصرية الفلسطينية، منطقة منزوعة السلاح.

أما المفاوضات مع جمهورية لبنان التي تقع شمال فلسطين فقد اتفق الطرفان اللبناني والصهيوني على اعتبار الحدود التي كان قد وضعها الانتداب البريطاني هي الحدود الرسمية بين الطرفين.

أما المفاوض السوري والصهيوني فقد خرجا باتفاق باركته الأمم المتحدة ينص على إخلاء الأراضي الواقعة شرقي بحيرة طبريا، أي شمال شرقي فلسطين.

أما المفاوضات الصهيونية الأردنية فقد أوصت على أن يبدأ مسار الخط جنوبًا من منطقة عين جدي على البحر الميت شرقًا، ويتجه نحو الغرب مرورًا بالخليل بجنوبي الخليل، ثم يتجه شمالًا بمسارات غير مستقيمة ومن ثم ينقسم في القدس إلى حدين تاركًا بينهما منطقة خالية، ثم ينحني شرقًا عند شمال الضفة الغربية حتى حدود الأردن، ثم تم لاحقًا ضم منطقة المثلث.

إن ترسيم الخط الأخضر بمفاوضات رودوس مكّن الكيان الصهيوني من السيطرة على 77 ٪ من أرض فلسطين التاريخية، أي حوالي 20 ألف كم² من مجمل 27 ألف كم².

انحسار الثورة

لقد تحقق للصهاينة ما كانوا يخططون له منذ سنوات طويلة سواءً في بلاد شتاتهم أو في مؤتمرات المؤامرة الصهيونية، وذلك الحلم تحقق ما بين 1947م (قرار تقسيم فلسطين)، وتموز 1949م تاريخ توقيع آخر اتفاقية هدنة مع سوريا.

تمثل 92.6 ٪ من مساحة أرض فلسطين وسكان هذه المساحة أصبحوا لاجئين، وهذه هي النكبة التي ليس لها مثيل في تاريخ الأمم؛ إذ لم يحصل من قبل أن غزت أقلية أجنبية أكثرية وطنية واحتلت أرضها وطردتها من ديارها بدعم مالي وسياسي وغطاء شرعي دولي من الخارج[1].

وتوالت المجازر بلا توقف والتي يقوم بها مجرمو الحرب الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني الذي رفض الرحيل من أرضه، واعتبرهم الصهاينة أسرى حرب تحت الحكم العسكري من 1948-1966م وصودرت أملاكهم[2]، وهم الذين أصبح يطلق عليهم عرب 48 فيما بعد، وهم الذين غدوا كأقلية قومية في دولة «إسرائيل» العنصرية، فرضت عليهم جنسيتها من دون أن يطلبوها كما يقول موشي ديان[3]، ومن غير منحهم حقوق المواطنة، وهو ما جعل منهم مستعمرة داخل الكيان الصهيوني؛ إذ أخضعوا منذ 23 يونيو (حزيران) 1948م لحكم عسكري

(1) د. سلمان أبو ستة: «حق العودة مقدس وقانوني وممكن»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(2) المصدر السابق.

(3) «مذكرات موشي ديان وزير الدفاع الصهيوني»، ترجمة جورج صفير، دار السيرة، بيروت، ص 152.

صارم حتى عام 1966م، وبموجب ما يسمى أملاك غائبين تمت مصادرة 40 ٪ من أملاك الذين اعتبروا حاضرين غائبين[1]، وفرض على الطلاب العرب النشيد اليهودي، وتقلل من قيمة الإنسان العربي في محاولة لترسيخ الانطباع في أذهانهم بأن أمتهم لا تستطيع مقاومة الحركة الصهيونية، وأن لا حق للعرب في أرض إسرائيل[2]، وبرغم من ذلك صمدوا وازداد وعيهم ونشاطهم المطلبي والسياسي بحيث غدوا يشكلون معضلة للكيان الصهيوني، ويقرر المؤرخ الصهيوني إيلان بابه أن القيادة الصهيونية بزعامة بن غوريون اعتمدت في آذار (مارس) 1948م سياسة التطهير العرقي في الأراضي المحتلة، ويؤرخ لأكثر من 36 مجزرة[3]، وتوالى منذ عام 1948م طرح مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين، إلا أنها قوبلت بالرفض وإصرارهم على حق العودة الذي لا عودة عنه[4].

وبتحقيق الصهاينة مرادهم من المؤكد أن يسود شعور المرارة والمهانة للشعب الفلسطيني بل للعرب والمسلمين نتيجة حرب 1948م، وقد سارت المقاومة الفلسطينية:

(1) محاولة استيعاب الصدمة، ومحاولة التكيف مع الواقع الجديد والتركيز على التعليم، وسبل الاعتماد على النفس.

(1) سميح فرسون: «فلسطين والفلسطينيون»، ترجمة عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003م، ص 277-279.

(2) أحمد سعيد نوفل: «الحركة الصهيونية بين الفكر والممارسة»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989، ص 98-99.

(3) إيلان بابه: «التطهير العرقي في فلسطين»، ترجمة محمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007م، ص 14+72.

(4) المعهد السويدي بالإسكندرية: «الثورة والانتقال الديموغرافي في الوطن العربي»، الطبعة الأولى، بيروت، 2012، ص 264.

(2) محاولة الانتماء إلى التنظيمات والأحزاب ذات الطبيعة القومية.

أما الفلسطيني فقد:

(1) بدأ الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني الهجرة طلبًا للرزق من خارج فلسطين.

(2) بدأ بتشكيل الهوية الفلسطينية.

(3) الانفضاض الشعبي عن الحاج أمين الحسيني.

وأكملت الحكومة الأردنية سيطرتها على الضفة الغربية دستوريًا وهي معظم ما تبقى من فلسطين، وتم مبايعة الملك عبدالله ملكًا على فلسطين، وفي نفس الوقت وضعت الحكومة المصرية يدها على قطاع غزة، ومنع الحاج أمين الحسيني ورفاقه من العمل السياسي أو العيش في الضفة الغربية والقطاع.

وخلال هذه الفترة لم تنحسر المجازر الصهيونية، وكان أبرزها مجزرة البوليس الحربي جنوب شرق مدينة غزة حيث ارتكبت القوات الصهيونية مذبحة بحق مقاتلين فلسطينيين ومصريين بلغ عددهم 39، وهذه المجزرة قد سبقت بمجزرة قبيا بتاريخ 15/ 10/ 1953م التي راح ضحيتها 67 شهيدًا، وفي 29/ 10/ 1956م بدأ العدوان الثلاثي (الصهيوني، البريطاني، الفرنسي) على مصر، وكانت الرغبة الصهيونية تدمير العمل الفدائي الفلسطيني في القطاع، وفتح خطوط الملاحة للسفن الصهيونية في البحر الأحمر سواء بفتح قناة السويس أو بفك الحصار عن ميناء أم الرشراش،

فضلًا عن النية التوسيعية والتي توافقت مع النيات البريطانية في الرغبة باستمرار السيطرة على قناة السويس، وهذا كله توافق مع نية فرنسا بتوجيه ضربة لمصر؛ لأنها كانت تدعم الثورة الجزائرية، وقد أدى هذا إلى الاحتلال الصهيوني لقطاع غزة وسيناء.

إن المصطلح المطلق على الحدود التي رسمها الكيان الصهيوني وخطها الأمريكي بقلمه الأخضر راسمًا حدود الألم والدماء والمحركة بذاك القلم ذي اللون الأخضر، متجاهلًا كل مآسي الشعب المشرد في أصقاع الأرض.

وبعد هذا كله حدثت حالة من الإحباط وعمقت الجراح في الكرامة العربية، لكن الدول العربية حاولت استيعاب الصدمة واستعادة جزء من ثقة الجماهير بها، واجتمع الزعماء العرب في الخرطوم بتاريخ 01/ 09/ 1967م معلنين أن لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف بالكيان الصهيوني، وتعهدت هذه الدول بدعم دول الطوق لإعادة بناء قواتها المسلحة، ودخلت مصر، وسوريا في حرب استنزاف مع الكيان الصهيوني محاولة الحد من تحطم المعنويات لدى الجيشين السوري والمصري.

وهذه الأنظمة التي خسرت ثقة شعوبها وحطمت معنويات جيوشها كان لابد لها أن تتدارك مدى صلابة الشعب الفلسطيني والتي كانت هي سبب في تشرده، فاضطرت هذه الأنظمة إلى إفساح المجال للعمل الجهادي والفداء الفلسطيني الذي استطاع أن يبني له قواعد قوية وواسعة في الأردن ولبنان، معتمدًا على نفسه، غير آبه بما تخطه الأنظمة من اتفاقيات واستطاعت التنظيمات الفلسطينية وعلى رأسها حركة فتح

أن تتصدر خط الكفاح الشعبي والمسلح بالإضافة إلى خوض حرب العصابات، وكانت منظمات اليسار ومنظمات عدة تنضوي تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية.

واكتسبت الشخصية الفلسطينية زخمًا كبيرًا واستطاعت منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر الزعماء العرب في الرباط أكتوبر (تشرين الأول) 1974م الحصول على الاعتراف بها ممثلًا شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني، مع التأكيد أن منظمة التحرير الفلسطينية لم توقف عملياتها الفدائية طوال تلك الفترة، فكان هناك المئات من العمليات النوعية ليكون الكفاح المسلح شعار الفصائل مساندًا للثورات الشعبية، ولكن هذا الكفاح أجبر العالم على سماع صوت الشعب الفلسطيني، وفرض عليهم احترامه.

وفي الوقت نفسه كانت المقاومة الفلسطينية تتلقى مزيدًا من الضربات القاسية من الكيان الصهيوني في ظل حالة الترهل والضعف والتمزق العربي والإسلامي، هذا الترهل أدى إلى التقليل من إمكانات الاستفادة من الدعم الدولي، وإن كان خط المكاسب الفلسطينية السياسية قد تصاعد على الساحة العربية والدولية في هذه المرحلة فإن خط العمل الفدائي، وخط الدعم العربي ما لبث أن تراجع وانحسر إلى مستويات متدنية بحيث أثر سلبًا على المكاسب السياسية.

سيطرة شاملة، جبهات ثائرة

بعد أن استعرضنا جزءًا من الإجرام الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني كان لابد من وجود ردود عربية، ففي يونيو (حزيران) 1967م

اندلعت حرب عربية، صهيونية، عربية لا فلسطينية مستقلة، فقامت مصر بالتصعيد حيث قامت:

(1) إغلاق مضائق تيران في البحر الأحمر.

(2) طلبت من مراقبي الأمم المتحدة مغادرة حدود مضائق البحر الأحمر.

وبهذا أعلنت البلاد العربية استعدادها لمعركة المصير وتحرير فلسطين، هذا الإعلان استدعى من القوات الصهيونية في صباح 5 يونيو (حزيران) تدمير الطيران التابع للمطارات المصرية والأردنية والسورية، وفي غضون ستة أيام كان الأمر قد انتهى بكارثة عربية جديدة.

فشعار العرب (تحرير فلسطين) أعطى الضوء الأخضر للصهاينة باحتلال باقي فلسطين (الضفة الغربية والبالغة من المساحة 5878 كم²، بالإضافة إلى قطاع غزة 363 كم²)، بالإضافة إلى كل من صحراء سيناء المصرية والبالغة من المساحة أكثر من 160 ألف كم²، ومرتفعات الجولان السورية 1150 كم².

فعلى مدار تسعة عشر عامًا كان الثوار العرب والفلسطينيون يوجهون ضربات شديدة للقوات الصهيونية ويقابلها مجازر وإجرام صهيوني، ولكن هذه السنوات كانت كفيلة للقوات العربية أن تغذي الجماهير العربية والإسلامية بكم هائل من الزيف والخداع والأوهام بأنهم قادرون على إزالة الكيان الصهيوني وتصحيح مسار خارطة الوطن العربي،

ولكن الكيان المبتدئ بكينونته كان قد دمر بشكل كامل أسلحة الطيران العربية المصرية والأردنية والسورية وهي رابضة في مدرجاتها، بالإضافة إلى تدمير 80 ٪ من أعتدة الجيش المصري واستشهاد حوالي عشرة آلاف مقاتل مصري و6094 مقاتلًا أردنيًا وألف مقاتل سوري فضلًا عن الجرحى.

أما الفلسطيني الذي علق آماله على الأنظمة الفاسدة والمنتهية الصلاحية فأصبح يضيف إلى قاموسه كلمة مؤلمة تعرف بالنكسة حيث تشرد (330) ألف فلسطيني، وبدلًا من الشعار الوهمي الذي لبست ثوبه الأنظمة المتهالكة بتحرير فلسطين أصبح الآن يعرف بالمطالبة بتحرير فلسطين على خط الهدنة (1967م) الضفة والقطاع أي 23 ٪ من مساحة فلسطين التاريخية، مع إبداء الاستعداد الضمني للتنازل عن الأراضي الفلسطينية التي تم احتلالها من خلال المجازر الصهيونية وإبادة القرى عام 1948م، والتي قامت كل هذه الثورات والحروب لتحريرها.

إن الفترة المؤلمة للشعب الفلسطيني عام 1967-1970م كانت أيضًا بمثابة فترة مرحلية ذهبية للعمل الفدائي الفلسطيني حيث كانت حدود فلسطين الأردن، وفلسطين لبنان، مفتوحة للعمليات الفدائية وكانت معركة الكرامة في 21/ 03/ 1968م التي خاضها الفدائيون الفلسطينيون مساندةً للقوات المسلحة الأردنية ضد الكيان الصهيوني، وكبدوا هذا الكيان خسائر فادحة، مؤكدين مجددًا أن المقاومة هي السبيل لتحرير فلسطين، مضيفين نصرة معنوية ومادية للمقاومة الفلسطينية.

إن معركة الكرامة هي المعركة الوحيدة في تلك المرحلة التي دُحر بها الجيش الصهيوني مخلفًا وراءه عتاده وجثث جنوده، وأصبح يناجي

الـدول والأردن، لتسـليمه تلـك الجثـث. وبالطبـع هـذا النـصر الجديـد دفـع عـشرات الآلاف للتطـوع في صفـوف الفدائيـين، هـذا التطـوع أدى إلى تطـور العمـل الفدائـي مـن 12 عمليـة شـهريًا، سـنة 1967م إلى 52 عمليـة شـهريًا سـنة 1968م، وإلى 199 عملية شـهريًا سـنة 1969م، وإلى 279 عملية شـهريًا في الأشـهر الأولى مـن سـنة 1970م.

هـذا التصاعـد في العمليـات لم يكـن الشـعب الفلسـطيني يغفلـه حيـث كانـت هنـاك الاسـتمرارية بالطابـع الشـعبي المقـاوم مـن رشـق الحجـارة عـلى القـوات الصهيونيـة وقطـع للطـرق وإضرابـات بشـتى مناحـي الحيـاة، وبنفـس الوقـت يؤكـد للأمـة العربيـة والإسـلامية أن سـبب الهزيمـة هـو فسـاد الأنظمـة وليـس قـوة الكيـان ولا ضعـف الشـعوب.

إن هـذا الاسـتنتاج مـن قبـل الشـعوب دفـع الأنظمـة العربيـة (الأردنيـة، السـورية، المصريـة) إلى إغـلاق حدودهـا أمـام المقاومـة الفلسـطينية بالإضافـة إلى انـزلاق المقاومـة الفلسـطينية في مسـتنقع الحـرب الأهليـة اللبنانيـة بعدمـا اسـتطاعت ترسـيخ قواعـد لهـا هنـاك؛ ممـا أدى إلى اسـتنزاف الكثـير مـن طاقـات المقاومـة ودمـاء أبنائهـا وانعـدام سـبل مهاجمـة الكيـان بسـبب إغـلاق الحـدود.

ومـن جهـة أخـرى كان الكيـان الصهيـوني يسـتخدم أشرس الأسـاليب للانتقـام مـن المقاومـة الفلسـطينية في أماكـن تواجدهـا في الـدول العربيـة، وبالـغ وأمعـن بالانتقـام مـن المدنيـين الأبريـاء، وفي تدمـير شـتى مناحـي الحيـاة.

هـذا كلـه كان بدايـة المرحلـة المتصلبـة للـدول العربيـة مـن خـلال حـرب أكتوبـر 1973م، ففـي 6 أكتوبـر (تشريـن أول) 1973م اندلعـت الحـرب

العربيـة الصهيونيـة، حـرب أكتوبـر رمضـان، والتـي اشـتركت فيهـا سـورية ومـصر ضـد الكيـان الصهيـوني، وقـد حقـق الطرفـان العربيـان في البدايـة بعض النجاحـات حيـث تمكـن المصريـون مـن الزحـف نحـو الجنـاح الشرقـي لقنـاة السـويس والتوغـل داخـل سـيناء، كـما تمكـن السـوريون مـن التوغـل داخـل الجـولان، ولكـن مـا لبـث الصهاينـة مستفيدين مـن جسر جـوي مـن الدعـم الأمريكـي أن أخـذوا زمـام المبـادرة، فأحدثـوا اختراقًـا في الجهـة الغربيـة (قنـاة السـويس) والمعروفـة بثغـرة الدفرسـوار، كـما اسـتعادوا مـا فقـدوه في الجـولان واحتلـوا 39 قريـة سـورية جديـدة تعـرف بـ «جيـب سعسـع».

وقـد ذكـر أن موافقـة مـصر عـلى قـرار مجلـس الأمـن بوقـف الحـرب في 22 أكتوبـر (تشريـن أول) قـد فاجـأ السـوريين ممـا اضطرهـم لإيقـاف الحـرب. وبعـد ذلـك اسـتؤنفت حـرب اسـتنزاف اسـتمرت نحـو 80 يومًـا، وتوقفـت حـين تـم التوقيـع عـلى اتفاقيـة فصـل القـوات، فعقـدت مـصر اتفاقيـة فـك الاشـتباك مـع الكيـان الصهيـوني في 18/ 01/ 1974م نصـت عـلى انسـحاب القـوات الصهيونيـة مـن غـربي القنـاة إلى مسـافة تبعـد 20-30كـم، مـن شرقـي القنـاة بعمـق 8-12كـم، وفي 21/ 02/ 1974م انسـحب الكيـان الصهيـوني مـن غـربي القنـاة (ثغـرة الدفرسـوار)، وعقـدت اتفاقيـة فصـل القـوات بـين سـوريا والكيـان الصهيـوني في 13/ 05/ 1974م، وبنـاء عليهـا انسـحبت القـوات الصهيونيـة مـن جيـب سعسـع (551كـم) الـذي احتلتـه في حـرب 1973م، ومـن مدينـة القنيطـرة وبعـض مـا حولهـا والتـي احتلـت عـام 1967م وهـي (112كـم).

لقد كان لهذا التحسن النسبي في الأداء العربي وخسارة الجانب الصهيوني، وهي خسائر جسيمة في حرب أكتوبر حيث كانت نتائجها:

(1) كسر هيبة وأسطورة الجيش الذي لا يقهر.

(2) استعادة المعنويات والثقة للجيوش العربية التي أهينت في حرب 1967م.

(3) تم تصوير حرب أكتوبر (تشرين الأول) عربيًا باعتبارها نصرًا مؤزرًا.

(4) ظهور قيادتي سوريا ومصر بمظهر الأبطال.

(5) استخدام الرئيس المصري الحرب لتحريك الوضع باتجاه التسوية، واستفاد منها بحيث لا يوضع بموضوع الاتهام أو التقصير تجاه فلسطين حيث أنه بطل أكتوبر.

(6) دفعت الحرب الرئيس السادات لزيارة الكيان الصهيوني في نوفمبر (تشرين الثاني) 1977م، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد في أيلول ودخول مصر في سلام مع الكيان الصهيوني»[1] والذي بموجبه تم:

(1) وقف حالة الصراع بين مصر والكيان الصهيوني.

(2) استرجاع مصر شبه جزيرة سيناء.

وبهذه البنود تكون فلسطين قد خسرت أهم طرف فاعل في الصراع ضد الكيان الصهيوني مما أفقد الشعب الفلسطيني مجددًا الثقة بالأنظمة

(1) كاميليا بدر: «نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية»، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1985م، ط 3، ص 251.

العربية وبأي إمكانية لأي مواجهة عسكرية شاملة ضد الكيان الصهيوني، مما دفع الشعب الفلسطيني وفصائل المقاومة للاستمرارية الفردية بالمقاومة ونذكر جزءًا منها:

(1) عملية سافوي التي نفذتها حركة فتح في تل الربيع المحتلة في 06/ 03/ 1975م والتي أدت إلى مقتل نحو 100 صهيوني.

(2) عملية كمال العدوان والتي أدت إلى مقتل37 وجرح 82 صهيونيًا.

(3) اختطاف الجبهة الشعبية لعدة طائرات.

(4) الهجوم على مطار اللد وقتل31 وجرح 80 صهيونيًا في 30/ 05/ 1972م على يد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

(5) تنفيذ الجبهة الشعبية (القيادة العامة) لعملية الخالصة في 04/ 11/ 1974م مما أدى إلى مقتل 18 صهيونيًا وجرح 16 آخرين.

(6) عملية ترشيحا في 15/ 05/ 1974م والتي نفذتها الجبهة الديمقراطية وأدت إلى مقتل 27 صهيونيًا.

وهناك العديد من العمليات التي لا يتسع المجال لذكرها مفصلة مثل عملية الطائرة الشراعية، وبيسان، وطبريا، وعين زيف، والقدس.

إن تواطؤ العرب وعقدهم الاتفاقيات وضع الشعب الفلسطيني وفصائل المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية في حجر الزاوية، مما أدى إلى الإنهاك العسكري لمنظمة التحرير وإلى استضعافها سياسيًا، مما دفعها إلى اتجاه تبني الحلول السياسية منذ عام 1982م، ووافقت على حق جميع دول المنطقة العيش بسلام بما في ذلك الكيان الصهيوني.

هـذا الانحـدار دفـع الجيـش الصهيـوني في صيـف 1982م إلى اجتيـاح لبنـان بعدمـا كان قـد تلقى أشـد الضربات عـلى يد المقاومـة الفلسـطينية هناك في معركـة الشـقيف بتاريـخ 19/ 08/ 1980م حيـث تمكنـت المقاومة الفلسـطينية مـن صـد الهجـوم الصهيـوني والـذي يعـد 15 ضعفًـا للمقاومـة، والـذي أجـبر عـلى الانسـحاب.

وفي الفـترة 24/ 07/ 1981م-10/ 07/ 1981م قامـت الطائـرات والمدافـع الصهيونيـة بقصـف وحـشي متواصـل للمـدن والقـرى وقواعـد الفدائيـين في النبطيـة، شـملت 46 قريـة ومدينـة، فاستشـهد 150 وجـرح 600 آخريـن، وقـد ردت المقاومـة الفلسـطينية بقصـف مدفعـي وصاروخـي عـلى نحـو 30 قاعـدة عسـكرية ومسـتوطنة وبلـدة محتلـة، ليكـون الاجتيـاح الأعنـف للجيـش الصهيـوني للجيـش الصهيـوني للبنـان في صيـف 1982م، وقـد تمكـن الجيـش الصهيـوني مـن اجتيـاح الجنـوب، ولكنـه توقـف عنـد أسـوار بـيروت 80 يومًـا نتيجـة المقاومـة الفلسـطينية وحلفاؤهـا العنيفـة، وبـدأ الاجتيـاح في 04/ 06/ 1982م، واشـترك فيـه 150 ألـف جنـدي مـن أصـل 170 ألـف جنـدي مـن قـوام الجيـش الصهيـوني العامـل، تسـاندهم 1600 دبابـة، وفي يـوم 9 يونيـو (حزيـران) كانـت القـوات قـد وصلـت إلى مشـارف بـيروت حيـث اسـتمرت معركـة بـيروت 65 يومًـا، واضطـر الكيـان الصهيـوني للموافقـة عـلى وقـف إطـلاق النـار بعـد أن فشـل في احتـلال بـيروت الغربيـة وكانـت قـد حققـت أهدافهـا بشـكل عـام، وهـي:

(1) خـروج المقاومـة الفلسـطينية وقيـادة م.ت.ف مـن لبنـان، وانتهـى هـذا الانسـحاب في 31/ 08/ 1982م وتوجـه المقاتلـون الفلسـطينيون مـع

عائلاتهم والذين قدّر عددهم بحوالي 12 ألفًا إلى قبرص ومنها إلى السودان والجزائر واليمن»[1].

(2) نقض القوات الصهيونية تعهداتها، فقد اقتحمت بيروت الغربية بعد أسبوعين من خروج المقاومة الفلسطينية، وأشرفت بنفسها على تنفيذ القوات الانعزالية المسيحية المتعصبة لمذبحة صبرا وشاتيلا في 16/ 09/ 1982م والتي أدت إلى استشهاد نحو 3500 فلسطيني ولبناني من المدنيين[2].

(3) استشهاد وجرح نحو 55 ألف فلسطيني ولبناني.

(4) إثبات شجاعة وكفاءة المقاتل الفلسطيني.

(5) فشل الصهاينة في سحق الفدائيين وقيادتهم.

(6) تراجع وانخفاض العمل الفدائي حيث إن الخطر الحقيقي كان يأتي على الكيان الصهيوني من دول الطوق.

هل تعد حرب 1982م انتصارًا حقيقيًا؟

إن حرب 1982م تعد انتصارًا سياسيًا وعسكريًا لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث المقارنة بالعدد المقاتل، والعتاد العسكري، وحجم الهجمة، وقوة العدو، واشتراك القوات الفلسطينية اللبنانية، وصمود المقاومة 88 يومًا[3].

(1) أسعد عبد الرحمن: «منظمة التحرير الفلسطينية، جذورها، تأسيسها، مساراتها»، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت 1987م، ص 370، 371.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق، ص 372.

ملخص الفصل الرابع

عالج هذا الفصل كيفية شروع اليهود بتأسيس مستعمراتهم ومراكزهم الخاصة منذ نهاية القرن التاسع عشر، وكيفية التسلل إلى فلسطين، وما الذي شكله المؤتمر الخامس الصهيوني في مدينة بال السويسرية في القرارات الصهيونية، وكيفية إدراك الفلسطينيون للخطر الصهيوني وخوضهم المعارك ضد الصهاينة بشجاعة.

وكذلك ذكرنا كيف عملت الحركة الصهيونية وفق خطط مدروسة وواضحة المعالم، ومحاولات فرض الصهيونية على عرب فلسطين؛ الأمر الذي أدى إلى كشف وجه بريطانيا الحقيقي كما كشفت طبيعة وسائل الحركة الصهيونية في فرض أهدافها العدوانية مما أدى إلى اندلاع ثورة العشرين.

وتدرجنا ببعض العمليات الفدائية الفلسطينية حتى وصلنا إلى انتفاضة 1929م، وبروز أسماء الشهداء الثلاثة الذين أعدمتهم بريطانيا (عطا الزير، محمد جمجوم، فؤاد حجازي)، وما هي الأهمية البالغة لهذه الانتفاضة.

وفي مركزية فلسطين الدينية الإسلامية بيّنا أنها بوركت في القرآن الكريم 5 مرات، وقدّست مرة واحدة، وكيفية دُعي القسام والثائر لهذه البركة ولهذه القداسة وأثبت للقاصي والداني أن فلسطين أرض اختيار

ربـاني واختبـار للمجاهديـن فيهـا، وذلـك مـن خـلال إقـدام القسـام عـلى الوقـوف والتدريـب، والجهـاد في فلسـطين، حتـى توالـت الأحـداث لثورتـه عـام 1935م واستشـهاده في أحـراش يعبـد قـرب جنـين.

إن ثـورة القسـام جعلـت الزعـماء السياسـيين خلـف الشـعب وأصبـح القسـام أيقونـة الجهـاد والمقاومـة حتـى اتسـعت الثـورة ليكـون القسـام قـدوة للمفكريـن الإسـلاميين الثائريـن كأمثـال الشـهيد الدكتـور فتحـي الشـقاقي مؤسـس حركـة الجهـاد الإسـلامي في فلسـطين؛ الأمـر الـذي أدى إلى امتـداد الـصراع ليخـرج عـن خارطـة فلسـطين عندمـا بـدأت الحركـة الصهيونية بإنشـاء كيانهـا كدولـة وانسـحاب بريطانيـا مـن فلسـطين.

وعالـج الفصـل الرابـع أهـم النتائـج السياسـية والاجتماعيـة لنكبـة 1948م والتـي كانـت حربًـا طاحنـة أدت إلى تشريـد الشـعب الفلسـطيني في مختلـف دول العـالم قسرًا، وكان الرفـض القاطـع لإذابـة الشـعب الفلسـطيني وتوطينـه في هـذه الـدول، فـكان تشـكيل الخـط الأخـضر بالقلـم الأمريكـي لتحديـد حـدود فلسـطين الجديـدة الضفـة الغربيـة وقطاع غـزة، وتـآكل الأنظمة العربيـة أمـام الكيـان الناشـئ ليشـكل انحسـارًا للثـورة التـي اتسـعت حتـى تـم تأسـيس منظمـة التحريـر الفلسـطينية وإعـادة روح المقاومـة في سـنة 1964م، ولكـن هـذه المقاومـة مـا لبثـت حتـى كان الوهـم العـربي بتحريـر فلسـطين يتبـدد قبـل بدئـه حـين قصـف الكيـان الصهيـوني عـدة وعتـاد العـرب قبـل إخراجـه مـن قواعـده عـام 1967م.

في الوقت نفسه تعرفنا على كيفية سيطرة الكيان الصهيوني على كامل فلسطين، وكيف استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية أن تعيد روح المقاومة رغم قلة الإمكانيات، وتلقيها مزيدًا من الضربات في الوقت نفسه.

واشتمل هذا الفصل أيضًا على حرب يونيو (حزيران) 1973م بين الكيان الصهيوني والعرب _سوريا ومصر_، وكيف استطاعوا أن يهزّوا هيبة الكيان والذي اتبعها العدو بشن عدوان ساحق على المقاومة الفلسطينية في لبنان عام 1982م بعد انزلاقها في الحرب الأهلية، وبرغم ذلك شكلت المقاومة الفلسطينية صمودًا أسطوريًا في صد العدوان الذي استمر 88 يومًا، وهذا الصمود نتج عنه تشتيت نحو 12 ألف فلسطيني وهم فصائل منظمة التحرير وعائلاتهم وإخراجهم من لبنان، وهذا الشتات أتى على لبنان والفلسطينيين بمجزرة صبرا وشتيلا بعد تدمير ما تبقى من البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية.

ركز الفصل الرابع على ذكر بعض الحروب والمعارك العربية الصهيونية مثبتًا صحة الفرضية الخامسة من فرضيات الدراسة، وهي بالإمكان تركيز الطاقات وحشدها وإعدادها للقضاء على الصهاينة، وذلك من خلال تفحصنا لكيفية انهزام الصهاينة أمام ضربات المقاومة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية وإن تم حشدها وإعدادها كما حصل في حرب 1973م ومعركة الكرامة، والضربات الفدائية من بيروت؛ بالإمكان إزالة الصهاينة عن أرض فلسطين.

الفصل الخامس

التحول التدريجي نحو الانتصار

لقد تناولنا فيما سبق ثورة الشيخ عز الدين القسام، القسام الذي كان يصدح بالجهاد وينشر الدعوة الإسلامية، فأحدث تاريخًا فارقًا في القضية الفلسطينية، وفيما بعد كان هناك عدة ثورات، ولكن الطابع الإسلامي كان مغيبًا عنها بصفة عامة. ثورات ومعارك عديدة خاضها الشعب الفلسطيني رغم غياب الطابع الإسلامي، وذلك دفع الفدائيين للبحث عن بدائل، فكان الانتماء للأحزاب والحركات الشيوعية والعلمانية، وطبع في نفوس الكثيرين الطابع القومي الناصري الذي طغى على عموم العقول العربية بعدما روّج نفسه بأنه القوة القادرة على إزالة الصهاينة وتحرير فلسطين قبيل حرب 1967م، وبعد الهزيمة الساحقة التي تلقاها العرب كان هناك تساؤلات لابد من طرحها، مثل: لماذا هزمنا؟ أين دور الإسلام المقاوم؟

خرج العديد من المفكرين بهذه التساؤلات، وكان الدكتور فتحي الشقاقي أحد هؤلاء ليصعد فيما بعد من العمل الثوري الإسلامي الذي أعقب حرب 1973 «وظهر جليًا في بداية الثمانينات ليكون هذا العام عام الإسلام الجهادي في فلسطين في الوقت الذي كان فيه العمل الوطني الفلسطيني يدخل عنق الزجاجة ويعاني من إحباطات متعددة حيث تبنت

حركة الجهاد الإسلامي العديد من العمليات العسكرية مثل عملية باب المغاربة (نفذتها سرايا الجهاد الإسلامي، مجموعات من الجهاد الإسلامي بمشاركة مجموعات من فتح)، وعملية قتل الكولونيل الصهيوني رون طال (قائد الشرطة العسكرية في قطاع غزة) في 02/ 08/ 1987م»[1].

كان 18/ 05/ 1987م هو التاريخ الذي أحدث الفارق التاريخي للعمل الإسلامي من جديد على الساحة الفلسطينية حيث استطاع ستة فلسطينيين[2] من أبناء الجهاد الإسلامي الهروب من أشد السجون الصهيونية تحصنًا في فلسطين المحتلة، وهو سجن غزة المركزي، والذين باشروا عملياتهم ضد الصهاينة»[3]، لقد قام أعضاء الجهاد الإسلامي بقتل مستوطن صهيوني في الميدان الرئيسي بغزة يدعى شلومو سيكل من بات يام»[4].

كانت خيبة الأمل الفلسطينية في الواقع العربي الرسمي تلك الأيام تأخذ مداها، وكان الإسلام يرتفع عنوانًا للمرحلة ويتجذر عميقًا في وجدان الشعب ويعود ليقود مسيرة الجهاد من جديد»[5].

وجاءت حادثة دهس العمال لتزيد الاحتجاجات الشعبية، فأشعلت الانتفاضة في مطلع ديسمبر (كانون أول) 1987م ثورة شعبية تحركت بفعل

(1) رفعت سيد أحمد: «الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، رحلة الدم الذي هزم السيف»، مركز يافا للدراسات، القاهرة، ج1، ص62.

(2) الفارون ستة هم: مصباح الصوري، محمد سعيد الجمل، خالد صالح، سامي الشيخ خليل، صالح شتيوي، عماد الصفطاوي.

(3) زئيف شيف وأيهود يعاري: «انتفاضة»، ترجمة دار الجليل للنشر والأبحاث، عمان، 1991م، ص 50.

(4) زياد أبو عمرو: «الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة»، دار الأسوار، عكا، 1989م، ص 142.

(5) رفعت سيد أحمد: «الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، رحلة الدم الذي هزم السيف»، مركز يافا للدراسات، القاهرة، ج1، ص351.

حوافز وتوترات اجتماعية واقتصادية وسياسية حتى أفضت انتفاضة كبرى في 08/ 12/ 1987م.

«ومنذ المراحل الأولى برز دور القائد لحركة الجهاد الإسلامي، فعملت العناصر العاملة لها والتي تميزت بنشاط نضالي كبير على تأجيج التفجير الجماهيري في غزة»[1]، وأصدرت البيانات التي أملت على السكان طابع حياتهم اليومي، وعمليًا فإن الجهاد كانت المبادر الأول لإصدار أول بيان للانتفاضة في الحادي عشر من ديسمبر (كانون أول) أي بعد ثلاثة أيام من حادثة المقطورة، ودعت فيه الفلسطينيين إلى الإضراب العام يوم 12/ 12/ 1987م تضامنًا مع أسر الشهداء الأربعة والشهيدين اللذين ارتقيا خلال يومين، وكان هذا هو الإضراب العام الأول في مسيرة الانتفاضة الذي شلّ الحركة في جميع أنحاء الضفة والقطاع وكان الالتزام به تامًا.

وفي 14/ 12/ 1987م أعلن عن انطلاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ومرّ عام الانتفاضة ولم تتراجع خلالها الانتفاضة أو تضعف حتى أصبح عام 1988، هو عام الانتفاضة الأول، وهو العام الفاصل في تاريخ القضية الفلسطينية منذ النكبة وهو العام المنعطف في حياة الشعب الفلسطيني، فبعد (40 عامًا) على النكبة ولجوء الشعب وتشريده، وبعد نضال سياسي وفدائي وعسكري قام به الفلسطينيون من خارج الأراضي المحتلة لاسترداد حقوقهم الوطنية، ودون التوصل الفعلي إلى أي منها، جاءت الانتفاضة تعلن الرد الممكن والوحيد على مأساة الشعب المتمثلة

(1) إياد البرغوثي: «الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية»، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، 2003م، ص 65.

بحرمانه حقوقه في السيادة على أرضه واستقلاله، فكانت هذه المرة انتفاضة شعبية، على أرض فلسطين نفسها وجهًا لوجه أمام المحتل»[1].

بماذا تميزت الانتفاضة المباركة عام 1987م انتفاضة الحجارة؟

(1) هي الانتفاضة الأولى التي تمتد من غزة إلى الضفة والقدس والداخل حيث خرجت المظاهرات من جباليا ممتدة إلى أرجاء الوطن، وفيما سبق كانت الانتفاضات تمتد من الضفة أو القدس والداخل إلى غزة.

(2) إن أهل الداخل المحتل والضفة والقطاع أخذوا زمام المبادرة النضالية الجهادية بعد أن كانت بيد العمل من الخارج.

(3) إن التيار الإسلامي شارك بقوة وعنف وفاعلية وبرز على ساحة المواجهة بحجم منظم مؤثر.

(4) غلب على هذه الانتفاضة الطابع الشعبي حيث شملت كافة قطاعات الشعب الفلسطيني واتجاهاته السياسية وفئاته العمرية.

(5) اتسمت الانتفاضة بالجرأة والتضحية والمشاركة الواسعة للأطفال والفتيان والنساء، وبالمظاهر النبيلة من إيثار وتعاون وشهامة.

(6) كان هناك مظاهر جديدة مثل الملثمين والكتابة على الجدران، والبيانات السياسية الإسلامية.

وتميزت المرحلة الأولى من الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة، والإضرابات والمظاهرات ومقاطعة الإدارة المدنية الصهيونية، وتنظيف المجتمع من مروجي المخدرات والمفسدين.

(1) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني، بيروت، 1990م، ص993.

«لقد كتب الكثير عن الانتفاضة الفلسطينية من حيث أسبابها وقياداتها وعن تأثيرها في المجتمع الفلسطيني وفي الكيان الصهيوني والرأي العام العربي والعالمي، ولكن المؤكد أن حركة الجهاد الإسلامي أسهمت بقدر كبير في إشعال الانتفاضة بفعل عملياتها العسكرية، وفعالياتها الجماهيرية، ورغم ذلك تؤكد بأن الانتفاضة أكبر من كل الهيئات والأحزاب والتنظيمات والفصائل، وهي أيضًا لم تحدد ساعة الصفر في انطلاقها؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يحدد ساعة انطلاقة المعجزة»[1].

وكان للانتفاضة الفلسطينية الكبرى نتائج سياسية جدًا هامة على المستوى العربي والدولي ومنها:

(1) «ما يتعلق بمنظمة التحرير حيث قالت الاستخبارات الصهيونية أن منظمة التحرير لم تبتذر أحداث المنطقة، بل بالعكس فقد قفزت على عجلتها»[2].

(2) «بروز الفصائل الإسلامية بأعمال عسكرية (حماس والجهاد الإسلامي)؛ فلقد كانت حركة الجهاد الإسلامي تحمل توجهات سياسية مختلفة تدعو إلى تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، ولم يكن لها أن توقع على بيانات تدعو إلى مؤتمر دولي أو تفاوض مع العدو، أو إقامة دولة فلسطينية فوق جزء من فلسطين»[3].

(1) رفعت سيد أحمد: «الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، رحلة الدم الذي هزم السيف»، مركز يافا للدراسات، القاهرة، ج1، ص 63.

(2) زئيف شيف وأيهود يعاري: «انتفاضة»، ترجمة دار الجليل للنشر والأبحاث، عمان، 1991م، ص 12.

(3) منشورات حركة الجهاد الإسلامي: «مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين»، بيت المقدس للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م، ص 25.

(3) أما حماس فقد عرفت نفسها في بيانها الأول في 14/ 12/ 1987م بأنها جناح للإخوان المسلمين وامتداد لهم، وهدفت انطلاقتها إلى تحرير فلسطين.

(4) «تحملت حركة الجهاد الإسلامي مع الجماهير عبء التصدي للاحتلال خلال الأسابيع الأولى من الانتفاضة حتى نهضت بقية القوى الإسلامية والوطنية لتشمل الانتفاضة كافة القوى والفئات والطبقات ولم تكن مشاركة حركة الجهاد الإسلامي على حساب العمل على صعيد التحرك السياسي والتعبئة الجماهيرية أو الجهاد المسلح الذي استمر رغم كل الدعوات لوقفه ضد العدو»[1]. وقد بلغ عدد العمليات التي قامت بها الحركة منذ عام 1989م حتى عام 1993م 199 عملية أخذت الطابع الاقتحامي العسكري الاستشهادي إلى جانب العمليات التقليدية كالطعن وإطلاق النار وتفجير العبوات الناسفة، أما حركة حماس فقد نفذت حتى عام 1993م ما مجموعه 138 عملية حسب دراسة أجراها غسان دوعر.

إطفاء جذوة الانتفاضة، الاستعجال بقطف ثمارها

بعدما عادت الثورة للاتساع من جديد وكاد الاحتلال يجن جنونه من عدم استطاعته السيطرة على الصخرة التي دحرجتها حركة الجهاد الإسلامي وتلقفها كافة الشعب الفلسطيني بكل أطيافه، فكان تارة يهرب محتميًا بستار الاتفاقيات الدولية والعربية، وتارة لا يأبه للإنسانية فيمعن

(1) رفعت سيد أحمد: «الأعمال الكاملة للدكتور فتحي الشقاقي، رحلة الدم الذي هزم السيف»، مركز يافا للدراسات، القاهرة، ج1، ص 352.

في القتل والدمار واستحداث أساليب القتل، كالسياسة التي ابتكرها رئيس وزراء الاحتلال آن ذاك إسحاق رابين وهي سياسة تكسير العظام حيث كان الجيش يلقى القبض على الفلسطيني ويبدأ بتكسير عظامه جزءًا جزءًا.

وكذلك سياسة استغلال الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتي كانت مرتبطة بالإدارة المدنية الصهيونية، ليبرز من جديد نجم منظمة التحرير الفلسطينية صاحبة الكفاح المسلح الذي أذل الكيان في لبنان وسوريا والأردن، ولكن هذه المرة سطع نجمها بمبادرة سياسية لا يوجد فيها سلاح بل قائم على تجريد الفلسطيني من سلاح المقاومة حيث عقدت لقاءات تفاوضية مع الاحتلال، ولم يكن آخرها «مؤتمر مدريد في 03/ 11/ 1991م وسبع جولات أخرى في واشنطن في العام 1992م تعثرت، ولم تسفر سوى عن تهديد المفاوض الفلسطيني بالانسحاب»[1].

لقد عانت منظمة التحرير الفلسطينية من استضعاف سياسي إثر المحاولات المتوالية لاجتثاثها عسكريًا، ووصلت حالة تهميشها مدى كبيرًا في مؤتمر القمة العربية في عمان في أكتوبر (تشرين الأول) 1987م، وعندما اندلعت الانتفاضة المباركة عدتها منظمة التحرير الفلسطينية رافعة سياسية لها، فحاولت استثمارها بشكل مبكر، فقامت بتشكيل القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة بعد شهر من اندلاعها، وشاركت الفصائل الفلسطينية وخصوصًا فتح بفاعلية في الانتفاضة، ورد الكيان الصهيوني باغتيال للقائد الوطني الكبير ذي الطابع العسكري المؤلم للصهاينة ومخطط

(1) ممدوح نوفل: «الانقلاب، أسرار مفاوضات المسار الفلسطيني الإسرائيلي، مدريد- واشنطن»، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1996م، ص 131.

ومنفذ العديد من العمليات النوعية؛ خليل الوزير (أبو جهاد)، في تونس بتاريخ 16/ 04/ 1988م، وأبو جهاد هو الرجل الثاني في منظمة التحرير وحركة فتح، وجاء هذا الانتقام الصهيوني من فتح لاعتقاده أن أبو جهاد هو صاحب العمليات التي هزّت كيانه، وضمن حملته، الشرسة لقمع الانتفاضة، وقد استغلت منظمة التحرير الفلسطينية من قيام الأردن بفك روابطه الإدارية والقانونية مع الضفة الغربية في 31/ 07/ 1988م لتؤكد تمثيلها الرسمي الوحيد لأهل الضفة الغربية، ولتخوض ما أسمته السلام الفلسطيني وفي المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر عام 1988م الذي يتبع منظمة التحرير الفلسطينية تم وضع برنامج فلسطيني قائم على الاعتراف بقرار تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية وهو قرار 181، الصادر سنة 1974م، واعترفت المنظمة أيضًا لأول مرة بقرار 242 الصادر عن مجلس الأمن في نوفمبر (تشرين الثاني) 1967م، ودعت إلى تسوية سياسية من خلال مؤتمر دولي.

النرويج وعاصمتها أوسلو، الحصاد المر

بالتوازي مع مفاوضات واشنطن كانت الأروقة والممرات تعجّ بالمفاوضات السرية تارة والعلنية تارة أخرى ما بين منظمة التحرير الفلسطينية والصهاينة، وفي 20/ 01/ م1993 تم عقد الاجتماع الأول بين الصهاينة وعفيف صافية ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في مدينة ساريسبورغ التي تبعد مائة كيلو عن مدينة أوسلو، وحضر هذا اللقاء السري أحمد قريع وحسن عصفور وماهر الكرد، وكذلك حضر يائير

هيرتشلفيد ورون بندك، واقترح الجانب الفلسطيني أن يتم الدخول في مناقشة القرار 242 مباشرة (السلطة الانتقالية).[1]

وقدّم المفاوض الفلسطيني في الاجتماع الأول المبادئ التالية: (كما يذكرها محمود عباس[2]).

(1) إجراء مفاوضات مباشرة مع «إسرائيل» للوصول إلى سلام شامل وعادل ودائم وفقًا لقرارات مجلس الأمن 242 و338.

(2) نطاق السلطة الانتقالية الفلسطينية يشمل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م، ويتم الاتفاق على بحث الاستثناءات الإدارية خلال المفاوضات على ألا تخل هذه الاستثناءات بولاية القرار 242 و338 ومبادئ القانون الدولي.

(3) تمارس السلطة الانتقالية الفلسطينية كافة السلطات التي يتفق على نقلها إليها.

(4) يتم اختيار السلطة الانتقالية بالانتخاب العام والحر المباشر من قبل جميع الفلسطينيين في الضفة الغربية، بما فيها القدس وقطاع غزة.

(4) تتولى جهات دولية يتفق عليها مراقبة عملية الانتخابات ونقل السلطة.

(5) تنشأ لجنة ثنائية لبحث القضايا المشتركة ولفض المنازعات.

(1) ممدوح نوفل: «الانقلاب، أسرار مفاوضات المسار الفلسطيني الإسرائيلي، مدريد- واشنطن»، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1996م، ص 52-53.

(2) محمود عباس: «طريق أوسلو، موقع الاتفاق يروي الأسرار الحقيقية للمفاوضات»، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1994م، ص 184-185.

(6) تتشكل لجنة تحكيمية تحال إليها كافة الأمور المختلف عليها من لجنة فض المنازعات في حال تعذر الوصول إلى حل لها؛ تتألف من راعيي المؤتمر.

(7) إن قضايا الأمن في مفهومها الاستراتيجي المستقبلي بما تعنيه من تجسيد لأفكار التعايش السلمي في المنطقة تتطلب دراسة منطلقة من توفر النوايا الحسنة لدى كافة الأطراف، والرغبة الصادقة في البحث عن المصالح المشتركة، بما يعطي الأمن مفهومًا إيجابيًا يجعل الجميع حريصًا عليه.

(8) يبدأ الطرفان ببحث المرحلة النهائية بعد سنتين من تطبيق المرحلة الانتقالية أو حسب الاتفاق أيهما أقرب، وفي كل الأحوال تبدأ المرحلة النهائية في موعد لا يتعدى بداية السنة الثالثة من هذه المرحلة.

(9) ودون الإجحاف بالمرحلة النهائية يتم بشكل غير رسمي إمكانية إنشاء اتحاد كونفدرالي للبحث في أفضل السبل والوسائل المناسبة لاستقرار المنطقة وإشاعة السلام.

وقد تم التوقيع على اتفاق إعلان المبادئ رسميًا في واشنطن يوم 13/ 09/ 1993م في حديقة البيت الأبيض وبحضور ياسر عرفات وإسحاق رابين، «وقد أثار الإعلان عاصفة قوية من ردود الأفعال على الصعيد فلسطيني والعربي والدولي»[1].

رأي المعارضين لاتفاق أوسلو:

(1) إن جوهر اتفاق غزة أريحا هو القبول بحل مجزأ قائم على

(1) طلال أبو عفيفة: «الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية 1897-1997»، غزة، 1998م، ص 567.

الحكم الذاتي في غزة وأريحا مقابل التنازل الفعلي والكامل عن مجمل الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

(2) إن الحكم الذاتي هو خيار صهيوني طرحه ميناحيم بيغين في إطار مفاوضات كامب ديفيد باعتباره الحل الأنسب للاستراتيجية الصهيونية التي ترفض ضم الشعب الفلسطيني؛ لأن ذلك ينهي أسطورة الدولة العبرية النقية.

(3) اتفاق غزة أريحا أولًا بالشروط المرتبطة به يجعل الحكم الذاتي وضعًا نهائيًا يصفي القضية الفلسطينية، ويسقط حق شعبنا في تقرير مصيره واستقلال وطنه.

(4) إن الاتفاق يفتح آفاق عصر جديد أمام الحركة الصهيونية، وهو بداية انطلاق مشروع العدو الصهيونية الكبير الذي يهيمن اقتصاديًا وتكنولوجيًا ويتفوق عسكريًا على المنطقة العربية.

(5) إن الاتفاق يسقط الحق الطبيعي والمشروع للشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال، ويفكك الثورة وأدواتها ويوقف الانتفاضة.

(6) إن الاتفاق يحول قضيتنا إلى قضية أهلية قومية تمارس الحكم الذاتي في هيمنة السلطة المركزية الصهيونية[1].

العرب المعارضون لاتفاق أوسلو:

جاءت ردود الفعل العربية بحجم الصدمة، فبعض العرب أصيبوا

(1) طلال أبو عفيفة: «الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية 1897-1997»، غزة، 1998م، ص 568.

بالذهـول والآخـر لم يصـدق، والـردود جـاءت قبـل معرفـة تفاصيـل الاتفـاق وبسرعـة، وتراوحـت بـين اتهـام القيـادة الفلسـطينية بالخيانـة الوطنيـة والقوميـة وتحليـل قتلهـا.

حركة الجهاد الإسلامي واتفاق أوسلو:

حركـة الجهـاد الإسـلامي التـي دحرجـت صخـرة الانتفاضـة عارضـت اتفـاق أوسـلو ورفضتـه بشـده منـذ اللحظـة الأولى، فكانـت معارضتهـا تعـبّر عنهـا بالجهـاد ضـد الصهاينـة حيـث ليلـة إعـلان الاتفـاق 13/ 09/ 1993م قـام ابنهـا الشـهيد المجاهـد عـلاء الكحلـوت بعمليـة داخـل الخـط الأخـضر، ولكـن القنابـل لم تنفجـر فقـام بقتـل السـائق بسـكين.

وفي 05/ 10/ 1993م قـام ابنهـا الشـهيد المجاهـد معـين البرعـي بالاشـتباك مـع جنـود الاحتـلال عـلى أرض دمـرة المهجـرة في العـام 1948م، وبعدهـا المجاهـد أنـور عزيـز في 02/ 08/ 1993م صـدم سـيارة الإدارة والشرطـة بباص وقتـل قائـد الإدارة المدنيـة وأصـاب 6 مـن بينهـم قائـد الشرطة العسـكرية بغـزة، واستشـهد المجاهـد أنـور عزيـز في عمليـة استشـهادية أخـرى في 13/ 12/ 1993م، وتوالـت سلسـلة عملياتهـا فاستشـهد معمـر المبيـض وعـماد كلاب.

وكذلـك كان هنـاك قتـل جنديـين عـلى إيـرز في 20/ 05/ 1994م، وعملية الاستشـهادي هشـام حمد عـلى دراجة هوائية بتاريـخ 11/ 11/ 1994م وجـاءت ردًا عـلى اغتيـال الشـاباك للشـهيد القائـد هـاني عابـد في خانيونـس منفـذًا عمليـة الثـأر التـي أدت لمقتـل ثلاثـة ضبـاط وإصابـة آخريـن في نتساريم.

وفي 22/ 01/ 1995م قام الاستشهاديان صلاح شاكر وأنور سكر بتنفيذ عملية استشهادية في بيت ليد، وقتل في العملية 22 جنديًا صهيونيًا وأصيب 66 جميعهم من الجنود، وفي 09/ 04/ 1995م قام الاستشهادي خالد الخطيب بتنفيذ عملية في كفار داروم، وقتل 8 جنود وأصاب 30، وفي أعقابها اتخذ رئيس وزراء الاحتلال قرارًا باغتيال الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي، فكان اغتياله في 26/ 10/ 1995م في جزيرة مالطا[1].

حركة حماس واتفاقية أوسلو:

أولًا: لقد قالت حركة حماس أن من ضمن مبادئها معارضة الحلول التصفوية للقضية الفلسطينية، القائمة على شرعنة الوجود الصهيوني على أرض فلسطين؛ فقد جاءت أوسلو وأكدت هذه الحقيقة، وأن منظمة التحرير الفلسطينية أكدت شرعية الكيان الصهيوني على أرض فلسطين وهذا ما تعارضه حماس.

ثانيًا: تدرك حماس أن هذه المشاريع التي قبلها قادة منظمة التحرير الفلسطينية ومرّروها مدعوة إقليميًا ودوليًا، وأن التخلص منها يحتاج إلى جهد كبير ويبدأ بتوحد المعارضة، وهذا ما فعلته حماس والفصائل المناهضة لأوسلو.

ثالثًا: تدرك حماس أن أهداف أوسلو بعد الحصول على شرعية الكيان هو تحقيق الهدف الرامي لتنامي الصهيونية، وأن يكون هناك اقتتال فلسطيني

(1) أنور أبو طه: «حركة الجهاد الإسلامي نشأة ومنهجًا»، الدائرة الثقافية لحركة الجهاد الإسلامي، 2001م، ص10-11.

فلسطيني، وهذا ما تتفق عليه الفصائل العشر المناهضة لأوسلو وتوقفت عنده، فكانت تدعو لمعارضة سلمية، وإن كان هناك حاجة لإسقاط أوسلو فهي من خلال الاشتباك بكافة الوسائل مع الصهاينة، وأما الموقف من السلطة فهو المعارضة السلمية والحوار، وتصليب المعارضة، ومحاولة حشد كتلة بشرية من الفلسطينيين تعارض هذا الاتفاق الذي هو ضد الفلسطينيين.

رابعًا: رفضت حماس المشاركة في إفرازات أوسلو من خلال المؤسسات السياسية والأمنية، وحافظت على وجودها الطبيعي في الوزارات المدنية التي تعنى بخدمة الشعب الفلسطيني، وهذا يؤكد أن موقف حماس كان عقلانيًا ويفصل بين الموقف السياسي من أوسلو وخدمة الشعب الفلسطيني.

وخلال وجود مفاوضات واشنطن حدثت المجزرة في الحرم الإبراهيمي في 25/ 02/ 1994م فردت حماس بعملياتها التي أدت إلى مقتل 39 صهيونيًا[1]، وكذلك ردها على اغتيال قائدها يحيى عياش بعدة عمليات أسفرت عن مقتل 45 صهيونيًا.

لماذا رفضت الحركات الإسلامية في فلسطين اتفاق أوسلو؟

(1) إن اتفاق أوسلو قائم على الاعتراف بالكيان الصهيوني وحقه بالوجود بأمن وسلام على أرض المسلمين المقدسة، ومهما كان المسلم ضعيفًا فلا يجوز له التفريط في أرض الإسلام، وعليه أن يحشد قواه ويشحذ هممه لاستعادة حقه المغتصب[2].

(1) لقاء مع القيادي والناطق السابق بلسان حماس عندما التقيته في سجن النقب الصحراوي، عدنان عصفور (أبو صايل) صيف 2021م.

(2) د. إبراهيم المقادمة: «اتفاق غزة أريحا، رؤية إسلامية»، غزة، 1994، ص 104–105.

(2) إن اتفاق أوسلو يجعل المسلمين في فلسطين تحت رحمة اليهود حيث يكونون مجردين من السلاح تحت حماية الدولة اليهودية، وهذا الأمر يخالف أبسط بديهيات[1] الإسلام حيث قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، ويقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، ويقول صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه».

(3) إن اتفاق أوسلو يضع مصير القدس ومسرى الرسول وأولى القبلتين وثالث الحرمين في مهب الرياح[2].

(4) يقوم الاتفاق على تعطيل الجهاد في سبيل الله وحرمان المسلمين من حقهم في استرداد حقهم السليب.

وكما تناولنا في الفصل الأول أن الهدنة لا تكون دائمة بين الكفار والمسلمين، فإذا كانت ضرورية لهذه الهدنة فتكون مؤقتة وضمن زمن محدد، حتى يتم التزود بالوسائل لتمكين المسلمين، وإن الجهاد لا يملك أحد من الناس تعطيله[3]، يقول تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، ويقول صلى الله عليه وسلم: «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر».

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق، ص105.
(3) المصدر السابق، ص105.

(5) إن الإسلام يحرّم تطبيع العلاقات مع الأعداء غاصبي الأرض، وقاتلي المسلمين، واتفاق أوسلو كله مبني على التعاون مع اليهود[1]، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9].

إن الفلسطينيين ليسوا ضد سلام اليهود وأمنهم، ولكن هذا السلام والأمن يجب أن يكون في بلادهم، وليس على حساب احتلال وتهجير الشعب الفلسطيني، فإن زال احتلالهم عن فلسطين وعاش الفلسطينيين في عزة وكرامة في وطنهم !!!! الفلسطينيين في عزة وكرامة في وطنهم !!!! الفلسطينيين في الفلسطينيون في عزة وكرامة في وطنهم فلن يكون هناك ملاحقة لليهود، يقول تعالى:)﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]، وإذا كان الأمن اليهودي على أرض فلسطين كالذي حصلوا عليه في أوسلو يعني أنه قائم على حساب الدماء والعذابات الفلسطينية بخاصة أن اليهود هم أصحاب الغدر ونقض العهود، وهذا سيتوضح لنا خلال بحثنا فيما بعد أوسلو.

لقد شكل أوسلو محطة مفصلية في تاريخ الصراع العربي الصهيوني حاول الكيان الصهيوني استثمارها إلى أقصى الحدود لأجل بناء «إسرائيل» العظمى؛ الصيغة المعدلة لمشروع «إسرائيل» الكبرى، حيث يتواصل فرض الهيمنة الاقتصادية والسياسية والأمنية على الوطن العربي[2].

(1) المصدر السابق، ص106.

(2) عبد الله الحسن: «مخططات الترانسفير، من اتفاقيات أوسلو إلى انتفاضة الأقصى»، دراسات باحث، بيروت، السنة الأولى، 2003م، ص 145.

وبرغم الاتفاقيات الساعية لكبح قوى المقاومة، بقيت المقاومة الفلسطينية تتجه نحو الانتصار حيث خاضت ونفذت العديد من العمليات التي هزت الكيان الصهيوني.

إلام أدى اتفاق أوسلو؟

إن النتائج التي أنتجها اتفاق غزة أريحا يمكن ذكر بعضها:

إن اتفاق أوسلو أدى إلى تدهور الأوضاع الفلسطينية بشكل شامل حيث:

(1) على المستوى الدولي:

تراجعت على نحو خطير مكانة القضية الفلسطينية في صدارة المجتمع الدولي في ظل إشاعة زائفة حول السلام[1].

(2) على المستوى العربي:

أدى الاتفاق إلى تدمير الترابط والتنسيق بين المسارات العربية المعنية بالحل، وكانت اتفاقية وادي عربة في 24/ 10/ 1994م أولى النتائج السلبية لأوسلو، ثم أعقبها العلاقات السلبية الرسمية مع الكيان[2].

(3) صهيونيًا:

شكل أوسلو الركيزة الأساسية لبناء نظام إقليمي شرق أوسطي تلعب فيه «إسرائيل» دور القوة الإقليمية الكبرى المهيمنة على المنطقة بالتحالف مع أمريكا[3].

(1) قيس عبد الكريم وتيسير خالد: «القبضة المثقوبة: نظرة على المفاوضات والحركة الجماهيرية من مجيء نتنياهو إلى بروتوكول الخليل»، شركة التقدم العربي، بيروت، 1999م، ص 11.
(2) المصدر السابق، ص 12.
(3) المصدر السابق، ص 12.

(4) فلسطينيًا:

قاد اتفاق أوسلو الشعب الفلسطيني إلى التردي في أكثر من مجال حيث تبديد وحدة الشعب الفلسطيني وتجزئة قضيته، وتمزيقه إلى جاليات تعاني كل من همومها المباشرة، وتفاقمت مخاطر التوطين، وطمس الهوية للاجئين في الشتات[1].

وبالعموم أنتج أوسلو حالة من اليأس والإحباط بسبب الفئة المتفردة بقرار منظمة التحرير الفلسطينية وتحسبها من تداعيات الانتفاضة، وقد تآكل رصيد تلك القيادة الوطنية بعد تخليها عن المقاومة[2].

مقارنة بين أوسلو وكامب ديفيد ووادي عربة:

حين النظر بموضوعية في معاهدة كامب ديفيد واتفاقيتي أوسلو ووادي عربة يتضح أنها أثرت بثوابت الصراع العربي الصهيوني؛ إذ ليس بينها ما يمكن اعتباره حقق الحد الأدنى من الحقوق العربية، فاتفاقية كامب ديفيد عطلت دور مصر التاريخي في الإقليم العربي، وأعفت المصريين من تبعات الحرب[3].

أما اتفاقية وادي عربة فأدت إلى عدم تأمين الأردن من الخطر الصهيوني الذي أصبح ينادي بالأردن كوطن بديل للفلسطينيين، وأصبح الأردن يعيش توترًا يهدد وحدته الوطنية[4].

(1) المصدر السابق، ص 13.
(2) «الثورة والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي: نحو خطة طريق»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م، ص 762.
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.

أما بالنسبة للأسرى فقد تجاهل أوسلو الأسرى كليًا حيث لم يتطرق إلى أي إشارة لموضوع الأسرى وعائلاتهم والحد من الاعتقال أو تحسين ظروفهم داخل السجون الصهيونية والتي يتعمد الاحتلال تحويلها إلى مقابر جماعية للأحياء، ويحرمهم من العلاج، وفي غالب الأحيان تنتج الأمراض عن التعذيب الشديد جسديًا ونفسيًا.

الهدنة الإسلامية واتفاق الحكم الذاتي

دأب الكثيرون على تبرير اتفاق أوسلو بصلح الحديبية وصلح الرملة، وبالرغم من تناولنا لموضوع الهدنة في الفصل الأول وتفاصيلها إلا أننا سنوضح بعض النقاط الخاصة بصلح الحديبية وصلح الرملة واتفاق الحكم الذاتي التي أبرمها المسلمون مع الكفار، ومن خلال دراستنا لهذه الاتفاقيات سيتبين لنا أن:

(1) صلح الحديبية:

لقد كان المسلمون في صلح الحديبية في موقع نصر وقريش في موقع المنهزم على عكس اتفاق أوسلو فإن المسلمين _الفلسطينيين_ هم الخاسر والعدو الصهيوني هو المنتصر، وذلك الانتصار حدد في مآلات تناولناها حول أوسلو، قال صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب للمسلمين: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا»، فقد بلغت قريش ذروة قوتها في غزوة الأحزاب وهزمهم الله سبحانه، إذن فقد بدأت قريش بالعد التنازلي أما المسلمون فقد

انطلقوا بعد غزوة الأحزاب في تعزيز قوتهم وفرض سيطرتهم على مناطق جديدة، وعندما ذهب الرسول _صلى الله عليه وسلم_ إلى مكة كان ينوي الحج لا مقاتلًا، ولذلك كان يميل إلى قبول أي خطة سلم تعرض عليه»[1].

هنا نرى أن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ كان يسعي لدعوة كافة الأقطار العربية إلى الدخول في الإسلام، وهذه الأقطار والقبائل لم يكن يمنعها من الدخول في الإسلام سوى انتظارها دخول قريش في الإسلام، فالصلح في مجمله كان لصالح المسلمين، وهم في تصاعد لقوتهم لا نحو الانحدار، وكان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ يحاور من منطلق القوة؛ لأن الله وعده في القرآن بدخول مكة في سورة الفتح.

بينما منظمة التحرير الفلسطينية وقادة المفاوضات كانوا يحاورون من منطلق الضعف نتيجة خوفهم على أنفسهم وعلى مصالحهم من نتائج الانتفاضة المباركة، ونجد أن المسلمين استطاعوا فيما بعد فتح مكة ودخلوا وأدوا العبادة التي حرموا منها حين توقيع اتفاق قريش صلح الحديبية.

بينما منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع إحراز أي فتح وتحرير لأي منطقة تم الاتفاق عليها، وتم التنازل عن حوالي 77 ٪ من فلسطين، وأصبحوا في صف الهجوم على المقاوم المجاهد الذي يطالب بتحرير فلسطين ومقدساتها، وهذا يجعلنا نؤرخ أن هذا الاتفاق هو بداية الانقسام الفلسطيني حيث إن المقاومين الذين كانوا في نفس الخندق ونفس جبهة الجهاد والمقاومة انشطر صفهم، وأصبح منهم المرابط الثابت على ثغوره،

(1) د. إبراهيم المقادمة: «اتفاق غزة أريحا، رؤية إسلامية»، غزة، 1994م، ص 128.

ومنهم المرتد المؤيد للولاء وللصلح مع الصهاينة، وبهذا يكون العدو قد نجح في ترسيخ الفتنة بين صفوف المسلمين.

(2) صلح الرملة:

لقد أسلفنا أن القائد صلاح الدين الأيوبي كان قد وقع هدنة مع الكفار، وتناولنا كيف استطاع فتح فلسطين وإرساء قواعد الإسلام فيها انطلاقًا من القدس، أما في اتفاق أوسلو فإن القدس، أرجئ الحديث عنها لما بعد، وذلك من خلال نقاش قرار 242 والذي كان بالأصل قد نادى المفاوض الفلسطيني بالقدس الشرقية فقط.

فى صلح الرملة الذي وقعه صلاح الدين مع الصليبيين بعد صراع مرير كان النصر فيها متداولًا بين الطرفين، وكان كل منهما يسعي لالتقاط الأنفاس والتحضير لمرحلة جديدة؛ لذلك يعتبر الصلح هدنة عسكرية حيث نصت المعاهدة على المهادنة لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر فقط، وترك الحرب في هذه المدة. ولم يعترف صلاح الدين بهذه المعاهدة بأحقية الصليبين في أي جزء من أرض المسلمين، وعاد الصراع بعد نهاية المدة حتى تم طرد الصليبيين نهائيًا من الشام.

أما اتفاق أوسلو فقد حكم على وجود دولة للكفار اليهود على بلاد المسلمين، وقبل للمسلمين الحكم بالذل وتحت سيطرة الكفار، والتعهد بالحفاظ على أمن الصهاينة[1].

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور: «الحركة الصليبية: صفحات مشرفة في تاريخ الجهاد الإسلامي»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2010م، ص 707.

إذن يتضح للناظر في هذه المعاهدات الثلاث حجم الهوة الفارقة بينها وأنه لا يجوز مقارنة اتفاق أوسلو بالمعاهدات الإسلامية، وأن اتفاق أوسلو قام على سحق إنجازات الانتفاضة واستهان بدماء الشهداء الذين استطاعوا طرد الصهاينة من لبنان، والأردن (معركة الكرامة)، مع العلم أن المفاوض الفلسطيني قام بعقد صفقات الاتفاق سرًا وأفراد منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح التي هزّت الكيان الصهيوني بعملياتها ما زالت على جبهات القتال؛ تصد الهجمات الغادرة، وإحدى ثمار المفاوضات السرية هو اغتيال أبو جهاد، خليل الوزير، الرجل الثاني لحركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، والعديد من قيادات الحركة.

كذلك كان هناك الآلاف من الأسرى في السجون لم يتم التطرق لموضوعهم ولا ملايين اللاجئين والنازحين الفلسطينيين، بل هدف الاتفاق لحفظ أمن الصهاينة وإعطائهم دولتهم المنشودة بشكل قانوني وبقلم فلسطيني (مُسلم).

تهاوي الاحتلال أمام إرادة الشعب والمقاومة بالرغم من اتفاقيات السلام

يقوم المسلمون في القدس وفلسطين بالسهر على حماية المسجد الأقصى المبارك بالرغم مما يعانونه من احتلال والدأب للالتفاف على حقوقهم، وهم دومًا يهبون للدفاع عن حرمة الأقصى بأجسادهم وحجارتهم وسلاحهم الأبيض والناري بعد أن فقدوا النصير العربي والإسلامي، فلم تحدث أي محاولة صهيونية للاعتداء على الأقصى إلا وتصدى لها الفلسطينيون حتى لو أدى ذلك لارتكاب مجازر بحقهم كما

حـدث في 08/ 10/ 1990م، عندمـا حاولـت جماعـة يهوديـة وضـع حجـر أسـاس للهيـكل المزعـوم داخـل المسـجد الأقـصى، ممـا أدى إلى إفشـال هـذا المخطـط واستشـهاد 34 مواطنًـا وجـرح 125 آخريـن.

وكذلـك «عندمـا احتـاج بنيامـين نتنياهـو إلى إبـراز نفسـه كقائـد أكثـر تطرفًـا، ومتنصـل مـن فعـل سـابقة إسـحاق رابـين؛ أقـدم عـلى المصادقـة عـلى فتـح مخـرج لنفـق حائـط البـراق في البلـدة القديمـة (أيلـول 1996م)، وقـد كان قـد أعـد هـذا النفـق سرًا ليصـل بـين حائـط البـراق والحـي الإسـلامي.

لم يسـتجب نتنياهـو في ذلـك الوقـت لـكل التحذيـرات التـي قدمـت على طاولتـه، والتـي قـد تؤجـج مشـاعر المسـلمين قبـل الفلسـطينيين، وأنهـا قـد تجـر المنطقـة إلى عنـف وفـوضى.

جـاء الـرد الفلسـطيني عـلى هـذه الخطـوة بفتـح مواجهـة مسـلحة مـع جيـش الاحتـلال أسـفرت عـن مقتـل 16 جنديًـا صهيونيًـا في أول أيـام هـذه الهبـة التـي أطلـق عليهـا اسـم انتفاضـة النفـق[1]. وخـلال هـذه الهبـة تـم محاصرة كتيبـة عنـد قـبر يوسـف بنابلـس، فسـارعت المؤسسـة العسـكرية وعـلى رأسـها فئـة الضبـاط إلى تكريـس رؤيتهـم في صيـغ قانونيـة[2]، كـي لا يتـم تجاوزهـم، فأصبحـوا يطلقـون المسـميات عـلى حملاتهـم العسـكرية، بعـد كلمـة حـرب[3].

(1) إيان بلاك: «حروب إسرائيل السرية»، دار الجيل للطبع والنشر، 2016م، ص 30.
(2) المصدر السابق، ص 166.
(3) المصدر السابق، ص 167.

مركزية القضية الفلسطينية وعوامل استنهاضها

لا تعني دماء الشعب الفلسطيني أن لها الأفضلية على بقية دماء الأمة التي تتعرض للاستعمار والتغول الاستعماري لتقسيمها وشرذمتها حتى تصبح دويلات صغيرة متناحرة فيما بينها، لكن لأن استهداف فلسطين بالذات لما لها من خصوصية دينية وتاريخية وسياسية وحضارية بمثابة الاعتداء على كل الأمة وشعوبها، فإن سقطت فلسطين تصبح الأمة أجمع في خطر المشروع الصهيوني الرامي لاجتثاث العرب وتوطين اليهود المشتتين في دول العالم على حساب أي دولة وشعب قائم؛ لذلك أدرك الشعب الفلسطيني هذا الخطر ولم يلتفت لكل العقوبات التي وضعت أمامه، فلم تهدأ ثوراته ولم ينحدر جهاده شعبيًا أو عسكريًا، فرديًا أو منظمًا بأحزاب وفصائل.

انتفاضة الأقصى المباركة

لقد قال الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي: «إن القدس كاشفة العورات»، الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي الذي تم اغتياله انتقامًا صهيونيًا من حركة الجهاد الإسلامي وردًا على عملياتها ضد الصهاينة وبالذات عملية بيت ليد؛ لم يكن قوله يغيب عن أذهان الفلسطينيين، استشهد الشقاقي في 26/ 10/ 1995م فقام الاستشهادي رامز عبيد بالرد على اغتياله بتفجير نفسه أمام مجمع «ديزنكوف» التجاري في 04/ 03/ 1996م ليقتل (13) صهيونيًا ويجرح (130) آخرين، قول الشقاقي يصدح في

أذهان الفلسطينيين إلى حين أن أقدم رئيس الوزراء الصهيوني أرئيل شارون وحراسه على اقتحام المسجد الأقصى المبارك في 28/ 09/ 2000م لتشتعل بذلك الاقتحام انتفاضة عمّت كل أرجاء فلسطين التاريخية بلا حدود وبلا اعتراف بالتقسيمات المستحدثة، وهذه الانتفاضة كانت عفوية تتحرك بنهج مقاوم يرمي إلى تحرير فلسطين وإسقاط كافة الاتفاقيات الرامية لتصفية القضية الفلسطينية.

هبّ الشعب الفلسطيني بانتفاضة شعبية عارمة، وانتفضت الفصائل الفلسطينية كافة بما في ذلك حركة فتح صاحبة إذلال اليهود في بيروت، فكان الاستشهادي نبيل العرعير صاحب أول جسد متفجر بعملية استشهادية في انتفاضة الأقصى بتاريخ 26/ 10/ 2000م، هذا التاريخ الحي في قلوب الفلسطينيين (ذكرى استشهاد الشقاقي) وبدا واضحًا مشروع القدس ومركزيتها في الشعب الفلسطيني.

لقد كانت انتفاضة الأقصى المباركة تؤكد على:

(1) أن الأمة الإسلامية موحدة حية، بالرغم من الجراح التي أثخنتها، وأن روح المقاومة والصمود والاستعداد للبذل والتضحية لم تخمد.

(2) أن قضية فلسطين قضية تعم المسلمين وتوحدهم، وهي التي تجعلهم يتجاوزون خلافاتهم ويركزون على العدو الصهيوني ومقاومته.

(3) غدت القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للعالم الإسلامي.

(4) وجهت الانتفاضة ضربة قوية وقاسية لمشروع التسوية السلمية والتطبيع مع العدو، وبرز الخيار الجهادي كخيار أمثل.

(6) أن الانتفاضة كرّست الروح الجهادية وروح التكافل وتجاوز الحزبية الفصائلية في صفوف الشعب الفلسطيني حيث تكاتفت الفصائل جميعًا وتشاركت في العمليات الجهادية ضد الصهاينة.

(7) أن الانتفاضة انعكست عن طريق أسلوب الناس في حياتهم اليومية، الذي يكن شدة العداء للمشروع الصهيوني.

(8) أبرزت الانتفاضة أهمية الإعلام ودوره في التعبئة؛ إذ تمكن المسلمون والعرب من كسر طوق الإعلام الغربي المتصهين.

بم تميزت انتفاضة الأقصى؟ ومن جهة أخرى تميزت الانتفاضة بـ:

(1) المشاركة الشعبية الواسعة في كل أرجاء فلسطين المحتلة.

(2) مشاركة كافة التيارات الفلسطينية، آخذة الطابع العسكري الهجومي والدفاعي، وكانت العمليات الاستشهادية هي السمة المميزة للعمل العسكري.

(3) شدة القمع الصهيوني الذي تمادى في قتل الأطفال والأبرياء واستخدام الأسلحة المحرمة دوليًا.

(4) انكشفت سوءات أدعياء السلام الصهاينة الذين دأبوا على سحق الانتفاضة المباركة.

وقد أشار تقرير لجهاز الشاباك الصهيوني أن المقاومة الفلسطينية تمكنت خلال سنوات الانتفاضة المندلعة في 28/ 09/ 2000م من قتل (1513) صهيونيًا وجرح أكثر من (3380) صهيونيًا وذلك خلال نجاحها في تنفيذ أكثر من (143) عملية فدائية ضد أهداف الاحتلال، وأكثر من (20) ألف عملية إطلاق نار.

وأوضح التقرير الذي نشرته صحيفة معاريف العبرية أن 160 فلسطينيًا ضحوا بحياتهم في تنفيذ العمليات، بينما قتل أكثر من ألف صهيوني في 24 ألف عملية إطلاق نار نفذتها مختلف الفصائل الفلسطينية.

وشكّلت العمليات الاستشهادية ما نسبته 6 ٪ من مجموع عمليات المقاومة الفلسطينية خلال الانتفاضة، ومعظم منفذي العمليات الاستشهادية تتراوح أعمارهم بين 17-24 عامًا، وأن الاستشهاديين الذين يأتون من شمالي الضفة بلغ عددهم 64 ٪ في حين أن منهم من سائر أنحاء الضفة حتى عام 2003م[1] بعد وفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في 11/ 11/ 2004م، شهدت انتفاضة الأقصى خفوتًا واضحًا وكان ذلك بسبب:

(1) وفاة ياسر عرفات.

(2) إعلان الفصائل في 22/ 01/ 2005م التهدئة من جانب واحد.

(3) إعلان وقف إطلاق النار بين السلطة والاحتلال.

(4) انتخاب محمود عباس رئيسًا للسلطة، وهو مهندس أوسلو، وصاحب النهج الرامي لاجتثاث الكفاح المسلح.

(1) صحيفة معاريف العبرية، 02/ 07/ 2005م

(5) انشغال الفلسطينيين في التحضير للانتخابات البلدية والتشريعية.

(6) كثرة الجرائم الصهيونية حيث بلغ عدد الشهداء ما بين الفترة 28/ 09/ 2000م – 31/ 12/ 2005م نحو (2424) بينهم (793) طفلًا و(270) شهيدة، هذا وتعدد الإجرام بشتى وسائله بالقصف والتصفية الميدانية لـ(376) شهيدًا، وبلغ عدد الجرحى نحو (46068) مواطنًا. وكان في هذا التاريخ يقبع في السجون الصهيونية 9200 أسير وأسيرة. وبلغ عدد المنازل المدمرة بشكل كلي وجزئي نحو 71470، وعدد مؤسسات التربية والتعليم التي تعرضت للقصف (319) مدرسة، مديرية، مكاتب تربية وتعليم وجامعة.

(7) دمار الاقتصاد الفلسطيني.

(8) اغتيال العديد من قيادات الفصائل الفلسطينية.

الفرق بين الانتفاضة الأولى وانتفاضة الأقصى على المستوى الاقتصادي الصهيوني:

لم يعد الشعب الفلسطيني هو الجهة الوحيدة التي تدفع ثمن الاحتلال والغطرسة الصهيونية من شهداء وجرحى ودمار، وإنما أصبح الكيان يدفع ثمن احتلاله وهذا فرق جوهري حيث أحدثت انتفاضة الأقصى هزة عميقة، وأصابته في أساسيين يبنى عليهما اقتصاده وهما الأمن والازدهار، وأخذ عشرات الآلاف من الصهاينة يهاجرون من الكيان إلى دول أوروبا وأمريكا، وأن 25 ٪ من اليهود يفكرون

جديًا في ترك الكيان، وأن 69 ٪ من اليهود يعيشون في حالة الخوف من التعرض للإصابة أو الموت بسبب العمليات الاستشهادية[1]، هذا الاستطلاع قبل نهاية عام 2002م.

لقد تهاوى الاحتلال من شدة ضربات المقاومة وتكبد خسائر فادحة (بشرية ومادية) جراء العمليات الفلسطينية التي أجبرته على الانسحاب من قطاع غزة في عام 2005م.

والثابت أن الحروب العربية الصهيونية كما تبين لنا أن الاحتلال الصهيوني كان هو البادئ بشن الحرب عدا حرب (1973م)، وكان الشعب هو الذي يفشل العدو في تحقيق أهدافه بالإضافة إلى المقاومة، فحزب الله فرض على الصهاينة الانسحاب من الجنوب اللبناني عام 2000م، فيما المقاومة الفلسطينية أجبرته على الانسحاب من غزة وتفكيك مستوطناته، وفي عام 2006م، أسقطت المقاومة أسطورة الجيش الذي لا يقهر في لبنان، هذا كله فرض على الاحتلال معادلة الردع المتبادل الذي لم يعد لاجتياح جواره العربي.[2]

إن حالة الجمود التي مرت بها القضية الفلسطينية بعدما حل بها من محاولات لإطفاء جذوة الانتفاضة، والتي كادت أن تتوقف إلا أنه كان هناك سيل جهادي لا يتوقف تدفقه، فاستطاعت حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية تنفيذ

(1) جريدة جيروزاليم بوست، 29/ 11/ 2002م.
(2) «الثورة والانتقال الديمقراطي في الوطن العربي: نحو خطة طريق»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2012م، ص 767.

8عمليات استشهادية أدت إلى مقتل 33 صهيونيًا، وهذا الجدول يبين بعض بياناتها:

الاستشهادي المنفذ للعملية	مكان العملية	تاريخ العملية
عبدالله سعيد بدران	تل الربيع (الداخل المحتل)	25/ 05/ 2005م
أحمد سامي أبو خليل	أم خالد	12/ 07/ 2005م
لطفي أمين أبو سعدة	أم خالد	05/ 12/ 2005م
صهيب إبراهيم ياسين وعلاء عبد اللطيف السعدي	حاجز فرعون (طولكرم)	29/ 12/ 2005م
حسن أبو زيد	تل الربيع	26/ 10/ 2005م
سامر حماد	تل الربيع	17/ 04/ 2006م
سامي عنتر	تل الربيع	19/ 01/ 2006م
محمد دياب	حاجز عناب/ طولكرم	12/ 07/ 2007م

هذه العمليات أصابت الاحتلال بالجنون فجعلته يكثف ملاحقته للمجاهدين؛ مما أدى إلى اغتيال بعضهم واعتقال الآخر، وفيما كان الاحتلال يصب جنون حقده على الضفة الغربية تمكنت المقاومة الفلسطينية في غزة من اختطاف الجندي الصهيوني جلعاد شاليط، وكانت كتائب القسام وألوية الناصر صلاح الدين وجيش الإسلام هي الجهات الخاطفة في 25/ 06/ 2006م.

وردًا على الأعمال الجهادية التي كادت تلفظ كل المؤامرات عليها صهيونيًا وعربيًا قام العدو بشن عدة حملات عدوانية على قطاع غزة

الـذي جعـل الاحتـلال يرفـع شـعار الـذل خـلال تفكيـك مسـتوطناته والانسـحاب مـن غـزة وكان منهـا:

أولًا: حملة أمطار الصيف:

هـذه الحملـة شـنها العـدو محـاولًا بـلا جـدوى ضرب المقاومـة واسـترجاع جنديـه جلعـاد شـاليط، وامتـدت مـا بـين 26/ 06/ 2006م حتـى 31/ 10/ 2006م، وأدت لاستشـهاد 400 فلسـطيني، وجـرح 2518 آخريـن.

ثانيًا: حملة غيوم الخريف:

كانـت دوافـع هـذه الحملـة هـي ذات الدوافـع السـابقة التـي أدت إلى استشـهاد 105 فلسـطينيين وجـرح 335، في نوفمـبر (تشريـن الثـاني) 2006م.

ثالثًا: حملة الشتاء الساخن:

بنفـس الدوافـع التـي فشـلت سـابقًا شـنت قـوات العـدوان الصهيوني مما أدى إلى استشهاد 107 فلسطينيين في فترة 27/ 12/ 2008م و03/ 03/ 2008م.

وهـذه الحمـلات تزامنـت مـع وجـود الاقتتـال الفلسـطيني الفلسـطيني الـذي اصطنعـه الاحتـلال في أوسـلو، وجعـل الهـدف الأول لبعـض قيـادات منظمـة التحريـر الفلسـطينية وجـزء آخر من الفلسـطينيين هـو الحفـاظ عـلى مآربهـم الشـخصية ومكانتهـم السياسـية والاجتماعيـة،

فكان هناك انتخابات محلية أنتجت حكومتين بعد الاقتتال؛ الأولى في غزة والأخرى في الضفة، وكل كان يبرر موقفه بحسب ما يتناسب مع رؤيته ويبرر صحة عمله، وفي المقابل بقية الفئة المجاهدة غير ملتفتة وغير آبهة لما يحصل برغم ألمها سوى لدحر الاحتلال، فصمدت وواجهت هذه الحملات العدوانية بكل بسالة وبطولة.

موقف فصائل المقاومة الشرعي من الانقسام

دأبت فصائل المقاومة بشكل عام على صب جهودها للإصلاح بين حركتي فتح وحماس، فكانت هناك عدة لقاءات حوارية تحت شعار المصالحة، وللأسف بقيت هذه الحوارات والاتفاقيات حبرًا على ورق، وكانت حركة الجهاد دائمًا تصب جهودها لرأب الصدع انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 09].

المقاومة اللبنانية تهز الكيان

في منتصف أغسطس (آب) بدأ الاحتلال بزعامة رئيس وزرائه أرئيل شارون بالانسحاب من قطاع غزة معلنًا إنهاء احتلاله لقطاع غزة، هذا الإعلان جاء من جانب الاحتلال تطبيقًا لخطة الفصل التي طرحها شارون، وتم إنهاء الاحتلال في 11/ 09/ 2005م فيما أبقت سيطرتها على

المعابر والمنافذ الحدودية البرية والبحرية والجوية، وفي 15/ 11/ 2005م توصلت إلى اتفاق مع السلطة الفلسطينية على إدارة المعابر، ولكن ما لبث هذا الاحتلال بعد اندحاره من غزة من شدة ضربات المقاومة الفلسطينية أن تلقى ضربات ساحقة من المقاومة اللبنانية على يد حزب الله اللبناني.

في 12/ 07/ 2006م قام الاحتلال بشن عدوان على جنوب لبنان الذي يعدّ معقل حزب الله والذي يمثل تيار المقاومة في الجبهة الشمالية، وهذا العدوان جوبه بمقاومة بطولية مما أدى إلى اندحار القوات الصهيونية مرة أخرى في 14/ 08/ 2009م، وهذا العدوان الذي استمر ٣٣ يومًا أدى إلى:

(1) اندحار الاحتلال دون تحقيق أهدافه.

(2) استشهاد 1400 لبناني غالبيتهم من المدنيين.

(3) جرح 3700 مواطن لبناني.

(4) تهجير 973 ألفًا بشكل مؤقت من المواطنين المدنيين اللبنانيين.

(٥) مقتل 400 صهيوني.

(6) جرح 1187 صهيونيًا.

(7) تضرر 11 ألف منزل صهيوني نتيجة سقوط 4320 صاروخ كاتيوشا.

(8) تدمير 120 دبابة صهيونية (مجزرة الدبابات الميركافا) وثلاثين مدرعة وبارجتين بحريتين وخمس مروحيات.

(9) مفاجأة المقاومة اللبنانية للعدو بحجم الإعداد والتجهيز مما أدى إلى الانتصار.

علمًا أن هذه الحرب عرفت باسم بيت العنكبوت.

الصعود المتنامي للمقاومة وتوقف الانزلاق نحو الهاوية

منذ عام 2006م وبالتحديد حرب لبنان الثانية (يوليو/ تموز 2006م) أدرك الاحتلال ضعف الجبهة الداخلية، وأنه ليس بمقدوره تحييدها عن الصراع في المواجهات القادمة، وأن مبدأ نقل المعركة إلى أرض العدو قد اختلف، وعليها أن تتأقلم مع الواقع الجديد.

العمق الاستراتيجي الضيق والضعيف أجبر الاحتلال بعد تلك الحرب على اتخاذ خطوات من أجل الإعداد إلى تمتين الجبهة الداخلية لديه، فوضع عدة خطط وعمل على أساسها وكان فيها:

(1) إنفاق أموال طائلة على تلك الجبهة وخصوصًا الشمالية.

(2) تجهيز ملاجئ وتحصينها.

(3) زيادة فعالية شبكات الإنذار للصواريخ.

(٤) تدريب السكان على كيفية التصرف عند سماع صافرات الإنذار.

(5) تجهيز وتطوير منظومات دفاعية صاروخية لاعتراض الصواريخ المطلقة باتجاه البلاد ومنها:[1]

(أ) القبة الحديدية.

(ب) العصا السحرية.

(ج) صواريخ حيتس.[2]

(1) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 94، ص 27.
(2) المصدر السابق.

هـذا الضعـف وهـذه الهزائـم المتتاليـة للاحتـلال جعلتـه يقـدم عـلى عـدوان شـامل عـلى قطـاع غـزة بعـد حـوالي 3 سـنوات مـن حصـاره بريًـا وبحريًـا، فكانـت الفـترة 27/ 12/ 2008م حتـى 18/ 01/ 2009م حربًـا ضروسًـا عرفـت باسـم الرصـاص المصبـوب مـن قبـل الاحتـلال وعرفتهـا المقاومـة بمعركـة الفرقـان. وقـد واجهـت المقاومـة الباسـلة آلـة الحـرب والدمـار الصهيونيـة بمزيـد مـن الصمـود والثبـات، ولكـن الضريبـة الكـبرى في ميـزان الحـروب الصهيونيـة يجـب أن يتكبدهـا عامـة الشـعب وخاصـة المدنيـين منـه.

فشـل الاحتـلال مـرة أخـرى في احتـلال غـزة وتحقيـق هدفـه الأسـاسي اسـترجاع (شـاليط) بالرغـم من محدوديـة المقاومة التي كانت بعـض القوى منها قـد اسـتنفدت عـددًا مـن رجالهـا وسـلاحها وقوتهـا في الاقتتـال؛ علمًـا أن قـوات الاحتـلال دخلـت قطـاع غـزة واغتالـت واعتقلـت العديـد مـن الفلسـطينيين، وكلـه يُعـزى لعـدم رص الصفـوف الجهاديـة التـي تحدثنا عـن أهميتهـا في الفصل الأول، وتوقعنا نتائج توقيع اتفاق أوسـلو الذي هو بداية الانقسـام الفلسـطيني.

ولقـد جـاءت الحـرب نهايـة سـنة 2008م عـلى غـزة لتجـذر عمليًـا الانقسـام بـين الضفـة وغـزة، وذلـك بإيجـاد ظـروف صعبـة محيطـة بغـزة، فتصبـح قضيـة قائمـة بذاتهـا، تفصلهـا الجغرافيا والمصالـح والحاجـات والطبيعة والسـلطة عـن الضفـة. وعملـت الدبلوماسـية القطريـة والتركية[1] طـوال فـترة العـدوان لإيجـاد مخـرج سـياسي وإقـرار هدنـة ملائمـة للطـرف الفلسـطيني عنوانهـا رفـع الحصـار عـن غـزة وفتـح المعابـر.

(1) للموقفـين القطـري والتركـي مـن عـدوان سـنة 2008م، انظـر: محمـد السـعيد إدريـس، «المواقـف العربيـة مـن العـدوان»، عبـد الحميـد الكيـالي (محـرر) دراسـات في العـدوان الإسرائيـلي عـلى قطـاع غـزة: «عمليـة الرصـاص المصبـوب، معركـة الفرقـان»، بـيروت، مركـز الزيتونـة للدراسـات والاستشـارات 2010م، ص 165. ومحمـد نـور الديـن: «المواقـف الإسـلامية مـن العـدوان الإسرائيـلي عـلى قطـاع غـزة»، مركـز الزيتونـة للدراسـات والاستشـارات، 2010م، ص 199.

نشطت الدبلوماسية القطرية في مواجهة العدوان، ودعت لقمة طارئة في 16/ 01/ 2009م عكست استقطابًا واضحًا[1]، بين المؤيدين لعقد القمة والرافضين لها حيث تغيب عنها عدة دول عربية منها: السعودية ومصر والإمارات بسبب حضور الرئيس الإيراني أحمدي نجاد لها كما أعلن كذلك الأردن، والرئيس الفلسطيني محمود عباس، في دلالة واضحة على اعتراض كل هذه الدول على سياسة قطر إزاء غزة، وعلى موقفها المتشدد حيال حماس وسلطتها في غزة، وقد أعلن في هذه القمة عن إغلاق المكتب التجاري الصهيوني في الدوحة، في حين حضرها الرئيس الإيراني أحمدي نجاد.

علمًا أن الاحتلال شن هذه الحرب وهو واثق من نفسه لاسترجاع جنديه الذي خطفته المقاومة في غزة في 25/ 06/ 2006م، ولكنه وبرغم كل الظروف المحيطة بقطاع غزة فشل في تحقيق هدفه، وأصبح يتفاخر بقتله لأطفال ونساء غزة التي تلد هؤلاء الأطفال الذين يكبرون ويصبحون مقاومين مخالفين مقولته: «الكبار يموتون والصغار ينسون».

نتائج حرب الفرقان (الرصاص المصبوب) 2008م-2009م:

(1) استشهاد 1413 مواطنًا[2]، بينهم 417 طفلًا و108 نساء.

(2) جرح 5300 مواطن[3].

(3) تدمير 5350 منزلًا وتضرر 16 ألف منزل بشكل جزئي.

(1) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، 15/ 01/ 2009م

(2) تقارير شؤون فلسطينية، السياسات الأمريكية، 2013م، ص 20.

(3) المصدر السابق.

(4) مقتل 13 صهيونيًا وجرح 185 بحسب اعتراف الاحتلال.

(5) ارتداد تداعيات حرب الفرقان على الأسرى والأسيرات داخل السجون الصهيونية حيث زادت حملات التنكيل والعقاب والقمع والحرمان من الزيارات.

وبالرغم من انتهاء الانتفاضة المباركة، والأوضاع الاستثنائية التي كان الشعب الفلسطيني يعيشها، وحصار غزة إلا أن المقاومة كانت تطور من إمكانياتها التسليحية خصوصًا في مجال الصواريخ، وهذا يؤكد أن روح الجهاد ما تزال قوية في هذه الأمة، وأن قوى المقاومة خصوصًا الإسلامية قادرة على تقديم المجاهد الإنسان الجديد الصامد السائر على خطا الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بالإبداع والمقاومة، وإنزال الخسائر في عدوه؛ لأنه يتيقن بأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، وأن الصبح بات قريبًا.

الفرق بين حرب لبنان (2006) بيت العنكبوت، ومعركة الفرقان- غزة (2008)

تدافعت ضربات المقاومة بعد حرب الفرقان فكان أبرزها إنجاز صفقة وفاء الأحرار لتبادل الأسرى الفلسطينيين بالجندي الصهيوني جلعاد شاليط المختطف لدى المقاومة في غزة، والتي تم بموجبها تحرير 1047 أسيرًا فلسطينيًا وأسيرة في تاريخ 18/ 10/ 2011م، وعلى دفعتين.

وما أن مالت الأحوال نحو الهدوء حتى أقدم الاحتلال على اغتيال القائد في كتائب القسام أحمد الجعبري، وهو الشخص الذي ظهر

في تسليم الجندي شاليط للوسيط الألماني بمصر، وعلى إثر ذلك باشرت سرايا القدس منذ اللحظة الأولى وللمرة الأولى في تاريخ المقاومة الفلسطينية قصف مدينة تل الربيع «تل أبيب» المحتلة، ووصل عدد الصواريخ التي أطلقتها المقاومة إلى (1506).

وهذه الحرب أطلقت عليها المقاومة عدة مسميات منها: السماء الزرقاء، بينما الاحتلال أطلق عليها اسم عامود السحاب (2012م).

«ويذكر بعض المحللين أن أحد دوافع حرب 2012م كان عملية اختبار للمنظومة الجديدة لردع الصواريخ (منظومة القبة الحديدية) بشكل عملي، إضافة إلى رغبة الاحتلال لتسويق هذه المنظومة لزبائنه في سوق الأسلحة؛ فقد امتلك الاحتلال خلال عملية عامود السحاب 2012م أربع بطاريات فقط، وقد عجّلت عملية عامود السحاب بنشر بطارية خامسة في محيط «غوش دان» بتاريخ 17/ 11/ 2012م حيث كان المخطط نشرها في عام 2013»[1].

حرب لبنان (2006)، بيت العنكبوت	معركة الفرقان، الرصاص المصبوب، 2008م
طرفا الصراع المقاومة اللبنانية والاحتلال الصهيوني.	طرفا الصراع المقاومة الفلسطينية والاحتلال الصهيوني.
جرت في الجبهة الشمالية لفلسطين/ لبنان.	جرت في الجبهة الجنوبية (قطاع غزة).
استشهاد 1400 لبناني.	استشهاد 1413 مواطنًا فلسطينيًا.

(1) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 94، ص 129.

مقتل 400 صهيوني.	مقتل 13 صهيونيًا.
جرح 3700 مواطن لبناني	جرح 5300 مواطن فلسطيني.
اندحار الاحتلال دون تحقيق أهدافه ودون دخوله لبنان برًا.	اندحار الاحتلال دون تحقيق أهدافه، ولكنه استطاع دخول غزة برًا ولن يستطيع احتلالها

وقد استمرت حرب السماء الزرقاء 8 أيام شاركت فيها كافة الفصائل بشتى مسمياتها في تدمير القوة الصهيونية وضمن تكتيك عسكري منظم حيث كان واضحًا قوة الضربات التي يتلقاها الاحتلال، علمًا أنه تم استخدام صاروخ الكورنيت الموجه لأول مرة منذ اليوم الأول من قبل سرايا القدس، وفي اليوم الثاني من قبل كتائب القسام مع إطلاق صواريخ وصل مداها إلى الخضيرة وتل الربيع، ليخرج رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل آنذاك والأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي د. رمضان شلّح معلنين اندحار الاحتلال وانتهاء الجولة الحربية.

نتائج حرب السماء الزرقاء 2012م:

(1) استمرت الحرب 8 أيام.

(2) قصف تل الربيع لأول مرة.

(3) استخدام صاروخ الكورنيت لأول مرة.

(4) مقتل 20 صهيونيًا[1].

(1) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 94، ص 129.

الفرق بين حرب الفرقان وحرب السماء الزرقاء:

حرب الفرقان 2008م	حرب السماء الزرقاء 2012م
أسفرت عن استشهاد 1413 مواطنًا.	استشهاد 162 مواطنًا.
استمرت 22 يومًا.	استمرت 8 أيام.
أسفرت عن مقتل 13 صهيونيًا.	أسفرت عن مقتل 20 صهيونيًا.
مقاومة محدودة وصواريخ ذات رؤوس متفجرة صغيرة في غلاف غزة.	عرفت من حركة حماس باسم حجارة سجيل ومن الجهاد الإسلامي باسم السماء الزرقاء.
اردتداد تداعيات الحرب على الأسرى.	سعى الاحتلال لطلب وقف إطلاق نار.
استطاع الاحتلال دخول غزة.	لم يقدم الاحتلال على دخول غزة.
دمار هائل في قطاع غزة والبنية التحتية.	قصف تل الربيع لأول مرة، بصواريخ طويلة المدى وذات رؤوس متفجرة كبيرة، وكذلك استخدام صاروخ الكرنيت، وقصف عسقلان.
عرفتها الفصائل باسم معركة الفرقان.	الدمار أقل وكان الاحتلال يحاول السيطرة على الصواريخ ومطلقيها.

وحي قرآني، بنيان مرصوص، وعصف مأكول

لم تكد حرب السماء الزرقاء تضع أوزارها حتى كان الاحتلال يعود لديدنه، وهو الغدر حيث قام باغتيال مجموعة من المقاومين في غزة كانوا يستقلون سيارتهم، وكان من بينهم قائد ألوية الناصر صلاح الدين واثنان

مـن مرافقيـه ومجاهـدان آخـران مـن سرايـا القـدس، فـردت سرايـا القـدس بمعركـة كسر الصمـت التي استمرت 3 أيـام، ثـم هـدأت وتـيرة التصعيـد بعد عـدة وسـاطات دوليـة.

لكـن هـذه المعركـة لم تكـن إلا مقدمـة لمعركـة حاسـمة طويلـة بعمـر الجيـش الصهيـوني الـذي يتغنـى بسرعـة الحسـم، وسـهولة تحقيـق الأهـداف، وبالرغـم مـن الفشـل المتواصـل لهـذا الجيـش كـما توضـح لنـا في فصولنا السـابقة حيـث سرعـة الحسـم اتضـح في حـرب البنبـان المرصـوص أن جيشـه غـير قـادر عـلى القتـال أكثـر مـن 51 يومًـا، سـوى في حصـار بـيروت الـذي استنزف أكثـر مـن ثلثـي جيشـه المقاتـل والاحتيـاط، وسـهولة تحقيـق الأهـداف والتـي غالبًـا ما تفشـل، فيبـاشر بالانتقـام مـن المدنيـين ليسـجل أمـام جمهـوره وجبهتـه الداخليـة انتصـارًا وهميًـا، وبـما أن جيشـه في حقيقتـه يعـد هشًـا مـن الداخـل، واليهـودي بطبيعتـه وعقيدتـه جبـان لحبـه الدنيـا وكرهـه الآخـرة، يلجـأ ضبـاط وجنـرالات الجيـش لبـث الإشـاعات بـأن كل الذيـن تطالهـم يـد الجيـش هـم مقاومـون وهـم المطلوبـون، وهـم بحقيقـه الأمـر أطفـال ونسـاء، ومـن عمـوم المدنيـين.

عامود السحاب، ثم الجرف الصامد:

عامـود السـحاب هـو الاسـم الـذي أطلقـه الاحتـلال عـلى عـدوان 2021م وفي هـذه المـرة اختـار اسـم الجـرف الصامـد، في المقابـل اختـارت المقاومـة البنيـان المرصـوص، اسـمًا مستوحى من القـرآن تأكيـدًا عـلى أن المقاومة رصـت صفوفهـا لصـد العـدوان، وكذلـك اختـارت حمـاس اسـم العصـف المأكـول، وكونهـا أسـمت حـرب 2012م باسـم حجـارة السـجيل، فهـذا يعني

أن الموعد حان بأن يصبح العدو كالعصف المأكول، وهذا هو مآل صاحب الفيل أبرهة الأشرم الذي قدّم لهدم الكعبة، فأهلكه الله بحجارة السجيل فأصبح عصفًا مأكولًا، وأنزل الله فيه سورة الفيل.

هدف المعركة:

يمكن الافتراض أن الاحتلال دخل معركة غزة من دون تحديد هدف واضح للحرب، وكذلك من دون تحديد استراتيجيات واضحة للخروج منها، أو الأهداف التي يبغى تحقيقها.

وقد انعكس هذا الأمر على الخطط والتكتيكات العسكرية في مختلف مراحل المعركة، وأدى في بدايتها إلى عزل نائب وزير الدفاع داني داتون بسبب انتقاداته كيفية إداراتها، كما أدى في نهايتها إلى جدل داخلي كبير، وإحباط في صفوف الجمهور والطبقة السياسية، وشعور بأن الجولة انتهت من دون تحقيق أي إنجاز مهم.

بدأت الحرب بذريعة معاقبة المقاومة على خطف المستوطنين في الضفة الغربية، والرد على سقوط بعض القذائف على غلاف غزة، ضمن اعتقاد راسخ بأن على الكيان استغلال التطورات الأخيرة في المنطقة، وحاله العزلة والحصار التي تعيشها المقاومة من أجل إحداث تغيير جذري في وضع القطاع.

وترافقت الحرب مع تحذيرات من وزير الدفاع ورئيس الأركان الصهاينة من مغبة الخضوع لضغوط اليمين الصهيوني وتم تبني خطة تقوم على التصعيد التدريجي، وعلى أن يكون الهدف المعلن للعملية هو توجيه

ضربه قاسية إلى المقاومة وتحقيق الردع، ومنع المقاومة من إعادة بناء قدرتها العسكرية وذلك انطلاقًا من الفرضية القائلة إنه في ضوء الحصار وتدمير الأنفاق سيكون من الصعب ترميم ما تضرر.

ومن هذا المنطلق شملت الخطة ضرب قواعد الصواريخ وأماكن تخزينها وتصنيعها، وتسديد ضربة إلى قيادات المقاومة وأعضائها وبنيتها[1]، وإعادة الهدوء إلى الجنوب، وإلحاق أضرار بالبنى التحتية للمقاومة، وتفويض المجتمع الدولي لنزع سلاحها[2]، لكن خلال الحرب نشأت أهداف جديدة مثل: استعادة جثث الجنود[3]، منع المقاومة من تحقيق إنجاز، السعي لتعاون إقليمي مع دول الجوار، تدمير الأنفاق الهجومية. وبعد ذلك تراجعت قائمة الأهداف بعد فشل الكيان في وقف القصف الصاروخي الذي تطلقه المقاومة استجابة لما أطلق عليه (كي الوعي)[4]، ثم إلى استخدام فائض القوة الهائل والتدمير الشامل، لتحقيق الهدف الأخير، وهو (هدوء في مقابل هدوء) وسط التهديد بإعادة احتلال القطاع[5]، أو شن حرب استنزاف[6].

لقد شكّل هذا كله إخفاقًا في عملية الدخول إلى الحرب وتحديد أهدافها الاستراتيجية، وإخفاقًا في معرفة طريقة الخروج منها، وفي المقابل

(1) عاموس يادلين: دورية «مباط عال»، العدد 571، بتاريخ 09/ 07/ 2014م.
(2) جاء ذلك في تصريح لرئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو ونقلته صحيفة «يسرائيل هيوم» في 25/ 07/ 2014م
(3) تصريح وزير الخارجية الصهيوني أفيغدور ليبرمان ونشر في صحيفة «معاريف»، 13/ 08/ 2014م
(4) كي الوعي: هو أنه على المقاومة وقيادتها أن يحسبوا خطواتهم المقبلة بدقة عندما يرون آثار التدمير الشامل قبل الإقدام على أي خطوة تصعيدية.
(5) صحيفة «معاريف»، 13/ 04/ 2014م.
(6) المصدر السابق.

أصرت المقاومة على أهدافها، ونجحت في صياغة ورقة موحدة تتضمن رفع الحصار، وإعادة بناء المطار والميناء، وتوسيع المدى البحري للصيد، ورفض أي حديث بشأن سلاحها، أو ربط رفع الحصار بالهدوء الأمني.

كيف استثمرت المقاومة المعالم الأمنية في السيرة النبوية؟

تناولنا في الفصل الأول بعض المعالم الأمنية التي استخدمها الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ في سيرته ودعوته الإسلامية فما كان من فصائل المقاومة إلا أن استثمرت هذه المعالم حيث كان فشل جهازي الأمن الداخلي «الشاباك» والاستخبارات العسكرية «أمان» واضحًا خلال هذه الحرب؛ إذ كانت التقديرات الاستخباراتية متفائلة في سحق المقاومة واستعدادها للقبول بهدنة يضع الاحتلال بنودها. كما أن المعلومات الاستخباراتية عن قواعد إطلاق الصواريخ وأماكن تخزينها وعددها ومداها الذي تصل إليه؛ كانت جزئية، وتباينت التقديرات أيضًا إزاء عدد الأنفاق وأماكنها، ومخارجها ومدى الخطر الذي تمثله، ولم يتم التنبه إلى هذا الأمر إلا في اليوم العاشر من الحرب، وبعد إحدى عمليات التسلل خلف خطوات الجيش الصهيوني، وتمثل الفشل الاستخباراتي أيضًا في عدم القدرة على اغتيال قادة الصف الأول عند بداية الهجوم، كما أنه لم يحقق سوى نجاح جزئي بعد انهيار الهدنة.

إذن المقاومة سخّرت كل طاقاتها الجهادية وأخذت بأسباب النصر حتى تستطيع حيازته، وتكون محصلتها إفشال عدوها، وهذا ما حصل حين فشل الاحتلال في كشف قدرات المقاومة القتالية، وواقعها التنظيمي،

والخلفية النفسية والمعنوية لمقاتليها وقادتها، وهي أمور لا يمكن التوصل إليها عبر الوسائل الاستخباراتية التقليدية، وكذلك ما خططت له الصهيونية من فصل الجغرافيا، وتعميق الفتنة في الصف الفلسطيني ما لبث الفلسطينيون حتى استفاقوا بعد حرب الفرقان، فرصّوا صفوفهم وجندلوا عدوهم، وتحضروا لتحقيق وعد الآخرة.

هل امتثلت المقاومة لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:60]؟

على مدى سنوات الصراع سعى الاحتلال إلى استنزاف الطاقات العربية والإسلامية واستغلال كل خيرات البلاد، واستخدام أعتى أسلحة الإجرام بحق البشرية، بيد أن المقاومة أفشلت مخططاته، «وعلى مدى 51 يومًا بلغ عدد الصواريخ التي أطلقتها المقاومة المحاصرة في غزة والمعزولة عن العالم على مدن الكيان الغاضب 4000 صاروخ تقريبًا منها (2000) يصل مداها إلى 20 كم، وبضع عشرات منها تستطيع الوصول إلى السهل الساحلي والقدس»[1].

ويمكن تقسيم المخزون الصاروخي للمقاومة الفلسطينية من حيث المدى إلى ثلاثة أقسام:

(1) صواريخ قصيرة المدى يتراوح مداها بين 15–40 كم، وتمثل المخزون الصاروخي الأكبر في بالقسام والقدس المصنعة محليًا وغراد الروسي، و107 الكوري، وأنواع أخرى من تصنيع فصائل المقاومة وهي مخصصة لضرب ما يعرف بغلاف غزة.

(1) يوسي ميلمان: مقال بعنوان «البحث عن مخرج»، صحيفة «معاريف»، 24/ 08/ 2014م.

(2) صواريخ متوسطة المدى مثل سجيل 55 محلي الصنع، وقدس متوسط المدى، وخصصت لقصف بئر السبع والنقب ومداها 55 كم.

(3) الصواريخ البعيدة المدى مثل فجر 5 وبراق 70 وبراق 100، وهذه الصواريخ امتلكتها سرايا القدس وأطلقتها على عدة مدن، وكان براق 100 هو الصاروخ الوحيد الذي أطلقته المقاومة طوال سنوات الصراع على مدينة أم خالد "نتانيا» المحتلة.

وكذلك جعبري 80، رنتيسي 160، وقد امتلكت هذه الصواريخ كتائب القسام، وزودت رنتيسي 160 بأجهزة تضليل القبة الحديدية، وكان صاروخ 302 M سوري الصنع يتراوح مداه بين 90–200 كم بحسب الرأس المتفجر الذي قد يصل إلى 145 كغم[1].

وقد حقق استمرار القصف الصاروخي مفاجآت عديدة على المستوى التكنيكي، فسلاح الجو الصهيوني لم يتمكن من تدمير مخزون الصواريخ ومنصات إطلاقها بعدما كان قائد هذا السلاح قد صرح أنه يحتاج إلى 8 ساعات فقط لتدمير المخزون الصاروخي في غزة، وإلى 3 أيام لتدمير مخزون حزب الله، في لبنان، وأظهرت بعض أشرطة الفيديو التي بثت كيفية إطلاق الصواريخ، ووجود قواعد هيدروليكية مخبأة تحت الأرض ومموهة جيدًا، وكذلك توجيه الصواريخ وإطلاقها عن بعد، وبالقرب من كل منها يوجد مخبأ صغير يستوعب 20 صاروخًا[2]. وقد أثار الفيديو الذي بثته سرايا القدس لصاروخ البراق 100 الذي أطلق

(1) يوآف ليفوز: صحيفة «يسرائيل هيوم»، 11/ 07/ 2014م.
(2) المصدر السابق.

على مدينة أم خالد بطريقة الكترونية عبر مكابس هيدروليكية الرعب في قلوب الآلاف من الصهاينة، كما حصل في الفيديو الذي بثته السرايا نفسها لراجمات الصواريخ التي استخدمتها لأول مرة في حرب 2012م، وفيديو لسيدة من سرايا القدس تقوم بتوجيه وإطلاق صاروخ كورنيت على جيب عسكري على حدود غزة.

إن فصائل المقاومة لم تكن تطلق صواريخها بطريقة عشوائية، بل بمهنية عالية وهندسة أمنية جهادية، فالرعب الذي هز الصهاينة استوحته من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، وهذا ما حصل، هرع الصهاينة هاربين مولين الدبر إلى الملاجئ خوفًا من الموت.

وتتمثل المعجزة التي تحققت على يد المقاومة في أن وتيرة إطلاق الصواريخ لم تنخفض حتى اللحظة الأخيرة، وإنما استمرت، وبالتركيز ذاته، على المدن والمستعمرات بما فيها مدن تل الربيع وحيفا وديمونا، والقدس، وفي الأيام الأخيرة جرى استهداف محطة الكهرباء في الخضيرة، وكان هناك محاولات لاستهداف منصات الغاز في عرض البحر، فضلًا عن نجاح الصواريخ في إرباك حركة النقل الجوي وتسببها بإغلاق مطار بن غوريون لأيام، وإبقاء خمسة ملايين صهيوني في الملاجئ مجبرين على المكوث بها، أو البقاء بقربها، وكذلك تم حظر التجمعات البشرية في أرجاء الكيان.

هذا الإجبار لم يحصل بتاريخ العدو بهذه الوتيرة، حيث الارتدادات وتداعيات الدمار الاقتصادي وتفكك الجبهة الداخلية، ونزع الثقة من

الحكومة وقيادة الجيش، والأكثر إيلامًا للكيان هو استمرار القصف في ظل سيطرة جوية صهيونية كاملة على مدى ساعات اليوم، وفي رقعة جغرافية ضيقة محاصرة منذ سنوات، وقد حقق القصف الصاروخي عدة مفاجآت من حيث المدى والدقة، والمحافظة على الوتيرة العددية والتوزيع، والتدرب على تكتيكات لمواجهة منظومة القبة الحديدية، والمحافظة على سرية مستودعاتها، ومنصات الإطلاق، بل كان استخدام تلك الصواريخ التي لم يكن في حسبان العدو كسلاح معنوي حين تم تحديد ساعات قصف مدن تل الربيع المحتلة والقدس بشكل مسبق.

ثمرة الإعداد العسكري ورص الصفوف

تناولنا في الفصل الأول الإعداد الجهادي وشقيه، وأهمية رص الصفوف الجهادية، فعلى الرغم من القصف المجنون والأعمى، والدمار الهائل في المنازل وفي البنية التحتية في قطاع غزة، وتهجير نصف مليون مواطن تقريبًا من بيوتهم، وآلاف الجرحى الذين تكدسوا في المستشفيات مع ما يعنيه ذلك من عبء إنساني كبير؛ فإن منظومة القيادة والسيطرة في المقاومة تميزت بشكل كبير، وظهر ذلك من خلال تمكنها من الحفاظ على زمام المبادرة، والقيام في أوج المعارك بعمليات هجومية خلف خطوط العدو؛ في البر وعبر الأنفاق وعبر البحر في اتجاه القاعدة البحرية الصهيونية في زيكيم، وكان واضحًا حجم الاستعداد المسبق للمعركة دفاعًا وهجومًا؛ إذ تواصلت عمليات القصف والعمليات الهجومية المخطط لها مسبقًا ضمن توقيتات دقيقة.

وفي المقابل بدا العدو مرتبكًا في تقدمه البري ومن دون خطة مركزية مسبقة، معطيًا صلاحيات أوسع للقادة في الميدان، وبدلًا من تحقيق الأهداف المقررة انشغل بمعالجة المهمات الطارئة ومنع خطف الجنود عبر تطبيق بروتوكول «هنيبعل» السري الذي يخوّل الجيش الصهيوني استخدام قوة نارية هائلة، أو أي إجراء آخر، لمنع أسر الجنود حتى لو أدى ذلك إلى مقتل الجندي، وفي مرحلة أخرى، بدا كأن القيادة الصهيونية فقدت قدرتها على اتخاذ القرار بالتقدم البري إزاء الاستمرار في استخدام مفرط ومجنون للقوة.

«لقد تدخل سلاح الجو الصهيوني بفاعلية شديدة في الحرب البرية، ففي 20 يوليو (تموز)، عندما واجه لواء «جولاني» الصهيوني مقاومة شديدة في حي الشجاعية، هاجم سلاح الجو 126 هدفًا خلال 50 دقيقة بقنابل زنة الواحدة منها طن واحد»[1]، «علمًا بأن سلاح الجو الصهيوني نفذ (4762) غارة حتى 5 أغسطس (آب)»[2].

«أما المقاومة فقد نجحت في تصنيع ثلاث نماذج لطائرات بلا طيار أطلقت عليها اسم أبابيل، وهي ذات مهام استطلاعية، وكذلك هجومية عبر إلقائها شحنة متفجرات تحملها، أو عبر الانقضاض مباشرة على الهدف، ونفذت المقاومة 3 طلعات، وفقدت طائرتين تم إسقاطهما بصواريخ باتريوت المضادة للصواريخ»[3].

(1) صحيفة «هآرتس» العبرية، 07/ 08/ 2014م.
(2) صحيفة «يديعوت أحرنوت» العبرية، 06/ 08/ 2014م.
(3) صحيفة «معاريف» العبرية 14/ 08/ 2014م.

سلمان الفارسي، الفارس القدوة لمجاهدي غزة

لقد أشار سلمان الفارسي رضوان الله عليه على الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بحفر الخندق، فكان هذا الخندق سببًا لنصر المسلمين، واندحار الكفار، وفي غزة المحاصرة برًا وجوًا وبحرًا، وقلة العتاد والمال، وتخاذل أشباه الرجال، واللهث خلف عدو الأمة لنيل رضاه، استسقى أهل الرباط والجهاد في غزة السيرة العطرة للرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وأدركوا أهمية حفر النفق في الوقت الذي كان الهجوم يتم بواسطة الخيل، والرمي بواسطة الرمح والسهم، فاليوم تتواجد الطائرات المزودة بأحدث التكنولوجيا للرصد وضرب الصواريخ، فالخندق كان فوق الأرض، وغزة جعلت منه سلاحًا استراتيجيًا تحت الأرض بات يعرف بمنظومة الأنفاق التابعة للمقاومة، وهي أحد أسرار المقاومة الكبرى التي فشل الاحتلال في كشفها أو إحباطها مجملة.

«فقد ادعى الجيش الصهيوني أنه دمر 32 نفقًا هجوميًا، تمتد أو تتجه داخل السياج الحدودي، وبعضها يسمح بخروج أكثر من سرية مقاتلين خلف الخطوط، والقيام بهجوم واسع، غير أن هذا ليس أكثر من رأس جبل الجليد، فأحد المكونات الأساسية لقوة المقاومة، والذي يمكن أن يشكل مقابلًا للتفوق الصهيوني في مجالات التكنولوجيا والاستخبارات والقدرة النارية الهائلة؛ يكمن في تلك المنظومة الكاملة التي بنتها تحت الأرض، والتي تشمل قدرات دفاعية وهجومية واسعة النطاق»[1].

(1) عاموس يادلين: دورية «مباط عال»، العدد 571، بتاريخ 09/ 07/ 2014م.

«وادعى الجيش الصهيوني أنه كان يعلم بوجود الأنفاق وأنه درب بعض وحداته على مواجهتها، فإن الوقائع كشفت أنه لم يبدأ العمل ضد الأنفاق إلا بعد أن تسلل 13 مقاتلًا خلف الخطوط قرب مستعمرة صوفيا، واضطراره إلى شن عملية برية في 17/ 07/ 2014م، وبعمق 2-3 كم، فقط، في محاولة لمنع تجربة عملية صوفيا»[1].

ولم تكن الحرب البرية التي وقعت في الأسبوع الثاني من القتال نزهة سهلة، ففي كل متر حاولت وحدات النخبة في الجيش الصهيوني التقدم فيه واجهت الألغام والعبوات البرميلية من طراز كليمور، والتي سبق أن استخدمها حزب الله اللبناني سنة 2006م، وكذلك المكتاه، والأشراك الخداعية وصواريخ الكورنيت ونيران القناصة وقذائف RPG والمنازل التي أخلاها المواطنون كي تفخخها المقاومة.

هذا وكان من أبرز الإنجازات خروج عشرات أو مئات المقاتلين من فتحات الأنفاق المموهة من داخل المباني والحدائق والشوارع والأراضي الزراعية، ولم يكن هدف الأنفاق التسلل خلف خطوط العدو فقط، بقدر ما كان جزءًا من خطة دفاعية كاملة فاجأت العدو، ومنحت المقاومة حرية الحركة بعيدًا عن عيون طائرات الاستطلاع ووسائل المراقبة الالكترونية، وهو قتال كانت الغلبة فيه لمن هم تحت الأرض على الذين فوقها ويحلّقون في سمائها.

وازداد اعتماد الجيش الصهيوني في حرب 2014م على التكنولوجيا الحديثة وعلى قوة النار الهائلة التي يمتلكها، ولكن وكما هو الحال في حرب تموز 2006م في لبنان فإن الدبابة والطائرة والصاروخ لا تحتل أرضًا، ولا

(1) يوسي يهوشع: مقال بعنوان «أين الجرأة»، صحيفة «معاريف»، 24/ 08/ 2014م.

تنهي مهمة أو حربًا، فعلى الأرض يحتاج الجيش إلى جندي المشاة الذي عليه أن يغادر مدرعته كي يقوم بعمليات البحث والتطهير والاشتباك القريب.

ومنذ حرب 2006م في لبنان والانتقادات تتوالى على الجيش الصهيوني ليس على حجم القتل والدمار بحق المدنيين، بل بسبب تراجع المستوى القتالي لديه، والتركيز على استخدام التقنيات العالية التي تجعل القائد يدير المعركة وهو جالس خلف جهاز الحاسوب بعيدًا عن جنوده في ميدان المعركة، كما اهتم الجيش بزيادة قوة النار على حساب تدريب وإعداد المشاة، ويرى بعض المحللين الصهاينة أن وحدات المشاة أرهقتها الانتفاضتان، الحجارة والأقصى، عندما تحول الجيش إلى قوة شرطة تطارد الشبان في الشوارع، وعلى الرغم من التوصيات التي أعقبت المواجهات السابقة إزاء دور ألوية المشاة فإن شيئًا منها لم يتم العمل به، وبالتالي عجز الجيش الصهيوني عن حل هذه الثغرة الخطرة في صفوفه، بل إن ألوية المشاة وصلت إلى الجبهة منهكة بعد عمليات المطاردة والتفتيش التي قامت بها في الضفة الغربية في إثر عملية خطف المستوطنين الثلاثة في الخليل.

«وفي الخلاصة فإن الجيش الصهيوني لم ينجح في التوفيق بين التطورات التقنية العالية وقوة النار الهائلة والاتصالات الحديثة، وبين علم الحرب فيما يتعلق بالقوات البرية، إن الإهمال في هذا الجانب، ومن دون شك؛ سيخضع مجددًا للفحص والتحقيق في المستقبل القريب»[1].

ومرة أخرى أثبت الجهد الطويل الذي بذلته المقاومة في الإعداد

(1) يوسي يهوشع: مقال بعنوان «أين الجرأة»، صحيفة «معاريف»، 24/ 08/ 2014م.

للدفاع وبأعلى درجات السرية تفوق الدفاع على الهجوم، ونجاح المقاومة في التصدي للتوغل المحدود، ويجدر الإشارة إلى نقطتين:

أولًا: انسحاب القوات الصهيونية إلى خلف الحدود فور دخول الهدنة حيز التنفيذ تاركة خلفها بعض معداتها المدمرة، وهي المرة الأولى في تاريخ الصراع _العربي الصهيوني_ التي تنسحب منها القوات الصهيونية فورًا ومن دون قيد أو شرط من الأراضي التي احتلتها، على عكس عادتها في استغلال ساعات ما قبل الهدنة لاكتساب أراض جديدة، ثم الدخول في مفاوضات طويلة بشنها.

ثانيًا: «تردد قيادات الجيش الصهيوني في الدخول إلى قطاع غزة بعد انهيار الهدنة، وبدلًا من ذلك لجأت لاستخدام سياسة فائض القوة من أجل ردع المقاومة عبر توجيه ضربات قوية إلى البنية التحتية»[1]، «وقدرت قيادات الجيش أن دخول غزة والقضاء على المقاومة سيكونان عملية مكلفة وطويلة وقد تستغرقان من 6 أشهر إلى عام»[2].

نتائج حرب البنيان المرصوص:

(1) سقوط 2174 شهيدًا بينهم 1743 مدنيًا، أي نسبة 83 ٪ و(340) مقاومًا بنسبة 7 ٪.

(2) جرح 10.870 فلسطينيًا.

(1) وفق الباحث في مركز دراسات الأمن القومي «الإسرائيلي» غابي سيبوني، موقع والاه العبري، 12/ 07/ 2014م.

(2) صحيفة «يسرائيل هيوم» العبرية، 27/ 07/ 2014م.

(3) تدمير 17.132 منزلًا بشكل كامل، وخمسة أبراج سكنية، وتضرر 39.500 منزلًا بشكل جزئي.

(4) تدمير البنية التحتية من محطات الكهرباء والمياه والصرف الصحي والمصانع وعدد كبير من المساجد[1].

(5) مقتل 72 صهيونيًا بينهم 66 جنديًا.

(6) إصابة 720 جنديًا صهيونيًا بجروح، وهؤلاء غالبيتهم سقطوا خلال عملية التوغل البري المحدود، الأمر الذي يشير إلى عنف القتال الذي دار على الشريط الحدودي لغزة، ومن بين القتلى الصهاينة:[2]

أ. ضابط برتبة مقدم.

ب. 3 ضباط برتبة رائد.

ت. 5 ضباط برتبة نقيب.

ث. 6 ضباط برتبة ملازم.

ج. 47 ضابط صف.

ح. 3 جنود فقط.

(7) شكّل العبء الإنساني عامل ضغط كبير على المقاومة؛ إذ إن نحو نصف مليون هجّروا من منازلهم.

(8) نقص فادح في الحاجيات الطبية.

(1) المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان.
(2) حسب بيان الجيش الصهيوني في الموقع الإلكتروني (0404) التابع للجيش الصهيوني.

(9) خطف المقاومة لعدد من الجنود الصهاينة، كشفت عن 4 أسماء منهم.

(10) فشل الاحتلال في القضاء على منظومة الصواريخ والأنفاق وكافة أشكال المقاومة.

(11) نجحت المقاومة في تقييد حركة 5 ملايين صهيوني، وفي تهديد مفاعل ديمونا، ومطار بن غوريون، والوصول إلى المدن الكبرى، وإدامة المعركة 51 يومًا من دون أن يظهر عليها بوادر الضعف، أو الانكسار.

(12) تفوقت المقاومة في التفكير العسكري الإبداعي[1].

(13) حرب البينان المرصوص أنهت نظرية الحرب الخاطفة التي كان يعتنقها الجيش الصهيوني، وأثبتت إمكانية مواجهته أشهرًا طويلة، من طرف قوى أقل منه عددًا وعدة وتطورًا.

(14) خروج الجبهة الداخلية الصهيونية عن دائرة المعركة، أي أنها ستكون في مرمى المقاومة.

التبعية البائسة، سياسة بائسة

بعد انكسار شوكة العدو في فلسطين وعلى امتداد سنوات الصراع؛ عمل الاحتلال على مبدأ الصهيونية «فرق تسد»، أي بات يبحث عن مرتع له ينهب خيراته، ويثقل صدره على أهل الجهاد، وأصحاب الحق القاهرين لرأس الكفر، العدو الصهيوني وشيطان الكفر (الولايات المتحدة

(1) البروفيسور الصهيوني «حيزقيل درور»، عضو لجنة فينوغراد.

الأمريكية)، فظل يبحث عن نفوس يغزوها الغرور وحب الدنيا وضمن خطط مدروسة من جهاز الموساد حتى لقي ضالته في بعض الدول العربية التي ينطبق عليها قوله تعالى ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: 52].

«فالموساد يلعب دورًا مهمًا في سياسة الظل الخارجية للاحتلال، مع الدول العربية (المعتدلة) فلم يكن اتفاق التطبيع مع بعض الدول العربية استثنائيًا، وبدأ الموساد عمله منذ نشأ الكيان الصهيوني حين ترأسه رؤوفين شيلوح، وفيما كان الموساد في سنواته الأولى بعيدًا عن الكشف والعلنية فقد بدأ في السنوات الأخيرة يعمل علانية بصورة مكشوفة»[1].

فالموساد الذي يقود عمليات الاغتيال للقيادات العربية والإسلامية المقاومة للكيان حول العالم بات وليًا لبعض الدول العربية والإسلامية، وعلى حساب الدم الفلسطيني وضمن أسس واستراتيجيات مدروسة من قبله، ويلقنها لجهلة تجاهلوا قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: 57]، فالآية الكريمة واضحة بالنهي عن ولاية الكفار إلا أنها باتت بين حجري رحى الاحتلال؛ لأنهم في موافقتهم على هذه الاتفاقيات لن يضروا الشعب الفلسطيني فقط، بل وضعوا أنفسهم في دائرة الاستهداف؛ لأن الكيان فشل في مخططاته الرامية إلى إقامة وطن قومي في فلسطين، وأصبح يبحث عن مخرج لمأزقه، ولكن بشكل يضمن احتضانه، بصورة قانونية، ويرسخ قواعد احتلال جديدة له عن طريق إقامة دولة الكيان العظمى.

(1) رامي أبو زبيدة: «الموساد رأس حربة إسرائيل في الجرائم والتطبيع»، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، 2020م، ص 1.

إن الاحتلال يعي تمامًا أن كيانه بني على باطل، وهذا البطلان اقترب وعد الله بزواله فيحاول إشعال الفتن قبل الزوال، يقول سبحانه: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]، فالحديث عن الموساد واسمه يعيد إلى ذاكرتنا جرائم قتله التي لا يخجل منها ويتباهى بالقتل بيديه ويتلذذ لمرأى الضحية وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

«صورة الموساد، أي ذاك العدو الذي يتجول في الدول العربية تحت عنوان التطبيع والسلام المزعوم، تستند إلى سجل من جرائم القتل على امتداد العالم عصابات من القتلة يعملون كمرتزقة بتكليف من رؤسائهم أنفسهم»[1].

فالتطبيع لا يكاد يقتصر على الأمور السياسية فقط، بل شمل شتى مناحي الحياة ليتم تكبيل الدول المطبعة مع الاحتلال في ويلات تتكدس في أدراجها، وتغدو في عنق زجاجة الاحتلال، ونأخذ مثالًا على رأس الدول المطبعة الإمارات العربية.

ففي عام 2008م وقعت هيئة المنشآت والمرافق الحيوية في أبو ظبي عقدًا بلغ ثمنه 816 مليون دولار مع شركة أي جي تي انترناشونال، وهي شركة سويسرية يمتلكها رجل أعمال صهيوني من أجل شراء معدات مراقبة البنية التحتية الحيوية في الإمارات، وتعزيز قدرتها الاستخباراتية والأمنية بنظام مركزي للمراقبة الأمنية، وفي عام 2018م اشترت الإمارات من مجموعة A50 الصهيونية تكنولوجيا قرصنة الهواتف والتجسس على المستوى العسكري، وتشارك الإمارات في تمارين عسكرية إلى جانب الكيان الصهيوني»[2].

(1) المصدر السابق.

(2) مقال بعنوان: «الإمارات وإسرائيل جنبًا إلى جنب في مناورات عسكرية في اليونان»، قناة الميادين، 21/ 04/ 2019م.

«وفي عام 2018م شاركت وفود صهيونية في مسابقات دولية رياضية إضافة إلى مؤتمرات ثقافية واقتصادية وعلمية في أبو ظبي ودبي، وتم توقيع اتفاقيات لافتتاح كنيس يهودي في دبي وإقامة الصلاة فيه»[1].

أما على البعد الأمني فكان له سبق لوجود الاحترام بين الطرفين، «فقد سبق هذا الاتفاق عملية اغتيال للفلسطيني محمود المبحوح في دبي، وإرسال الوفد الاستخباراتي أثناء عدوان 2014م إلى غزة وإمداد الإمارات ببرامج التجسس، أي ضرب وتجفيف منابع الإمداد لدى حركات الإسلام السياسي»[2].

ما هو جوهر التطبيع؟

«المطلوب أمريكيًا وصهيونيًا من العرب أن يتخطى التطبيع حدوده الشكلية (معاهدات سلام، إنشاء شبكة علاقات سياسية، اقتصادية، رياضية... الخ)، وتطويره وتحويله إلى هدف استراتيجي قائم بحد ذاته، ومن دون ربطه بمشاريع حلول التسوية بين السلطة الفلسطينية والاحتلال، ومن خلال توقيع اتفاقيات سلام وتطبيع مع دول عربية يقف الاحتلال قاب قوسين أو أدنى من تحقيق رؤيته الأمنية التي تقوم على نظرية (الجدار الحديدي) والتي تقول إن العرب هم (أمة حية) لن يتخلوا عن حقوقهم الأساسية أو يتنازلوا عنها، وإن الاحتلال فقط إذا أقام جدارًا حديديًا على شكل قوة عسكرية كبيرة وقوة عظمى راعية حامية ومساندة فربما يرضخ هؤلاء العرب ويتنازلون عندئذ عن أرض إسرائيل»[3].

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) رامي أبو زبيدة: «الموساد رأس حربة إسرائيل في الجرائم والتطبيع»، المعهد المصري

هذه النظرية تؤكد أن الشعوب العربية غير راضية عن التطبيع مع عدو الأمة، ولكن حكومات الدول المطبعة بحد ذاتها غالبًا ما تكون من إفرازات الصهيونية، وتقوم على قمع الشعوب واستنزاف طاقاتها إن عارضتها، وبدا جليًا المعارضة للتطبيع، فكان هناك وسم «هالتطبيع_خيانة» عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وخرجت العديد من المسيرات الشعبية في شتى الدول العربية والإسلامية، ولكن سرعان ما خبت نيرانها المشتعلة بسبب شدة القمع والاعتقالات من قبل الحكومات الخائنة[1].

«إن نظرية الجدار الحديدي أعاد رئيس الوزراء الصهيوني السابق بنيامين نتنياهو صياغتها من جديد عبر شعار (السلام مقابل السلام) الذي ينطلق من أن قوة «إسرائيل» وسطوتها في المنطقة هي القادرة على فرض السلام أو الاستسلام على الدول العربية، ودفعتها للتسليم بالأمر الواقع والتعامل معه لمصالحها، كما يجري التطبيع على اعتبار الأمن وتحقيق التفوق الصهيوني الشامل والدائم للكيان الصهيوني على العرب، ومحاولة تغيير الصورة الذهنية للصهاينة من أعداء إلى شركاء، وإعادة تركيبها لتتوافق مع فكرة وجود وشرعية واستحالة زوال الكيان الصهيوني»[2].

في خلاصة الأمر يتضح أن جوهر التطبيع بالنسبة للكيان الصهيوني، بمساراته واشتراطاته هو تصفية وليس لتسوية القضية الفلسطينية، وتوفير اللحظة التاريخية التي يتحول فيها الفلسطيني من المقاومة إلى التسليم

للدراسات، إسطنبول، 2020م، ص 1.

(1) مقال بعنوان: «الإمارات وإسرائيل جنبًا إلى جنب في مناورات عسكرية في اليونان»، قناة الميادين، 21/ 04/ 2019م.

(2) رامي أبو زبيدة: «الموساد رأس حربة إسرائيل في الجرائم والتطبيع»، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، 2020م، ص 1.

والقبول بالمعروض، كما يحقق للكيان الصهيوني فوائد عدة أخرى بخلاف فرض الرؤية الصهيونية في تسوية الملف منها: «السماح لهذا الكيان بالاستفادة أمنيًا واقتصاديًا من محيطه العربي، وتحسين مكانته الدولية بين الدول خصوصًا الداعمة للقضية الفلسطينية، وفي القلب منها الدول الإسلامية غير العربية، كل ذلك دون أن يضطر إلى تقديم أية تنازلات»[1].

السيف الصارم، سيف القدس

في ظل الخطط الصهيونية الرامية لتجزئة الوطن العربي بشكل عام وتقطيع أوصال فلسطين ومحاصرتها بشتى الوسائل؛ دعا شارون للانسحاب من قطاع غزة، وتوالت السياسات الصهيونية والعسكرية بتشديد الضربات على قطاع غزة، وحصاره جوًا وبحرًا وبرًا، ليكون القطاع بمثابة المدافع وليس بمثابة المهاجم؛ لأن انتفاضة الأقصى وعملياتها الاستشهادية أخذت الطابع الهجومي، فأصبح الاحتلال يقدم على الجرائم الحمقاء بحق الأسرى والمسجد الأقصى والضفة الغربية، ولكن هذه المرة سعى لإحداث نكبة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني عن طريق تهجير حي الشيخ جراح في القدس، فما كان للمقاومة هذه المرة إلا أن تأخذ زمام المبادرة بالمهاجمة فقامت بقصف الكنيست الصهيوني في القدس قبيل انعقاده.

وقد جاءت هذه المعركة التي أطلقت عليها المقاومة اسم (سيف القدس) في وقت عصيب من ناحية انسداد الأفق في عدة اتجاهات منها:

(1) عماد العشماوي: «استراتيجية الكيان الصهيوني في التطبيع مع الدول العربية كيف نفهمها ونقاومها؟»، مجلة مداد الأدب، 18/ 02/ 2019م.

(1) التهديد المستمر لتصفية القضية الفلسطينية.

(2) استمرار حالة الانقسام الفلسطيني.

(3) استغلال الاحتلال لحالة التطبيع العربي غير المسبوقة معه.

(4) هشاشة الوضع الصهيوني داخليًا وخارجيًا، حيث أجرى 3 انتخابات متتالية، ويحضر لجولة رابعة، وكذلك نجاح جو بايدن برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية الذي خلف صاحب مبادرة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس ومعد صفقة القرن رونالد ترامب.

المقاومة حددت الهدف واغتنمت الفرصة، وهكذا بدأت سيف القدس، فقد ارتبط اسم المعركة ارتباطًا عضويًا لا يمكن لأحد التشكيك به، سيف القدس بهدفها الأساس (القدس والأقصى)، فعند الحديث عن معركة سيف القدس، يتبادر إلى الذاكرة مباشرة الأقصى والشيخ جراح وحواجز باب العامود، فهذه المعركة نقشت في ذاكرة التاريخ أنها من أجل القدس ومقدساتها.

«ولما كان للأقصى والقدس ما كان من مكانتها وموقعها في دائرة الصراع العربي الصهيوني فإننا نجد أن أحداث عظامًا ارتبطت بالقدس، وكانت القدس هي فتيل الإشعال لتلك الأحداث ومحورها، كهبة النفق 1996»[1]، وكذلك الانتفاضة الثانية عام 2000م انتفاضة الأقصى، أيضًا الأقصى الذي أشعل فتيلها[2]، وفي تصنيف الاستراتيجيات الستة لـ «صنً

(1) إيان بلاك: «حروب إسرائيل السرية»، دار الجيل للطبع والنشر، 2016م، ص 30.
(2) المصدر السابق.

تـزو» في كتابـة فـن الحـروب، تحـدث عـن أن هـذه الاسـتراتيجيات معتمـدة بالأسـاس عـلى الحـالات التاليـة:

(1) التمتع بالأفضلية.

(2) انتهاز الفرصة السانحة.

(3) الهجوم.

فيـما كانـت الثالثـة مـن الاسـتراتيجيات تسـتخدم في حالـة الدفـاع وفقـدان الأفضليـة، وهـي تحديـدًا اسـتراتيجيات الفـوضى والإربـاك والخـداع وأخـيرًا إسـتراتيجية المواقـف اليائسـة، ويضـاف لفـن الحـرب الفـن السري للحـرب[1].

أسباب سل السيف من غمده:

«لقـد تابـع العـالم كيـف تصاعـدت الأحـداث بعـد محاولـة حكومـة الاحتلال طـرد 28 عائلـة فلسـطينية مـن حـي الشـيخ جـراح، ثـم محاولـة تفريغ بعض السـاحات في المسـجد الأقصى من أجل السـماح للمسـتوطنين المتشـددين المتدينين أن يدخلـوا ويقيمـوا احتفالاتهـم داخـل سـاحات المسـجد الأقـصى[2]، «فكانـت المقاومـة هـذه المـرة ناجحة وبشـكل كبـير باتبـاع اسـتراتيجيات جديدة قائمـة عـلى (التمتـع بالأفضليـة والمبـادرة وانتهاز الفرصـة) والتـي أقدمت عليها المقاومـة في لحظـات كانـت أحـوج مـا تكـون لهـا القـدس والأقـصى والشـيخ

(1) صن تزو: «فن الحرب»، دار أجيال للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص 138.
(2) محمود الرنتيسي، مقال على قناةTRT، بتاريخ28/ 05/ 2021م.

جراح، فبادرت بالهجوم بعدما هددت الاحتلال»[1]، في 10/ 05/ 2021م، «وهدفت المقاومة في الأساس من إطلاق الصواريخ لخلق معادلة تقوم على توازن الرعب، فليس الهدف من الصواريخ تكثيف القتل والتدمير بقدر ما يهدف إلى نزع فتيل الأمن والأمان، وشل الحياة الطبيعية واقتصاد الدولة، وقد استخدمت المقاومة لتحقيق استراتيجية نظرية (التركز) وهي تركيز الإطلاق على مناطق بعينها (تختارها المقاومة لأسباب معينة) حتى يصيبها الشلل وتتوقف بها الحياة»[2].

حيثيات معركة سيف القدس:

«كان التصعيد في غزة في معركة سيف القدس التي سماها الاحتلال «حارس الأسوار» هي أول اختبار لإدارة بايدن في الساحة الفلسطينية»[3]، وخلال هذا الاختبار بدا جليًا الظهور البارز للصواريخ البعيدة المدى التي كانت تجوب كافة أرجاء فلسطين المحتلة، فبرز صاروخ القاسم والذي أطلقته سرايا القدس، وكذلك صاروخ العياش الذي أطلقته كتائب القسام، والعشرات من الصواريخ المتعددة المدى التي أطلقتها كافة فصائل المقاومة، وكان اللافت في هذه الحرب ظهور غرفة العمليات المشتركة لفصائل المقاومة بالأسباب الحقيقية التي أسست لأجلها، وهي الجهاد في أرض الجهاد، والدفاع عن المسجد الأقصى والقدس وكافة التراب الفلسطيني.

(1) رونين برغمان وايتي ايلينساي: صحيفة «يديعوت أحرنوت» العبرية، ملحق 7+43، 14/ 05/ 2021م.
(2) قناة كان العبرية: «حملة بدون حسم»، 21/ 05/ 2021م.
(3) أودي افينطال: معهد السياسات والاستراتيجية، 01/ 06/ 2021م.

وكذلك كانت وسائل الإعلام تنتظر لحظة بلحظة التصريحات العسكرية التي كان يخرج بها كل من الناطق العسكري باسم كتائب القسام (أبو عبيدة)، والناطق العسكري باسم سرايا القدس (أبو حمزة)، والأخذ بعين الاعتبار كل ما يصدر عنهما، ويتم التحضير لمرحلة ما بعد التصريح وانتظار النتائج.

كما تقدم الصفوف الجهادية في معركة سيف القدس قيادات من الصف الأول كالقائد العام لكتائب القسام محمد الضيف، وقدمت سرايا القدس قائد لواء الشمال في قطاع غزة الشهيد حسام أبو هربيد الذي يعتبر خليفة الشهيد القائد بهاء أبو العطا، «كما أصيب قائد سرايا القدس في مدينة دير البلح وعضو المجلس العسكري في لواء الوسطى، ومسؤول العمليات والتشكيل العسكري في المحافظة الشيخ القائد ياسر عطية المصري (أبو مصعب) الذي كان له دور بارز في تجهيز العديد من العمليات الاستشهادية، والكمائن النوعية، والإشراف المباشر على ملفات مهمة وحساسة في سرايا القدس خلال انتفاضة الأقصى المباركة، والذي يعد المنشئ الأول لحرب المدن وهو التخصص الذي تفردت به سرايا القدس في حينه قبل تعميمه على سائر فصائل المقاومة لاعتماده في الإعداد والتجهيز، بالإضافة لبصماته الكثيرة في العديد من التخصصات والمجالات الميدانية، العسكرية والأمنية، والتنظيمية، التي عرفتها فلسطين وأبناؤها[1].

وظهر جليًا أن المقاومة كانت تستهدف المؤسسة الأمنية بشكل

(1) حوار مع الشيخ الأسير يسري عطية المصري، شقيق القائد ياسر المصري، عندما التقيته في سجن النقب الصحراوي عقب الحرب، قسم (3).

خاص، كالكنيست الصهيوني في القدس، وضرب المدرعات، واستهداف القواعد العسكرية.

بينما كان الاحتلال يدمر كل ما تطاله يد الإجرام في قطاع غزة، من مدنيين ومبانٍ سكنية، وأبراج تجارية، ومقرات إعلامية ومراكز صحية.

نتائج حرب سيف القدس:

(1) استطاعت المقاومة حسم المعركة خلال 11 يومًا.

(2) وضوح قوة الردع لدى المقاومة حيث عندما أقدمت على هذه المعركة أقدمت من منطلق القوة والدفاع عن الأقصى.

(3) انتهاء إستراتيجية الاحتلال أن فصائل غزة وجدت للدفاع عن غزة فقط، بل أثبتت المقاومة أنها تدافع عن كافة جميع التراب الفلسطيني وعن جميع المقدسات.

(4) ارتباك الاحتلال وتدمير اقتصاده، وأمنه، وتفكك جبهته الداخلية، وفشل كل سيناريوهاته التي وضعها لمواجهة فصائل المقاومة.

(5) اشتعال كافة فلسطين وخاصة الداخل الفلسطيني الذي سعى الاحتلال منذ وجوده إلى تحويل فلسطين داخل حدود 48 كأقلية عربية داخل الكيان، «وانتظمت ساحات فلسطين كلها في حالة فعل ميداني على إيقاع المعركة، فكانت القدس والضفة الغربية وأراضي 48 تشترك في المهمة إلى جانب غزة، حيث الالتزام الحديدي بأحزاب الكرامة الذي عم فلسطين»[1].

(1) لمى خاطر، مقال فلسطين أونلاين، 26/ 05/ 2021م.

(6) نجحت الفصائل في استخدام جماهير عربية وفلسطينية قرب الحدود مع فلسطين[1].

(7) إعادة القضية الفلسطينية إلى أصلها وجوهرها وحالتها الأصلية الحقيقية[2].

(8) تعدي التقسيمات الجغرافية والسياسية وكل مشاريع التسوية[3].

(9) بروز القدس لتبقي محور المواجهة الأول حتى زوال الكيان[4].

(10) سقوط سردية الكيان المزيفة حيث لم تعد آلة التلقين العقائدية بتمثيل دور الضحية تجدي نفعًا أو يُسلَّم بها أمام الرأي العام العالمي لتبرير جرائمه، وفي المقابل أصبح هناك تحول وقناعة لدى الرأي العام بالرواية الفلسطينية.

(11) فشل العدو في تحقيق استقرار سياسي لدى مستوطنيه.

(12) استشهاد 230 فلسطينيًا[5].

(13) مقتل 12 صهيونيًا[6].

أبعاد استلال سيف القدس من غمده

عندما باشر الكيان الصهيوني باتخاذ إجراءاته بحق عائلات الشيخ

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.
(5) الحواس النقية، رويترز، 23/ 05/ 2021م.
(6) الحواس النقية، رويترز، 23/ 05/ 2021م.

جراح لم يتجاهل هزائمه النكراء في لبنان وغزة، ولكن في هذه المرة اعتقد أن الأجواء المحيطة بفلسطين، والأوبئة التي تنتشر في العالم، ونجاح بايدن بالانتخابات الأمريكية ستجعل المقاومة تتردد في صد عدوانه والدفاع عن شعبها؛ فكان العنصر الضاغط في سيف القدس هو حالة الإضراب داخل الخط الأخضر، والقلق من توسيعها وميلها لمزيد من العنف، إلى جانب الشلل الذي أصاب مرافق حيوية صهيونية، من طيران مدني أو قطارات أو تعطيل للمدارس والمصانع، والاستمرار لمئات الآلاف في الملاجئ، وهو ما يستدعي من قيادات المقاومة إيلاء استمرار التواصل مع هذا القطاع من الشعب الفلسطيني وأولوية كبرى.

وكذلك رص الصفوف مع بقية قوى محور المقاومة بما يخدم توسيع دائرة مواجهة العدو الصهيوني والمعركة السياسية بعد استلال سيف القدس ستتمحور حول الأبعاد التالية:

(1) سيسعى الكيان الصهيوني لجعل الهدنة هدنة دائمة.

(2) سيعمل الكيان على اتخاذ إجراءات لتثبيت الانطباع بأنه لم يتراجع عن مصادرة منازل الشيخ جراح والانتهاك للأقصى.

(3) سيتم جعل موضوع الجنود الصهاينة الأسرى لدى المقاومة الذين تم اختطافهم في حرب البنيان المرصوص، أو جثثهم جزءًا من المساومات في مرحلة ما بعد القتال.

(4) سيتم تعامل القوى الدولية الفاعلة مع طرفين فلسطينيين

تتباين توجهاتهما الإستراتيجية، فالمقاومة تسعى لتصليب مقومات المقاومة، بينما تسعى السلطة الفلسطينية للعودة للاستظلال بشجرة أوسلو الجافة، وسيعمل الكيان على تدعيم المسار الثاني بقيادة السلطة.

(5) ضرورة استثمار معركة سيف القدس استثمارًا إعلاميًا وثقافيًا لتأكيد فعالية العمل المقاوم مقارنة بدبلوماسية أوسلو التي فشلت فشلًا ذريعًا، وهو ما يؤسس لتوسيع القاعدة الشعبية المساندة للمقاومة.

(6) تعزيز وتطوير دور الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة في غزة خاصة في حالة تجدد الاشتباك وهو أمر محتمل بدرجة كبيرة في ظل القوة التي رافقت شروط وقف إطلاق النار مع تأكيد المقاومة بأن السيف ما زال مستلًا من غمده.

الفرق بين حرب البنيان المرصوص (2014) ومعركة سيف القدس (2021)

حرب البنيان المرصوص 2014	معركة سيف القدس 2021
شنها الاحتلال بلا أسباب واضحة وبحجة خطف المقاومة 3 صهاينة في الخليل.	خاضتها المقاومة الفلسطينية لردع الاحتلال عن تماديه وتغوله في القدس (الأقصى وحي الشيخ جراح).
المقاومة ربطت اسمها بالآيات القرآنية.	ارتبط اسمها بالقدس.
أسفرت عن استشهاد 2174 مواطنًا.	أسفرت عن استشهاد 230 مواطنًا.
أسفرت عن مقتل 72 صهيونيًا.	أسفرت عن مقتل 12 صهيونيًا
أسفرت عن خطف عدد من الصهاينة لدى المقاومة.	لم يكن هناك خطف لأي صهيوني.
اقتصرت المقاومة على غزة.	جابت المقاومة كافة التراب الفلسطيني والمحيط.
جاءت بعد عامين من حرب السماء الزرقاء.	جاءت بعد 7 أعوام من حرب البنين المرصوص.
استمرت 51 يومًا.	استمرت 11 يومًا.
أطلقت عليها المقاومة عدة مسميات.	أجمعت المقاومة على اسم سيف القدس.
أنهت المقاومة بهذه الحرب نظرية الحرب الخاطفة التي كان يتغنى بها العدو.	المقاومة هي من بدأتها وهي من أوقفتها، وتحول العالم من مناصر للعدو ومدافع عنه إلى وسيط بين الطرفين.

سيف القدس نحو تحقيق وعد الآخرة

«لم يعِ العرب يومًا المعنى بعيد الأثر لاستزراع الكيان الصهيوني ككيان غربي وعدواني في نقطة الفصل الاستراتيجية بين الحالين، الآسيوي والأفريقي، من وطنهم العربي، ولو وعوا حقًا لعملوا على مواجهته ومنع قيامه، ولما ضيعوا فلسطين وأغرقوها في بحر خطب توعدت بتحريرها، من دون أن يترجموها إلى واقع يرد عنهم تحدي السرطان الذي ينكر يومًا تصميمه على تقويض محاولاتهم للخروج من عالم الضعف والتشتت؛ خدمة لأهدافه كإسفين يسخّر موقع فلسطين في جغرافيا العالم ضد عالمها العربي ويكرس وظيفته لإدامة سيطرة امتداداته الدولية على أمة لا يجوز أن تخرج من احتجازها التاريخي، ولابد من بقائها خاضعة، ومن احتوائها عبر سقوف سياسية شديدة الانخفاض»[1].

فلو استنهض العرب قواهم وتمعنوا بقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، لاستيقنوا باقتراب الوعد الرباني وسخروا قواهم ضد الكفار الصهاينة وليس لولاتهم والتطبيع معهم، ولقوضوا جهود شعوبهم لبناء أوضاع ذاتية استنهاضية الطابع، تبارح بوسطتها ما ترزح تحته من تخلف وركود، وتناحر وتبعية، وتكبح ما في واقعها من آليات تعيد إنتاج تأخرها المديد وتعميقه، وهو الذي يبقي هذه الشعوب أسيرة فشل يستنزف تراكم قدراتها في ظل دور الكيان حارس ما يرهقها من هويات صراعية وتمزيقية

(1) ميشيل كيلو: مقال في العربي الجديد، 05/ 09/ 2020م.

تغـذي انقسـاماتها الداخليـة والبينيـة وتقطـع صلاتهـا بـما قـد يلحقهـا مـن توجهـات بالعـالم والعـصر»[1].

ففشـل الخطـاب الإعلامـي الصهيـوني في ضرب وتفتيـت الترابـط لأبنـاء الشـعب الفلسـطيني بعـد النجـاح الهائـل للإعـلام العسـكري للمقاومـة، وفتـح فاتـورة حسـاب جديـدة عـبر وسـائل وأدوات لا تقـل في التدمـير النفـسي عـن قـوة وكثافـة النيران[2]، مـا هـو إلا خـير دلالـة عـلى هـزال هـذا الكيـان ولخرابـه داخليًـا، وهـذا مـا قالـه يـوسي يهيوشـواع: «أن الخطـر الاسـتراتيجي الأكثـر إثـارة للقلـق هـو روح القتـال والتطـوع في الجيـش «الإسرائيـلي» وهـي انخفاض الرغبـة في الانضـمام لألويـة متتاليـة في الجيـش في أوسـاط الشـباب، والانضـمام للجيـش الثابـت غـير الاحتيـاط الذيـن يمارسـون الجنديـة كمهنـة وحيـدة لهـم»[3].

وهـذه دلالـة واضحـة عـلى أن الجيـش الصهيـوني وقياداتـه فشـلوا مـن جديـد وعـلى مـدار السـنين في إحبـاط الـروح المعنويـة للشـعب الفلسـطيني «وأن المقاومـة راكمـت قدراتهـا في كـم هائـل للسـيطرة والتحكـم بقواعـد الاشـتباك وتحديـد وقـت الهجـوم والأماكـن المستهدفة»[4]، لأن المقاومـة تـدرك حقيقـة الـصراع وبطـلان هـذا الكيـان، لقولـه تعـالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ

(1) ميشيل كيلو: مقال في العربي الجديد، 05/ 09/ 2020م.
(2) خالـد النجـار: مقـال بعنـوان «أبـرز مـؤشرات الفشـل الصهيـوني في الحـرب عـلى غـزة»، جريـدة الرسـالة، 18/ 05/ 2021م.
(3) صحيفـة يديعـوت أحرونـوت بتاريـخ 24/ 12/ 2018م تعقيبًـا عـلى تـرك رئيـس الجيـش الصهيـوني غـادي آيزنكـوت لمنصبـه بعـد فشـل الجيـش في حـرب (2014م) عـلى غـزة.
(4) خالـد النجـار: مقـال بعنـوان «أبـرز مـؤشرات الفشـل الصهيـوني في الحـرب عـلى غـزة»، جريـدة الرسـالة، 18/ 05/ 2021م.

حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: 2]، فما منعتهم حصونهم المتمثلة في الملاجئ والقبة الحديدية من تلقي الضربات من غزة المحاصرة منذ سنوات ومن أحزاب فلسطينية لم تتراجع يومًا عن مبادئها حق لو تفاوتت قواها وضرباتها، ولكن العرب أصحاب التطبيع ما زالوا لم يعوا إقامة كيان غاصب توسعي وعدواني في كيانهم التاريخي الذي يمثله فلسطين، لن يكون نهاية مطافهم معه، وأن تخليهم عن شعبها الذي مارسوه قبل طرده من وطنه وبعده، واستيلاء الصهاينة عليه لن ينجيهم من شروره، بسبب دوره ومهامه التي لن تكون خارجية فقط بالنسبة لنظمهم، بل ستفرض عليهم واقعًا ستتعين بدورها فيه، سياسات دولهم، في مجالها الدولي الخاص وعلاقاتها الخارجية المتصلة بتبعيتها للدول الداعمة له وبمصالحه، وليبدأ زمن ما بعد العرب، زمن «إسرائيل» العظمى»[1].

فالمقاومة أفسدت فرحة الصهاينة بهذا الحلم الذي لم يعه العرب، فالصهاينة أول ما بدؤوا يروجون لكيانهم من إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وإقامة «إسرائيل» الكبرى، و«إسرائيل» العظمى، وبدؤوا فعليًا بالسيطرة على فلسطين، ولكن مقاومة الشعب الفلسطيني صدته، فأصبح يطالب بحدود 1967م و«يهودا والسامرة»، وأزال غزة من خارطة كيانه، وأصبح يروّج أن الخطر يكمن في الجبهات الشمالية (لبنان وحزب الله) وغزة الجبهة الجنوبية والتي بإمكان أي فصيل فلسطيني أن يدك المدن المحتلة بالصواريخ، فسرايا القدس قامت بعدة معارك منفردة وجعلت

(1) ميشيل كيلو: مقال في العربي الجديد، 05/ 09/ 2020م.

الكيان يطالب الوسطاء بالتدخل، فكانت هناك معركة بشائر الانتصار في العام 2012م، وكسر الصمت في العام 2013م، وصيحة الفجر في العام 2019م، وبأس الصادقين في العام 2022م، والأخيرتان كانتا ردًا على اغتيال كل من القائد بهاء أبو العطا، والتنكيل بجثمان المجاهد محمد الناعم ابن سرايا القدس.

فكانت معركة سيف القدس دفاعًا عن القدس وليس ثأرًا لشهيد؛ لتأتي كل الدول المناصرة للكيان والموقعة معه على عدة اتفاقيات، وتتحول إلى وسيط بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني،خوفًا من اتساع دائرة الصراع[1]، بعد معادلة الندية التي تراكمت بصمود الفلسطيني وكشفت ظهر العدو ليكون القصف بالقصف، والدم بالدم[2].

التحول التدريجي نحو توازن الردع

إن الانتصارات المتتالية التي تناولناها كشفت الحجم الحقيقي للكيان الصهيوني الذي جعل من نفسه قوة مخيفة يضعف أمامها كل محب للدنيا غير مدرك للوعد الإلهي، فالصواريخ والعمليات الاستشهادية لم تكن هي وحدها التي هزت الكيان الصهيوني، فكان على المستوى الفردي للعمل المقاوم آثار أكثر من أثر الصواريخ، ففي 03/ 10/ 2015م انطلقت الانتفاضة الثالثة والتي أشعلها المجاهد في حركة الجهاد الإسلامي مهند الحلبي الذي كان طالبًا في جامعة القدس (أبو ديس)، فكان وقع القدس

(1) وليد عبد الحي، ورقة علمية، مركز الزيتونة، بيروت.

(2) خالد النجار: مقال بعنوان «أبرز مؤشرات الفشل الصهيوني في الحرب على غزة»، جريدة الرسالة، 18/ 05/ 2021م.

في قلبه أكبر من كل الهيئات، فاستل سكينه وكتب ما يمكن وصفه بأبلغ رسالة حيث قال: «حسب ما أرى أن انتفاضة القدس قد ابتدأت».

وهذا ما حصل حيث اشتعلت الانتفاضة الثالثة (انتفاضة القدس)، والتي اشتعلت بسكين وأخذت الطابع الفردي سواء بعمليات الطعن، أو الدهس أو إطلاق النار، ولوحظ أنه بظرف ساعات جابت العمليات شتى أنحاء فلسطين المحتلة، وامتدت الاشتباكات لتعم مناطق التماس والمفترقات التي تربط طرق المستوطنات بالبلدات الفلسطينية، وهناك العشرات من العمليات التي تم إحباطها واعتقال المخطط لها أو اغتياله، فكان وقع الانتفاضة التي هزت المنظومة الأمنية الصهيونية والتي استدعت قواتها الشرطية مدعمة بالقوات الخاصة، والمستعربين، ليلاحقوا كل ما يكتب من الشعارات ككلمة «سامحوني» أو «اقتلوهم حيث وجدتموهم»، فكان الفشل الصهيوني مرة أخرى، ومن ضمن مشروع أوسلو التنسيق الأمني بين السلطة الفلسطينية والشاباك الصهيوني الذي بدوره أصدر أوامره لأجهزة الأمن الفلسطينية للدخول إلى المدارس وتفتيش حقائب الطلبة، وحسب اعتراف رئيس جهاز المخابرات الفلسطينية ماجد فرج بأن جهازه استطاع إحباط أكثر من (500) عملية طعن خلال شهرين فقط، وبالرغم من هذه الملاحقات إلا أن العمل المقاوم استطاع التخلي عن كل ما كان يعصف به من فتن، وجهز نفسه بسلاح رخيص الثمن، ولكن حامله غالٍ وعالي القدر والقيمة، وصدق القائد الوطني الكبير، ورمز المقاومة الفلسطينية د. رمضان عبد الله شلّح حين قال: «انتفاضة القدس أحرجت الجميع».

وفي الخلاصة نقول: إن المعيار الحقيقي للنصر أو الهزيمة لا يقارن بأعداد الشهداء وقتل الصهاينة والخسائر المادية، لكن من لديه القدرة على الصمود أكثر، وفرض قواعد اشتباك جديدة في كل مرة تأتي من خلال الإعداد والتطوير والمراكمة، فالاحتلال الصهيوني بضخامة آلة التدمير المتطورة التي يمتلكها، وتطوره التكنولوجي على مستوى الشرق الأوسط لم يستطع كبح المقاومة في غزة، ولا وقف العمليات في الضفة والقدس ولم يستطع تغيير العقيدة الفلسطينية ذات الهوية الصادقة مع فلسطين في الداخل المحتل حيث إن الكيان الصهيوني لم ينتصر ويحقق أهدافه الاستراتيجية في المعارك والحروب، فهو مهزوم أمام فصائل مقاومة لا تقارن قوتها بقوته.

إن الفصائل التي تفتقد للعمق الاستراتيجي والعمل اللوجستي إن صمدت في وجه العدوان فهي منتصرة، وتراكم نقاط الانتصار هو بداية النهاية للاحتلال، وهو الممهد لحسم المعارك والانتصار على الكيان الصهيوني بشكل كلي مستقبلًا.

أما الذين يقارنون المعارك بحجم الخسائر فهؤلاء هم المرجفون والمطبعون المعجبون بالكيان الصهيوني المتخلفون عن القتال الذين قال الله سبحانه فيهم في كتابه العزيز: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: 52].

ملخص الفصل الخامس

استعرض الفصل الخامس صعود العمل الإسلامي الذي كان عنوان المرحلة الجديدة للشعب الفلسطيني في الانتفاضة الأولى التي تدحرجت عجلتها على يد ستة أسرى استطاعوا الهروب من سجن غزة المركزي، فأصبحوا يخطون بياناتهم باسم حركة الجهاد الإسلامي، مستمدين جهادهم من السيرة المحمدية، ومن تجارب القسام، والذي كان عنوانه الجهاد في فلسطين، فهؤلاء الستة انهارت منظومة أمن السجون على أيديهم، وفشل الجيش باعتقالهم، فكان دمهم هو شعلة الانتفاضة.

وما أن عمت الانتفاضة أرجاء فلسطين حتى اتخذت جماعة الإخوان المسلمين قراراها الجريء لتعلن انطلاقة حركة حماس في 14/ 12/ 1987م، وما ميّز انتفاضة الحجارة عام 1987م هو توحد الشعب الفلسطيني ومن ثم توحد الأمة التي عانت من التفكك والتشرذم، فكانت بوصلة الثوار هي فلسطين حيث شملت الانتفاضة كافة أطياف الشعب الفلسطيني وإقصاء قضيته عن قائمة المهام، ومقدمة الصدام، ولكن هذا الصمود سرعان ما طمع به البعض، فاختاروا قطف ثماره وسلوك نفق الظلام المسمى المفاوضات الذي لم يكن بدايته أوسلو- واشنطن، وبالرغم من محاولاتهم قطف الثمار إلا أن الثوار اختاروا طريق المواجهة فكانت انتفاضة الأقصى المباركة في 28/ 09/ 2000م، فتزلزل الكيان بكل أرجائه بالعمليات الاستشهادية والاشتباكات المسلحة والانتفاضة الشعبية والسلاح الأبيض والصواريخ.

استطاعت الانتفاضة المباركة هز عروش الكيان فما كان له إلا تسخير قواه لاجتثاثها فصمدت سنوات، فأعلن الفتنة التي نشبت في صفوف الشعب الفلسطيني حتى استطاع إخماد نيرانها، وأصبح يستفرد بغزة ويشن عليها الحملات العسكرية والحروب المتتالية كردة فعل على هزيمته على يد المقاومة اللبنانية التي أذلته في الجنوب اللبناني، فكانت حرب الفرقان 2008-2009م أقوى الحملات والحروب في حينها.

صمدت غزة واستطاعت المقاومة الفلسطينية فك قيد 1047 أسيرًا في صفقة وفاء الأحرار التي أتبعها العدو بحرب السماء الزرقاء 2012م فما كان للمقاومة إلا أن تفاجئه فكانت راجمات الصواريخ أول ما برزت على يد سرايا القدس صاحبة الرد الأول على اغتيال القائد في كتائب القسام أحمد الجعبري منسق صفقة وفاء الأحرار، في تل الربيع المحتلة «بقرة العدو المقدسة» كما وصفها الدكتور الراحل رمضان شلّح.

شن الاحتلال عدة اغتيالات، فردت سرايا القدس بكسر الصمت ليأتي رد المقاومة بخطف 3 صهاينة في الضفة المحتلة ليقدم العدو على غزو غزة من جديد، فرصت المقاومة صفوفها وصعقته ليصبح عصفًا مأكولًا خلال (51) يومًا.

أما أصحاب النفوس المريضة فسارعوا لنيل رضا الاحتلال فعقدوا صفقات الخيانة والتطبيع حتى تجرأ العدو على القدس ليكون سيف القدس مشرعًا في وجه الكيان، فالذي كان يتغنى بانتصاراته في الأمس أصبح يناجي المطبعين للتوسل والتودد للمقاومة لتوقف دك الصهاينة

بالصواريخ وترفع عنهم حظر التجول وتخرجهم من الملاجئ.

الانتصارات المتتالية للمقاومة في مراحل عدة؛ امتدت على طول خط الصراع مع الكيان الصهيوني أكدت لنا الفرضيتين السادسة، والسابعة واللتين تؤكدان على أن توحيد الأمة سبب في تحرير فلسطين، وهذا ما ذكره الفصل الخامس حين تناول كيفية انتصار المقاومة قبيل رص صفوفها في العديد من المعارك والجولات الحربية.

وركز الفصل الخامس على العديد من الانتصارات في الضفة الغربية والقدس وغزة والداخل الفلسطيني المحتل مختبرًا صحة الفرضية السابعة التي تقول إن الانتصارات المتعاقبة للمقاومة تبشر باقتراب وعد الآخرة وتحرير فلسطين.

الخاتمة

أرض فلسطين أرض مقدسة مباركة وهي أرض عربية مسلمة، ضحى أبناؤها تضحيات جسامًا في سبيل المحافظة عليها وفي سبيل تحريرها غير أن المشروع الصهيوني المدعوم بالقوى الكبرى كان أكبر من طاقاتهم وإمكاناتهم.

إن المقاومة الفلسطينية ناضلت منذ اللحظة الأولى لتشكل نواة الاحتلال وهدم الخلافة الإسلامية _الدولة العثمانية_ والتي تم تقسيم تركتها إلى دول وخرائط، واقتسامها فيما بين الدول الطامعة في احتلال واستعمار البلاد العربية والإسلامية.

إن المقاومة فيما مضى حاولت استنهاض القوى الإسلامية على يد القسام، ولكنها لم تصل إلى الحد المطلوب، فكانت المقاومة المعاصرة المتمثلة في منظمة التحرير الفلسطينية والعمل الفدائي الفلسطيني التي تولت قيادة الساحة الفلسطينية، والتي قدمت بدورها تضحيات جسامًا، وكرّست الهوية الفلسطينية، ولكنها عانت من جوانب عدة أضعفت أداءها وقدراتها على تحقيق أهدافها، ومن ذلك:

(1) ابتعادها عن الإسلام وسلوكها الخط العلماني المتراوح بين القومية والعلمانية حيث إن المنهج الإسلامي هو المنهج الأقدر على استنهاض طاقات الأمة وتوحيدها وتجنيدها ضد الصهاينة، ومنهج منظمة

التحرير الفلسطينية أخذ منعطفًا آخر حيث بات ينزع سلاح المقاومة عقب تبنيه خيار المفاوضات والحل السلمي بعدما اعترف بقيام دولة الاحتلال الصهيوني على 77 ٪ من فلسطين، واستثنى من اتفاقياته القدس واللاجئين والأسرى والحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، وظل منهج منظمة التحرير الفلسطينية يستجيب لضغوط الصهاينة مما أدى إلى الالتفاف على حقوق الشعب الفلسطيني، فمن المطالبة بتحرير فلسطين إلى دولة مجتزأة غير مضمونة على مساحة 23 ٪ من فلسطين تقوم بالأساس على الحفاظ والمحافظة على الأمن الصهيوني.

(2) افتقدت منظمة التحرير الفلسطينية للقيادة السياسية الموحدة خلف فلسطين، وعانت من تباين أهدافها، واستثنائها للحركات الإسلامية حيث استفردت بالقرارات، ومن ثم أصبح رئيس السلطة هو القائم بكل مهام منظمة التحرير الفلسطينية مستفردًا بالقضية وليس بالمنظمة.

(3) كبّل الاحتلال منظمة التحرير الفلسطينية بكل مؤسساتها وهي وافقت على كل شروطه في مقابل بقاء البعض في مناصب معينة أنتجت مؤسسات مفرغة من محتواها الوطني لتكون عاجزة عن المحاسبة لتدخل في حالة مخاض مؤلم.

من خلال طرد الثوار ومنعهم من مقاومة الاحتلال، وإقدام بعض الدول على عقد صفقات ومعاهدات سلام على حساب الثورة الفلسطينية، قام الاتجاه الإسلامي المقاوم مستثنيًا اللامقاوم من قاموس هذه الأمة بأدوار جهادية غير آبه بالأصوات الإسلامية المنادية بالانتظار لاتضاح

الرؤية حتى استطاعت هذه الأعمال الجهادية إعادة الأمل للأمة بإمكانية اقتلاع الكيان الصهيوني من فلسطين، وذلك من خلال:

(1) تحديد أهدافها الدقيقة لإزالة الكيان الصهيوني والتجهيز لإقامة الخلافة الإسلامية، وحسن قراءة الواقع وتداخلاته وتعقيداته المحلية والإقليمية والدولية، وتقديم رؤى وحلول واقعية قادرة على إحياء نفوس الأمة، وإعادة روح المقاومة لدى جماهير الأمة.

(2) رص الصفوف والعمل بمسببات النصر، وتوسيع دائرة الصراع والتفاعل مع القضية الفلسطينية، موجهة سلاحها نحو صدر العدو، غير غارقة في الصراعات الخارجية كالمذهبية والصراع على المغانم.

(3) قامت المقاومة الإسلامية بالالتصاق بالجماهير بدءًا من القسام وصولًا إلى الفصائل الإسلامية العاملة على الساحة الفلسطينية في حاضرنا لتمكن الجماهير من الوصول إلى حالة الاشتباك المستمر مع المشروع الصهيوني.

(4) الإبقاء على جذوة الجهاد والمقاومة مشتعلة في جميع الأراضي الفلسطينية غير آبهة للتقسيمات الجغرافية بين أوصال الأمة.

(5) قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾، وهذه الآية من فواتح سورة الإسراء دائمًا تبشر باقتراب الوعد الرباني من اقتلاع الكيان الصهيوني ومن دخول المسلمين المسجد الأقصى فاتحين منتصرين، وهذا ما

بشر به الرسول _صلى الله عليه وسلم_ بحديثه الشريف: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله! إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

وهذه سنة الله سبحانه في الصراع بين الحق والباطل، وهي خاتمة أصحاب الحق في مواجهة الكفار والمشركين؛ لذا نجد أن الكيان الصهيوني منذ احتلاله فلسطين باشر باستزراع أشجار الغرقد التي لا تكاد تظهر سوى في صحراء النقب، وهذه أيضًا من الحكم الربانية.

لقد وفقنا الله في قراءة الماضي والحاضر حتى استطعنا الخروج بمادة متواضعة من داخل الأسر بالرغم من كل محاولات العدو البائسة لمصادرة ما يجول في خاطرنا إلا أن الجهاد وجغرافيا الصراع صعد ليبث الروح الجهادية في النفوس موجهًا إياها إلى جوهر الصراع (فلسطين)، من خلال الربط بين الأحكام الجهادية والتاريخ والجغرافيا والقضية الفلسطينية وتطوراتها.

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهـداء	5
شكر وتقدير	7
مقدمـة	9
مشكلة الدراسـة	11
هدف الدراسـة	13
أهمية الدراسـة	15
أسئلة الدراسة	17
منهجية الدراسة	19
فرضيات الدراسـة	25
الفصـل الأول: الجهـاد كـما أمـر الله	27
المسـلمون لمـاذا؟	27
متـى أذن للمسـلمين بالقتـال؟	32
الجهـاد في الاسـلام وبعـض صـوره وأحكامـه	41
الوهـن والضعـف والاسـتكانة	50
التـولي يـوم الزحـف	53
الهدنـة	55
الهدنـة مـن وجهـة نظـر الفصائـل الفلسـطينية	57
الهدنـة مـن وجهـة نظـر الاحتـلال الصهيـوني	60
الـسر والكتـمان الجهـادي	61
أهـم مسـببات النـصر	63

الموضوع	الصفحة
التربيـة المحمديـة الأمنيـة وبعـض مظاهرهـا	81
أدبيات جهاديـة	82
حـرف البوصلـة الجهاديـة عـن فلسـطين سـبب في تفريـق الأمـة	98
أثـر الجهـاد في فلسـطين عـلى وحـدة الأمـة	100
ملخص الفصل الأول	103
الفصـل الثـاني: لمـاذا فلسـطين؟	107
خـروج الكنعانيين من فلسـطين	111
دخـول العبرانيـين لفلسـطين	111
اليهود فيما بعـد العـصر اليونـاني	122
محطات هامـة في فلسـطين	125
ملخـص الفصـل الثـاني	131
الفصـل الثالـث: فلسـطين في ظـلال الاسـلام	133
فلسـطين في العهـد الصليبـي والمملوكـي وأحـوال اليهـود	136
العـصر العثـماني ودخـول اليهـود لفلسـطين	142
الحـرب العالمية الأولى	146
الصهيونيـة حركـة سياسـية تحـت رايـة دينيـة	147
كيـف أصبـح اليهـود أمـة بسـبع وسـتين كلمـة	153
الاحتـلال البريطـاني، تطبيـق لوعـد بلفـور	158
ملخـص الفصـل الثالـث	161
الفصل الرابع: صراع مستمر حتى التحرير	163
صراع وجـود لا صراع حـدود	163

الموضوع	الصفحة
القسام، فلسطين الاختيار والاختبار	167
اتساع الثورة	173
امتداد الصراع على مساحة الأمة وارتكازه في فلسطين	175
انحسار الثورة	182
سيطرة شاملة، جبهات ثائرة	186
ملخص الفصل الرابع	195
الفصل الخامس: التحول التدريجي نحو الانتصار	199
إطفاء جذوة الانتفاضة، الاستعجال بقطف ثمارها	204
النرويج وعاصمتها أوسلو، الحصاد المر	206
الهدنة الإسلامية واتفاق الحكم الذاتي	217
تهاوي الاحتلال أمام إرادة الشعب والمقاومة بالرغم من اتفاقيات السلام	220
مركزية القضية الفلسطينية وعوامل استنهاضها	222
انتفاضة الأقصى المباركة	222
موقف فصائل المقاومة الشرعي من الانقسام	230
المقاومة اللبنانية تهز الكيان	230
الصعود المتنامي للمقاومة وتوقف انزلاق الهاوية	232
نتائج حرب الفرقان (الرصاص المصبوب)	234
نتائج حرب السماء الزرقاء	237
حي قرآني، وبينان مرصوص، وعصف مأكول	238
ثمرة الإعداد العسكري ورص الصفوف	246
سلمان الفارسي، الفارس القدوة لمجاهدي غزة	248

الموضوع	الصفحة
التبعيـة البائسـة، سياسـة بائسـة	253
السـيف الصـارم سـيف القـدس	258
أبعـاد اسـتلال سـيف القـدس مـن غمـده	246
سـيف القـدس نحـو تحقيـق وعـد الآخـرة	268
التحـول التدريجـي نحـو تـوزان الـردع	271
ملخص الفصل الخامس	275
الخاتمـة	279

» تعريف بالكاتب الأسير

- الاسم: مناضل موفق توفيق طقز.
- مكان الإقامة: بلدة عتيل - محافظة طولكرم.
- تاريخ الميلاد: 1992/03/28م.
- الحالة الاجتماعية: أعزب.
- الاعتقالات: 1.
- تاريخ الاعتقال : 2014/10/26م.
- الحكم: 13 عامًا.

الشهادات التعليمية:

- بكالوريوس اجتماعيات - جامعة القدس المفتوحة .
- دبلوم إدارة أعمال - جامعة الأقصى.

له مجموعة من المؤلفات، أهمها:

1. جلبوع، ميلاد عز.

» في هذ الكتاب

لم يكن هناك انفصال في الجهاد والدعوة على مدار التاريخ الإسلامي، بل كان الجهاد الذي أمر الله به سبحانه وتعالى السمة الملازمة للدعوة الإسلامية، وشكلت السنة النبوية الشريفة الأرضية التعبوية للمجاهدين، فكانت الفتوحات الإسلامية التي جابت العالم ومن ضمنها فلسطين تجسيدًا لأوامر الله، فحكمها الإسلام وأنار أرضها المباركة بالقرآن.

إضافة إلى ما تقدم تأتي أهمية جغرافيا الصراع من كونه صراع وجود لا صراع حدود، ولا صراعًا اقتصاديًا أو تجاريًا أو أزمة مؤقتة، بل إن هذا الصراع يشكل خطرًا استراتيجيًا على العالم العربي والإسلامي.

وهذا الصراع يستمد قوته من الإسلام والتاريخ والجغرافيا، ومن القوة الروحية والمعنوية للمجاهد المسلم الذي يتواجد على مساحة التاريخ الإسلامي زمانيًا ومكانيًا، والمجاهد المسلم والثائر المناضل في فلسطين هو رأس الحربة في مقاومة المشروع الصهيوني الذي هو أشرس هجمة تشكلت في هذا العصر ضد الإسلام والمسلمين وأراضيهم.